فتح الرحمن

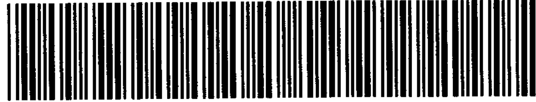
في

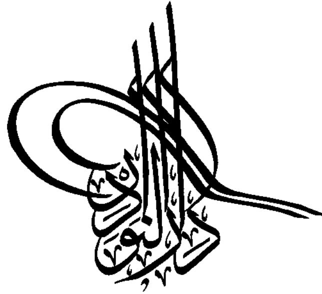
تفسير القرآن

ٱلطَّبْعَةُ ٱلأُولَى
مِن إِصْدَارَاتِ
وِزَارَةُ ٱلأَوْقَافِ وَٱلشُّؤُونِ ٱلإِسْلَامِيَّةِ
دَوْلَةِ قَطَر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ٱلطَّبْعَةُ ٱلثَّانِيَة
مِن إِصْدَارَاتِ
دَارُ ٱلنَّوَادِر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك : ٨ - ١٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN





سورية - لبنان - الكويت

مُؤَسَّسَة دَارُ ٱلنَّوَادِرِ م.ف - سُورِيَة * شَرِكَة دَارُ ٱلنَّوَادِرِ ٱللُّبْنَانِيَّة ش.م.م - لُبْنَان * شَرِكَة دَارُ ٱلنَّوَادِرِ ٱلكُوَيْتِيَّة - ذ.م.م - ٱلكُوَيْت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص. ب: ٥١٨٠/١٤ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أَسَّسَهَا سَنَة: ٢٠٠٦م
نُورُ ٱلدِّين طَالِب
ٱلمُدِيرُ ٱلعَام وَٱلرَّئِيسُ ٱلتَّنْفِيذِي

فتح الرحمن في تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧هـ)

رحمه الله تعالى

المجلد الثالث

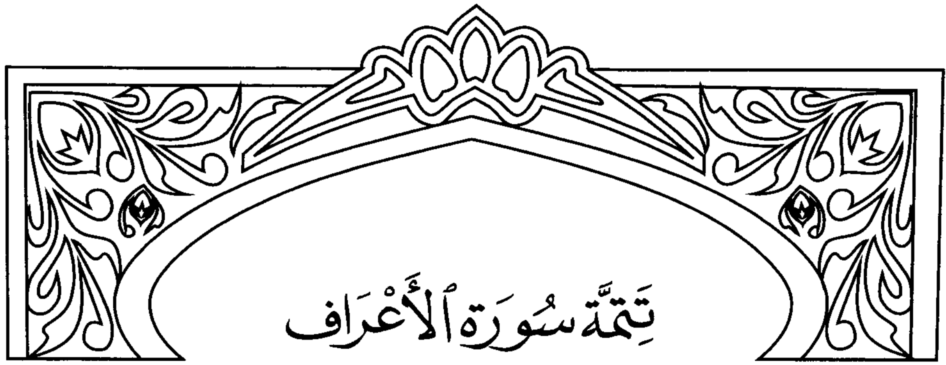
اعتنى به

تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

دار النوادر





تتمة سورة الأعراف

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ ﴾ فيه إضمارٌ، يعني: فكذبوه.

﴿ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ ﴾ الفقرِ ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ المرضِ.

﴿ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ ليتذلَّلوا ويتوبوا.

* * *

﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] ﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ﴾ الشدةِ ﴿ ٱلۡحَسَنَةَ ﴾ الرخاءَ.

﴿ حَتَّىٰ عَفَواْ ﴾ كَثُروا عدداً وأموالاً[١]، فطغَوا.

﴿ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ ﴾ أي: ليسَ ما أصابنا بالابتلاء، وإنما هذا[٢] دأبُ الدهرِ ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ بنزولِ العذابِ.

---

(١) في «ن»: «أموالاً وعدداً».

(٢) في «ش»: «هو».

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ المكذِّبينَ.

﴿ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ المعاصيَ.

﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، ورُويسٌ عن يعقوبَ: (لَفَتَّحْنَا) بتشديد التاء، والباقون: بالتخفيف[1].

﴿ بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ لجاءَهم المطرُ والخصبُ، وعمَّهُم الخيرُ من كلِّ جهةٍ ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي.

* * *

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ المكذِّبونَ، وهم أهلُ مكةَ ومَنْ حولَها، الاستفهامُ للإنكارِ، والفاءُ للعطفِ نظيرُه: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

﴿ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ﴾ عذابُنا ﴿ بَيَٰتًا ﴾ ليلاً ﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢، ١١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٢).

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ أَوَأَمِنَ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ: (أَوْ أَمِنَ) بسكون الواو، جعلوها (أو) العاطفةَ تكونُ لأحدِ الشيئين؛ كقولك: ضربتُ زيداً أو عَمْراً؛ وورشٌ يحذفُ الهمزةَ، ويلقي فتحتَها على الواو الساكنة، فتتصل فتحةُ الواو بكسرةِ الميم في اللفظ، والباقون: بفتح الواو، وجعلوها واوَ العطف دخلَتْ عليها ألفُ الاستفهام[١]، نظيره: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٠٠].

﴿ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى ﴾ أي: نهاراً، والضحى: صَدْرُ النهار وقتَ انبساطِ الشمسِ.

﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ لاهُونَ من فرطِ الغفلةِ.

***

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾ استدراجَه إياهم بما أنعمَ عليهم في دنياهم.

﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ الذين خَسِروا بالكفرِ.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٣).

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ ﴾ أي: يُبيِّنْ. قرأ العامة: (يَهْدِ) بالياء، وقرأ زيدٌ عن يعقوبَ: بالنون على التعظيم.

﴿ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: يسكنونها.

﴿ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ ﴾ الهالكينَ.

﴿ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم ﴾ أهلَكْناهم كما أَصبْنا مَنْ قبلَهم، واختلافُ القراء في الهمزتين من (نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ) كاختلافِهم فيها من (السُّفَهَاءُ أَلَا) في سورةِ البقرةِ.

﴿ بِذُنُوبِهِمْ ۚ ﴾ كمَنْ تقدَّمَهم ﴿ وَنَطْبَعُ ﴾ نختمُ.

﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ سماعَ تفهُّمٍ واعتبار.

***

﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ ﴾ المذكورةُ وأهلُها؛ يعني: قومَ نوحٍ وعادٍ وثمودَ، وقومَ لوطٍ وشعيبٍ.

﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ ﴾ أخبارِها؛ لما فيها من الاعتبارِ.

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ المعجزاتِ.

﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ عندَ مجيءِ الرُّسلِ بالبيناتِ.

﴿ بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبلِ قيامِ المعجزاتِ، المعنى: لم تؤثرْ فيهم الموعظةُ، واستمروا على الكفرِ.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثلَ ختمِنا على قلوبِ الكافرينَ قبلَكَ.

﴿ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ من قومِك فلا يؤمنونَ.

* * *

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) ﴾.

[١٠٢] ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم ﴾ أي: الناسِ.

﴿ مِّنْ عَهْدٍ ﴾ أي: وفاءِ عهدٍ.

﴿ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ ﴾ أي: عَلِمْناهم.

﴿ لَفَاسِقِينَ ﴾ خارجينَ عن الطاعةِ، و(إنْ) للنفي، و(اللام) بمعنى إلا، التقدير: وما وجَدْنا أكثرَهم إلا فاسقينَ.

* * *

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) ﴾.

[١٠٣] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم ﴾ أي: من بعدِ الأنبياءِ المتقدِّمِ ذكرُهم، وأممِهم.

﴿ مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ يعني: المعجزاتِ.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟﴾ أي: كفروا ﴿بِهَا﴾ والظلمُ: وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِه، فظلمُهم وضعُ الكفرِ موضعَ الإيمان.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وكيفَ فعلنا بهم.

* * *

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لما دخلَ على فرعونَ:

﴿يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فقال فرعونُ، كذبتَ.

* * *

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾.

[١٠٥] فقال موسى ﴿حَقِيقٌ﴾ من الحقّ.

﴿عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ قرأ نافعٌ: (عَلَيَّ) بتشديد الياءِ وفتحِها على أنها ياءُ الإضافة، معناه: حقٌّ واجبٌ عليَّ، وقرأ الباقونَ: (عَلَى) على أنها جرٌّ[1]، معناهُ: جديرٌ بألاَّ أقولَ إلا الحقَّ.

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ اليدِ والعصا.

﴿فَأَرْسِلْ﴾ أطلقْ.

﴿مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وخلِّهِمْ حتى يرجِعوا إلى الأرضِ المقدسةِ التي هي

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٥).

وطنُ آبائِهم، وكانَ فرعونُ قد استعبدَهُم بعدَ موتِ يوسفَ. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (مَعِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

[١٠٦] ﴿قَالَ﴾ فرعونُ ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ على دعواكَ.

﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في الدعوى، وكان بينَ دخولِ يوسفَ مصرَ ودخولِ موسى أربعُ مئةِ سنةٍ.

* * *

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾.

[١٠٧] ﴿فَأَلْقَىٰ﴾ موسى ﴿عَصَاهُ﴾ من يدِهِ.

﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ﴾ هو ذَكَرُ الحياتِ، عظيمُ الجسمِ ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهرٌ أمرُهُ.

قال ابنُ عباسٍ: «لما أَلْقَى العَصا، صارتْ حَيَّةً عظيمةً صفراءَ شعراءَ فاغرةً فاها، ما بين لَحْيَيْها ثمانون ذراعاً، واضعةً لَحْيَها الأسفلَ في الأرضِ، والأعلى على سورِ القصر، ثم تنفَّسَتْ في البيوتِ والخزائنِ، فاشتعلتْ ناراً، وجعلتْ تهيجُ كالجملِ، ولها صوتٌ كالرَّعد، وحملتْ على الناسِ، فانهزموا وصاحوا، وماتَ منهم خمسةٌ وعشرونَ ألفاً، قتلَ بعضُهم بعضاً، وتوجَّهَت نحوَ فرعونَ لتأخذَهُ، فوثبَ من[2] سريرِه هارباً، وأحدَثَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٦).

(٢) في «ن»: «عن».

في ثيابِه، وأخذتِ الحيةُ أذياله[1] حتى رمى نفسَه خلفَ السريرِ وصاحَ: يا موسى! أَنْشُدُكَ بالذي أرسلَكَ! خُذْها وأنا أؤمن بكَ، وأُرسلُ معكَ بني إسرائيل، فأخذها موسى، فعادت عصًا كما كانت»[2].

* * *

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

[١٠٨] فلما نظرَ فرعونُ إلى ذلك، قال: يا موسى! لقد تعلمتَ سحراً عظيماً، هل عندَكَ غيرُ هذا؟ قالَ: نعم ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ أدخلَها جيبَهُ ثم نزعَها.

﴿ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ لها شعاعٌ يغلبُ نورَ الشمس، ثم أَدخلها جيبَهُ فصارَتْ كما كانت.

* * *

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] فتمَّ ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ بالسحر.

* * *

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم ﴾ يا معشرَ القبطِ.

﴿ مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ مصرَ.

﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ تشيرون؟ هذا من قولِ فرعونَ، وما قبلَه من قولِ الملأ.

---

(١) في «ن»: «بأذياله».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٣٤).

﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

[١١١] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ يعني : الملأُ .

﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ المعنى : اتركِ التعرُّضَ له بالقتلِ . قرأ ابنُ كثيرٍ ، وهشامٌ عنِ ابنِ عامرٍ : (أَرْجِئهُو) بالهمزِ وضمِّ الهاء ووصلِها بواو ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ : بالهمزِ وبكسرِ الهاءِ ، ولا يصلُها بياء ، وأبو عمرٍو ، ويعقوبُ : بالهمزِ والضمِّ من غيرِ صلة ، والباقون : بغير همزٍ ، ثم نافعٌ بروايةِ ورشٍ ، والكسائيُّ ، وخلفٌ يُشبعونَ الهاءَ كَسْراً ، ويُسكنها عاصمٌ ، وحمزةُ ، ويختلِسُها أبو جعفرٍ ، وقالونُ[١] ، وكذلك اختلافُهم في حرفِ الشعراءِ .

﴿ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ ﴾ هي مدائنُ بالصعيدِ من نواحي مصرَ .

﴿ حَٰشِرِينَ ﴾ جامعينَ .

* * *

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

[١١٢] ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ قرأ حمزةُ ، والكسائيُّ ، وخلفٌ (سَحَّارٍ) على وزنِ فَعّال مبالغةً ، وأمال فتحةَ الحاءِ الدوريُّ عن الكسائيِّ ، والسحارُ : هو العالِمُ المعلمُ السحر . وقرأ الباقون : (سَاحِر) على وزنِ فاعِلٍ[٢] ، والساحرُ : من يعلمُ ولا يعلِّمُهُ .

---

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٨٧ـ٢٨٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ١١١) ، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٥) ، و«الغيث» للصفاقسي (ص : ٢٢٦ـ٢٢٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٢٧ـ٢٢٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٦ـ٣٨٧) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٢٨٩) ، و«التيسير» للداني (ص : ١١٢) ، =

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ ﴾.

[١١٣] ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ ﴾ بعدما أرسلَ الشُّرَطَ في طلبِهم، قيلَ: كانوا ثمانينَ ألفاً، متقدِّمُهم شمعونُ، وقيلَ غيرُ ذلك، فلما اجتمعوا.

﴿ قَالُوٓاْ ﴾ لفرعونَ ﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا ﴾ أي: جُعْلاً.

﴿ إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾ لموسى. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ وحفصٌ: (إِنَّ لَنَا) بهمزة واحدة على الخبر، أخبروا أنهم يستحقُّون على غَلَبِهم موسى جُعْلاً، والباقون: بهمزتين على الاستفهام[1]؛ أي: أَتجعلُ لنا جُعلاً؟ وهم على أُصولهم تَسْهيلاً وتحقيقاً وفصلاً كما تقدَّمَ في سورةِ الأنعامِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٩].

* * *

﴿ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤ ﴾.

[١١٤] ﴿ قَالَ ﴾ فرعونُ: ﴿ نَعَمۡ ﴾ لكم عليَّ جعلٌ.

﴿ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ في المنزلةِ عندي.

* * *

= و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٧).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٦-٢٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٣٢، ١١١-١١٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٨).

﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

[١١٥] فعندَ اجتماعِهم بالإسكندريةِ ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ تأدُّباً .

﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ ﴾ عصاكَ ﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾ آلاتِنا .

* * *

﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

[١١٦] ﴿ قَالَ ﴾ موسى : بل ﴿ أَلْقُوا۟ ﴾ أنتم .

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ ﴾ آلاتِهم .

﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ صَرَفوها عن إدراكِ حقيقةِ سحرِهم بما فعلوهُ من التَّمْويهِ والتَّخْييلِ .

﴿ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ أخافوهم لما رَأَوا منَ الحيَّاتِ أمثال الجبالِ يركبُ بعضُها بعضاً ، وكانتِ الأرضُ الملقى فيها مِيلاً في مِيل .

﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ في فنِّه .

* * *

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

[١١٧] ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ فألقاها ، فصارت حيةً سدَّتِ الأفقَ ، وفتحتْ فمهَا ثمانينَ ذراعاً .

﴿ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ ﴾ تبتلعُ .

﴿ مَا يَأْفِكُونَ﴾ يَكْذِبون، فابتلعَتْ جميعَ ما أَلْقَوا، وقصدتِ القومَ، فهلكَ في الزحام منهم خمسةٌ وعشرونَ ألفاً، فأخذها موسى، فعادت عصًى. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (تَلْقَفُ) بإسكانِ اللام وتخفيفِ القاف، والباقون: بفتح اللام وتشديد القاف، والبزيُّ يشدِّدُ التاءَ وصلاً على إدغامٍ في التاء من تتلقف[1].

***

﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ﴿ فَوَقَعَ﴾ أي: ظهرَ ﴿ ٱلْحَقُّ﴾ أنه مع موسى.

﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من السحر، وقالوا: لو كان موسى ساحراً، لبقيتْ عِصِيُّنا.

***

﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

[١١٩] فعلموا أن ذلكَ من أمرِ الله ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ ذليلين.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣، ١١٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٩ـ٣٩٠).

﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

[١٢٠] ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ خرُّوا سُجَّداً لله تعالى متطارحين. قرأ أبو عمرٍو: (السَّحَرةَ سَّاجِدِينَ) بإدغام التاء في السين.

* * *

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

[١٢١] ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

* * *

﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

[١٢٢] فقال فرعون: إياي تعنون؟ فقالوا: ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ .

* * *

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

[١٢٣] ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ أي: بالله. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ، ورُويسٌ عن يعقوبَ: (آمنتم) بهمزةٍ واحدةٍ على الخبر، وقرأ قنبلٌ عن ابنِ كثيرٍ: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَآمَنْتُمْ بِهِ) يُبدل في حال الوصلِ من همزةِ الاستفهامِ واواً مفتوحةً، ويمدُّ بعدَها مدة في تقديرِ أَلِفين، والباقون: بهمزتين على الاستفهامِ، فحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وخلفٌ، وروحٌ عن يعقوبَ: يقرؤون بتحقيقِ الهمزتينِ على الأصلِ، والباقونَ بتحقيقِ الأولى وتسهيلِ الثانية(١)، ولم يُدْخِلْ أحدٌ ألفاً بينَ الهمزةِ المحقَّقةِ والمسهَّلة في

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٢)، =

هذا المحلِّ كما أدخلَها مَنْ أدخلَها منهم في (أَأَنْذَرْتَهُمْ) وبابِهِ؛ لكراهيةِ اجتماعِ ثلاثِ أَلِفاتٍ بعدَ الهمزةِ، ومعنى الكُلِّ إنكارٌ؛ أي: أَصَدَّقْتُم بموسى، وآمنتم بربِّهِ.

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أي: من غيرِ أَمْري إياكم.

﴿إِنَّ هَٰذَآ﴾ الذي صنعتُم أنتمْ وموسى.

﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ لَحِيلَةٌ احْتَلْتُموها.

﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ في مصرَ قبل أن تخرُجوا إلى هذا الموضعِ.

﴿لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ القبطَ، وتخلصُ لكم ولبني إسرائيلَ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ ما فعلتم.

* * *

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤)﴾.

[١٢٤] وهو تهديدٌ مجملٌ تفصيلُه: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ من كلِّ شِقٍّ طَرَفاً، وهو أولُ مَنْ قطعَ من خلافٍ وصَلَبَ.

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ على شاطىء نهرِ مصرَ؛ تفضيحاً لكم، وتنكيلاً لأمثالِكم.

* * *

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥)﴾.

[١٢٥] وكان موسى قد قالَ للسحرةِ لكبيرهم: أتؤمنُ بي إنْ غلبتُك؟

= و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٠-٣٩١).

فقال: لآتينَّ بسحرٍ لا يغلبُه سحرٌ، وإن غَلَبتني لأومننَّ بكَ، وفرعونُ يسمعُ، فلذلك قالَ ما قال.

﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني: السحرةُ لفرعونَ:

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ راجعونَ إلى الآخرة، فيرحَمُنا ويُثيبنا، فلا نُبالي بعذابِك.

* * *

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾.

[١٢٦] ثم قالوا توبيخاً: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ أي: تكرَهُ مِنَّا.

﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ﴾ وهو خيرُ الأعمالِ، ثم فزعوا إلى اللهِ فقالوا:

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: ارزقْنا صبراً كثيراً يفيضُ علينا عندَ القطعِ والصَّلْبِ.

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتينَ على الإسلامِ، فقطعَ أيديَهم وأرجُلَهم، وصَلَبَهم، وقيل: إنه لم يقدرْ عليهم؛ لقولِه تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥]، ورُوي أنه آمنَ بموسى عندَ إيمانِ السحرةِ ستُّ مئةِ ألفٍ.

* * *

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

[١٢٧] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لهُ: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بتغييرِ الناسِ عليكَ، ودعوتِهم إلى مخالفتِكَ.

﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ مَعْبوداتِك، فلا يعبدُكَ ولا يعبدُها؛ لأنه كانَ قد أمرَ قومَه بعبادةِ الأصنامِ، فقالَ: هذه آلهتُكم، وأنا ربُّها وربُّكم، ولذلكَ قالَ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقيل: كان له بقرةٌ يعبدُها، فلذلك أخرجَ لهم السامريُّ عِجْلاً، وقيل: كانَ يعبدُ الكواكبَ، وقيل: الشمسَ. المعنى: أيكونُ منكَ تركُ موسى، ويكونُ تركُهُ إياكَ فلا يلتفِتُ إليكَ؟!

﴿قَالَ﴾ فرعونُ:

﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: (سَنَقْتُلُ) بفتحِ النونِ وإسكانِ القافِ وضمِّ التاءِ من غيرِ تشديدٍ، من القتلِ، وقرأ الباقون: بضمِّ النونِ وفتحِ القافِ وكسرِ التاءِ وتشديدِها، من التقتيلِ، على التكثيرِ[١].

﴿وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ نتركُهم أحياءً كفعلِنا بهم قبلُ، وتقدَّمَ ذكرُ قِصتهم في القتلِ في سورةِ البقرةِ.

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ غالِبونَ، وهم مقهورونَ تحتَ أيدينا.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٣).

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

[١٢٨] فأعادَ فرعونُ عليهمُ القتلَ، فشكَتْ بنو إسرائيل ذلكَ، فَثَمَّ: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ ﴾ أرضَ مصرَ.

﴿ يُورِثُهَا ﴾ يُعطيها ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وعدٌ لهم بالنصرِ.

* * *

﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ .

[١٢٩] ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ يعني: قومَ موسى.

﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا ﴾ بالرسالةِ بقتلِ الأبناءِ.

﴿ وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ ﴾ بإعادةِ القتلِ علينا.

﴿ قَالَ ﴾ لهم موسى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ﴾ فرعونَ.

﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: يُسْكِنَكم أرضَ مصرَ.

﴿ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ من طاعةٍ وعصيانٍ، فيجازيكم، فحقَّقَ اللهُ ذلكَ، وأغرقَ فرعونَ، واستخلَفَهم فيها، فعبدوا العجلَ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ .

[١٣٠] ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ أي: سِني القحطِ لأهلِ البوادي.

﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ لأهلِ الأمصارِ.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ يتّعِظون فيؤمنون؛ لأن البلاءَ يرقِّقُ القلوبَ، ويرغِّبُ في الآخرة، رُوي أن فرعونَ عاشَ أكثرَ من ستِّ مئةِ سنةٍ، وملكَ أربعَ مئةِ سنةٍ لا يَرى مكروهاً فيها، ولو رآه، لما ادَّعى الربوبيةَ.

* * *

﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ .

[١٣١] ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ﴾ الخصبُ والسَّعةُ.

﴿ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾ أي: نحنُ مستحقُّوها، ولم يشكروا اللهَ.

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ قحطٌ وغلاءٌ.

﴿ يَطَّيَّرُوا۟ ﴾ يتشاءموا.

﴿ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ من المؤمنين.

﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ ﴾ أي: ما يصيبُهم من خيرٍ وشرٍّ.

﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: من قِبَلِ اللهِ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلكَ.

* * *

﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

[١٣٢] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ يعني: القبطَ لموسى ﴿ مَهْمَا ﴾ أصلهُ: (ما) الشرطية أضيفتْ إليها (ما) المزيدة للتأكيد[١]، فصارت ماما، ثم قلبتْ ألفُها استثقالاً للتكثير.

﴿ تَأْتِنَا بِهِۦ ﴾ أي: أيُّما شيءٍ تُحضِرُنا تأتنا به.

﴿ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ بيانٌ لـ: «مهما»، وسموها آيةً استهزاءً لموسى.

﴿ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا ﴾ لتنقلَنا عمَّا نحن عليه.

﴿ فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: لا نخدعُ لك بدليلٍ ما، ولا نصدِّقُك. قرأ أبو عمرٍو: (نَحْن لَّكَ) وشبهَه حيثُ وقعَ بإدغامِ النونِ في اللام[٢].

* * *

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

[١٣٣] ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ ﴾ وهو السيلُ الشديدُ، ودخلَ بيوتَهم حتى بلغَ تراقِيَهم، فمن جلسَ منهم غرقَ، ودامَ سبعةَ أيامٍ من السبتِ إلى السبتِ، ولم يدخلْ بيتَ إسرائيليٍّ معَ اشتباكِها ببيوتِهم، فقالوا لموسى: ادعُ رَبَّكَ يكشفْ عَنَّا، ونحن نؤمنُ بكَ، ونرسلُ معكَ بني إسرائيل، فدعا، فرُفِعَ، فأخصبتْ بلادُهم، فلم يؤمنوا.

---

(١) «للتأكيد» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «الإتقان» للسيوطي في النوع «الحادي والثلاثون».

﴿ وَٱلْجَرَادَ ﴾ المعروفَ، بُعِثَ عليهم بعدَ الطوفان، فأكلَ جميعَ نباتِهم وثيابِهم، وسقوفَ بيوتهم وأبوابَها، ولم يضرَّ بإسرائيليٍّ، فقالوا له: اكشفْ عنا نؤمنْ، فأشار بعصاهُ شرقاً وغرباً، فذهبَ الجرادُ من حيثُ جاء، وفي الخبر: مكتوبٌ على صدرِ كُلِّ جرادةٍ: جُنْدُ اللهِ الأعظمُ، فلم يؤمنوا.

﴿ وَٱلْقُمَّلَ ﴾ بُعِثَ عليهم بعدَ الجراد، قيل: هو جرادٌ بلا أجنحةٍ، وقيل: هو القَمْلُ المعروف، وقيل: هو السوسُ يخرجُ من الحنطة، فأكلَ ما تركَ الجرادُ وأشعارَهم وأبشارَهم، وآلَمَهُمْ قرصاً، وخبثَ عليهم أطعمتَهم لوقوعها فيها وفي أفواهِهم، ولم يضرَّ بإسرائيليٍّ، فاستغاثوا بموسى، فدعا، فَرُفِعَ عنهم، فلم يؤمنوا.

﴿ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾ بُعثتْ عليهم بعدَ القمل، فملأَتْ بيوتَهم وأطعمتَهم، وخَبَّثَتْها عليهم، ودخلَتْ أفواهَهُم، فاستغاثوا بموسى، فدعا، فَرُفِعَ عنهم، فلم يؤمنوا.

﴿ وَٱلدَّمَ ﴾ بُعثَ عليهم بعدَ الضفادع، فصارت جميعُ مياهِهم دماً أحمرَ عبيطاً، فكانَ فرعونُ يجمعُ بينَ القبطيِّ والإسرائيليِّ على الإناء الواحد، فيكونُ ما يلي الإسرائيليَّ ماءً، وما يلي القبطيَّ دماً، وتأخذُ المرأةُ الإسرائيليةُ الماءَ في فمِها فتلقيه في في القِبْطِيِّ فيصيرُ دماً، وجعلَ[1] فرعونُ يمضغُ الشجارَ فيصيرُ ماؤها في فيه دماً.

﴿ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾ مبيناتٍ، حالٌ من هذهِ المذكوراتِ، وتفصيلُها أن كانَ كلُّ عذابٍ أُسبوعاً، وبينَ كلِّ عذابينِ شهرٌ، رُوي أن موسى بقيَ بعدَما

---

(١) في «ن»: «وصار».

غلبَ السحرةَ عشرينَ سنةً يُريهم الآيات .

﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الآيات ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ .

* * *

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾ .

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ العذابُ المفصَّلُ، وبعدَهُ طاعونٌ أَنزله اللهُ بهم، ماتَ منهم في ليلةٍ سبعون ألفَ قبطيٍّ .

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: بعهدِهِ، وهو النبوةُ ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ وهو الطاعونُ ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ .

قال ﷺ: «الطَّاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ»(١) .

* * *

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ .

(١) رواه البخاري (٣٢٨٦)، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الغار، ومسلم (٢٢١٨)، كتاب: السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة وغيرها، عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ وهو وقتُ غَرَقِهِم.

﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ ينقضون العهدَ.

* * *

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

[١٣٦] ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحرِ ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: بسببِ تكذيبِهم بها ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ أي: عن النِّقْمَةِ قبلَ حُلولِها غافلينَ.

* * *

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعبادِ وذبحِ الأبناءِ، وهم بنو إسرائيلَ ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ والأرضُ: الشامُ ومصرُ، ومشارقُها ومغاربُها: جهاتُ الشرقِ والغربِ بها، ملكَها بنو إسرائيلَ بعدَ الفراعنةِ والعمالقةِ.

﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماءِ والأشجارِ والثمارِ.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ عِدَاتُه[1] الجميلةُ. و(كلمت) وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، أبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ.

﴿ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ بنصرِهِ إياهم ﴿ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ على الشدائِد.

﴿ وَدَمَّرْنَا ﴾ أهلَكْنا ﴿ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ ﴾ في أرضِ مصرَ من العماراتِ.

﴿ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾ من البساتين. قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (يَعْرُشُونَ) بضمِّ الراء، والباقون: بكسرها[2].

* * *

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾.

[١٣٨] ﴿ وَجَٰوَزْنَا ﴾ عَبَرْنا ﴿ بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ﴾ وكانَ ذلكَ يومَ عاشوراء.

﴿ فَأَتَوْاْ ﴾ فمروا ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ من لخم.

﴿ يَعْكُفُونَ ﴾ يُقيمون. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بكسر الكاف، والباقون: بضمها[3].

﴿ عَلَىٰٓ ﴾ عبادةِ ﴿ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ كانتْ على صورةِ البقرِ يعبدونها.

---

(١) في «ش»: «عدته».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٦_٣٩٧).

(٣) المصادر السابقة.

﴿قَالُوا۟﴾ يعني: بني إسرائيل لما رأوا ذلك.

﴿يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ صنماً نُعظِّمُه ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ يعبدونها.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ المعبود.

* * *

﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾.

[١٣٩] ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: عبدةَ الأصنامِ.

﴿مُتَبَّرٌ﴾ مُهْلَكٌ ﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾ من الشركِ.

﴿وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: شركُهم يزولُ، ويَهْلِكون إن لم يؤمنوا.

* * *

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

[١٤٠] ثم ﴿قَالَ﴾ موبِّخاً: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا﴾ أطلبُ لكم إلهاً معبوداً.

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ في زمانكم.

* * *

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

[١٤١] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (أَنْجاكُمْ)، وكذلكَ هو في مُصحفِ أهلِ الشامِ، والباقون: بياء ونون وألف بعدها، وكذلك هو في

مصاحِفهم[1]، المعنى: واذكروا إنقاذنا لكم.

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أشدَّه وأسوأَه.

﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ قرأ نافعٌ: (يَقْتُلُونَ) خفيفةً من القَتْل، والباقون: بالتشديدِ على التكثيرِ من التَّقتيل[2] ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ وفي الإنجاءِ والعذابِ محنةٌ عظيمةٌ.

* * *

﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾.

[١٤٢] ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (وَعَدْنَا) بقصرِ الألفِ من الوعدِ، والباقون: (وَاعَدْنَا) بالمدِّ من المواعدة[3].

﴿ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ ذا القعدةِ ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجةِ ﴿فَتَمَّ

(١) في «ن»: «مصحفهم». وانظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٨).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٢ و٢٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٨).

﴿مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: الوقتُ الذي وعدَه أن يخاطِبَه بَعْدَهُ.

﴿أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً﴾ تمييزٌ، وأربعين حالٌ؛ أي: بالغاً هذا العدد.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ عندَ انطلاقِهِ إلى الجبلِ للمناجاةِ.

﴿لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي﴾ كُنْ خليفتي.

﴿فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ أي: ومُرْهُمْ بالإصلاحِ.

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ لا تطعْ مَنْ عصى الله، وصَدَّهُمْ عن المعصيةِ، وذلك أن موسى وعدَ بني إسرائيلَ بمصرَ أن يأتيَهم بعدَ مهلكِ فرعونَ بكتابٍ من عندِ اللهِ فيه بيانُ ما يَأْتون ويَذَرون، فلما هلكَ، سألَ ربَّهُ الكتابَ، فأمره اللهُ أن يصوم ثلاثينَ يوماً، فلما تمَّت، أنكرَ خُلُوفَ فَمِهِ، فاستاكَ بعودِ خرُّوبٍ، فقالت له الملائكة: كنا نشمُّ من فيكَ رائحةَ المسكِ فأفسَدْتَهُ بالسِّواكِ، وأوحى الله إليه: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدِي أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ؟» فَأُمِرَ بصيامِ عشرةِ أيامٍ من أولِ ذي الحجة، ثم أَنزلَ عليه التوراةَ في العشرِ، وكلَّمه فيها، فكانتْ فتنتُهم في العشرِ التي زادَها(١).

* * *

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٤٦).

[١٤٣] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا ﴾ الوقتِ الذي وعَدْناه أن نكلِّمَه فيه، تَطَهَّرَ وَطَهَّرَ ثيابَه ﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ من غير واسطةٍ كما يشاءُ، وجبريلُ عليه السلام معه لم يسمعْ ما كلَّمه به، فلما سمعَ موسى كلامَ رَبِّهِ اشتاقَ إلى رؤيتِه، فَثَمَّ ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، والسوسيُّ عن أبي عمرٍو، ويعقوبُ: (أَرْنِي) بإسكانِ الراء، والباقون: بالكسرِ[1]؛ أي: أرني نفسَك لأتمكَّنَ من رؤيتِك.

﴿ قَالَ ﴾ اللهُ: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ وليسَ لبشرٍ أن يطيقَ النظرَ إليَّ في الدنيا، وسؤالُ الرؤيةِ دليلٌ على أن رؤيتَهُ تعالى جائزةٌ في الجملةِ؛ لأن طلبَ المستحيلِ من الأنبياءِ محالٌ، خُصوصاً ما يقتضي الجهلَ بالله، ولذلك ردَّهُ بقولِه: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ دونَ لَنْ أُرى، ولَنْ أُرِيَك، ولن تنظرَ إليَّ، وتعلقَتْ نُفاةُ الرؤيةِ بظاهرِ هذهِ الآيةِ وقالوا: قال الله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾، و(لن) تكونُ للتأبيد، قال البغويُّ: ولا حجَّةَ لهم فيه، ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا، أو في الحال، و(لن) لا تكونُ للتأبيد؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [البقرة: ٩٥] إخباراً عن اليهودِ، ثم أَخبرَ عنهم أنهم يتمَنَّونَ الموتَ في الآخرة، ويقولونَ: ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف: ٧٧]، و﴿ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة: ٢٧]، وقد وردتِ السنَّةُ بالحديثِ المتواترِ أَنَّ أهلَ الإيمانِ يرونَ الله يومَ القيامةِ، وقيل: إن طلبَ الرؤية لأجلِ الذينَ كانوا معه، الذين قالوا: أَرنا اللهَ جَهْرَةً، وردَّ البيضاويُّ هذا القولَ، وجعلَهُ خطأً، وتقدَّمَ كلامُ الأئمةِ الأربعةِ على رؤيتِه سبحانَه في الآخرةِ في سورةِ الأنعام.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٩).

﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ ﴾ وهو أعظمُ جبلٍ بمدْيَنَ يقالُ له: زبير؛ أي: لكنْ سأتجلَّى على الجبلِ الذي هو أقوى منكَ وأشدُّ.

﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ ﴾ لم يتزلزلْ.

﴿ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ ﴾ أي: سوف تثبتُ رؤيتي وتُطيقُها، وقد علمَ تعالى أن الجبلَ لا يثبتُ عندَ التجلِّي، فلذلكَ علَّقَ الرؤيةَ على ثُبوتِه.

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ ﴾ أي: ظهرَ نورُ ربِّه.

﴿ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ أي: مستوياً بالأرضِ. **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (دَكَّاءَ) بالمدِّ والهمزِ مفتوحاً؛ أي: كأرضٍ دَكَّاءَ، **وقرأ** الباقون: بالتنوينِ من غيرِ مَدٍّ ولا همزٍ، مصدرُ دَكَّه[1]، ومعناه التفسيرُ الأولُ.

﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ﴾ مَغْشِيّاً عليه لهولِ ما رأى، رُوي أنه خرَّ صَعِقاً يومَ الخميسِ يومَ عرفةَ، وأُعْطِيَ التوراةَ يومَ الجمعة يومَ النحر.

﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾ من غشوتِهِ ﴿ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ تنزيهاً لكَ عن الإدراكِ.

﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ عن سؤالِ الرؤيةِ ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ من بني إسرائيل، وقيل: أولُ المؤمنينَ بأنك لا تُرى في الدنيا. **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (وَأَنا أَوَّلُ) بالمدِّ، والباقون: بغير مد[2].

***

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٠).

﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾.

[١٤٤] ﴿ قَالَ ﴾ اللهُ ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ ﴾ اخترتُكَ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (إِنِّيَ) بفتحِ الياء، والباقون: بإسكانها[١].

﴿ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ في زمانِكَ.

﴿ بِرِسَـٰلَـٰتِى ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: (بِرِسَالَتِي) على التوحيد، والباقون: على الجمع[٢]، وإن كانَ هارونُ شريكَه في الرسالة، فهو تابعٌ له ﴿ وَبِكَلَـٰمِى ﴾ وبتكليمي.

﴿ فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ ﴾ أعطيتُكَ من الرسالة.

﴿ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ للهِ على نعمِه.

رُوِيَ أنَّ موسى عليه السلام مكثَ بعدَ أن كلَّمه الله عز وجل أربعينَ ليلةً لا يراهُ أحدٌ إلا ماتَ من نورِ اللهِ عز وجل.

* * *

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠١).

[١٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ﴾ أي: لموسى.

﴿فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ جمعُ لَوْح، سُمِّي بهِ لأنه يلوحُ فيه ما يُكْتَبُ، والمرادُ: ألواحُ التوراةِ، وفي الحديثِ: «كَانَتْ مِنْ سِدْرِ الجنَّةِ، طولُ اللَّوْحِ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعاً»(١)، وقيلَ: كَانَتْ من زُمُرُّدٍ، وقيلَ: من ياقوتةٍ حمراءَ، وقيل: من زَبَرْجَدٍ، وقيلَ: من صَخْرَةٍ صماء(٢) لَيَّنَها اللهُ لموسى، فقطعَها بيدِه، ثم شقَّها بأصابعِه فأطاعَتْه كالحديدِ لداودَ، وكانت عشرةً، وقيل: سبعةً، وقيل: وقْرَ سبعينَ بعيراً، كلُّ لوحٍ كطولِ موسى، وإضافةُ الكتابةِ إلى نفسِه على جهةِ التشريفِ؛ إذْ هيَ مكتوبةٌ بأمرِهِ، كتبها جبريلُ بالقلمِ الذي كتبَ به الذِّكْر، واستمدَّ من نهرِ النورِ، وسمعَ موسى صريرَ القلمِ بالكلماتِ العشرِ.

﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ مما أُمروا به، ونُهوا عنه، وعن مقاتل: كتب في الألواحِ: إنِّي أَنَا اللهُ الرحمنُ الرحيمُ، لا تُشْركوا بي شيئاً، ولا تَقْطَعوا السبيلَ، ولا تَحْلِفوا باسمي كاذباً؛ فإنَّ من حلفَ باسمي كاذباً، فلا أُزكيه، ولا تَقتلوا، ولا تَزْنوا، ولا تَعقُّوا الوالدينِ.

﴿مَّوْعِظَةً﴾ تذكيراً وتحذيراً بما يُخافُ عاقبتُه.

﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ تبييناً لكلِّ ما يحتاجون في دينهم إليه.

﴿فَخُذْهَا﴾ أي: الألواحَ ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدٍّ واجتهادٍ.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ بالأحسنِ منها، وهو الجمعُ بينَ فضائِلها وفرائِضها.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٣).

(٢) «صماء» ساقطة من «ش».

﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ دارَ فرعونَ وقومِه بمصرَ خاويةً على عروشِها.

* * *

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

[١٤٦] ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾ أي: عن تَدَبُّرِها[١] وفَهْمِها.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ على الناسِ.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بأن أَخْذُلَهم وأُعميَ بصائرَهم. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ: (آيَاتِي الَّذِينَ) بإسكانِ الياء، والباقون: بالفتح[٢].

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ دالَّةٍ على التوحيدِ ﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ لعنادِهم.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (الرَّشَدِ) بفتح الراء والشين، والباقون: بضم الراء وسكون الشين، وهما لغتان[٣]؛ كالبُخْل والبَخَل، ومعناه: الفلاحُ.

---

(١) في «ن»: «تدبيرها».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٢ـ١٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٢).

﴿ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ لأنفسِهم؛ لاستيلاءِ الشيطنةِ عليهم.

﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ ﴾ أي: طريقَ الضلال.

﴿ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ فهم ضالُّون.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الصرفُ.

﴿ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ساهِين.

* * *

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧) ﴾.

[١٤٧] ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ ﴾ الدار ﴿ الْآخِرَةِ ﴾ التي هي موعدُ الثوابِ والعقابِ ﴿ حَبِطَتْ ﴾ بَطَلَتْ ﴿ أَعْمَالُهُمْ ۚ ﴾ وصارَتْ كأنْ لم تكنْ ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ ﴾ أي: لا يجزون في الآخرة

﴿ إِلَّا ﴾ جزاءَ ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) ﴾.

[١٤٨] ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ ﴾ أي: من بعدِ ذهابِه إلى المناجاة.

﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ التي استعاروها من القِبْطِ بسببِ عرسٍ كانَ لهم، ونُسِبَ الاتخاذُ إليهم، وإن اتخذَهُ السامريُّ وحدَه؛ لأنهم رَضُوا بفعلِه، واتخذوا العجلَ معبوداً. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (حِلِيِّهِمْ) بكسر الحاء، ويعقوبُ: بفتح الحاءِ وإسكانِ اللام وتخفيفِ الياءِ على الإفراد، والباقون: بضمِّ

الحاء، جمع حَلْي، وكلُّهم كسرَ[1] اللامَ وشدَّدَ[2] الياءَ مكسورةً سوى يعقوبَ[3]؛ أي: اتخذَ السامريُّ منها.

﴿عِجْلًا﴾ مفعولُ (اتخذَ).

﴿جَسَدًا﴾ ذا لحمٍ ودمٍ.

﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ صوتُ البقرِ، رُوي أنَّ السامريَّ لما صاغَ العجلَ ألقى في فمِه من ترابِ أثرِ فرسِ جبريلَ، فصار حَيّاً، وقيل: الصوتُ من دخولِ الريحِ فيه، ثم عجبَ من عقولِهم السخيفةِ فقال:

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ تقريعاً على فرطِ ضلالَتِهم، ثم قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ تكريرٌ للذمِّ؛ أي: اتخذوه إلهاً.

﴿وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ بذلكَ.

***

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ندموا على عبادةِ العجلِ، يقال لكلِّ من ندمَ: (سُقِطَ في يدِهِ)؛ فإن النادمَ المتحسِّرَ يَعَضُّ يدَه غماً، فتصيرُ يدُه مسقوطاً فيها.

---

(١) في «ن»: «كسروا».

(٢) في «ن»: «وشددوا».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٣).

﴿وَرَأَوۡاْ﴾ علموا ﴿أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ بعبادةِ العجلِ.

﴿قَالُواْ﴾ تائبين: ﴿لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تَرْحَمْنَا) (وَتَغْفِرْ لَنَا) بالتاءِ فيهما على الخطاب (رَبَّنَا) بنصبِ الباء على النداء، وقرأ الباقون: بالغيب فيهما، ورفعِ الباء فاعلاً[1].

* * *

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾.

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ شديدَ الغضبِ، وقيلَ: حزيناً.

﴿قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي﴾ قُمتم مَقامي؛ أي: بئسما عملْتُم.

﴿مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾ أي: بعدَ ذهابي. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (بَعْدِي) بإسكانِ الياء، والباقونَ: بفتحها[2].

﴿أَعَجِلۡتُمۡ﴾ أَستبقتم بعبادةِ العجلِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٥).

﴿أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وهو انتظارُ موسى ليأتِيَهم بالتوراة بعدَ أربعينَ ليلةً، وأصلُ العجلةِ: طلبُ الشيءِ قبلَ حينه.

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي فيها التوراةُ غَضَباً لدينِه، وكان حاملاً لها، فتكَسَّرَتْ، فرفعَ ستةَ أسباعِ التوراةِ، وبقي سُبْعُها، وهو ما فيه الموعظةُ والأحكامُ، ورفعَ ما كانَ من أخبارِ الغيبِ.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعرِ رأسِه ولحيتِه ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ غَضباً عليه؛ كيفَ مَكَّنَهم من عبادةِ العجلِ، وكانَ هارونُ أكبرَ من موسى بثلاثِ سنينَ، وأحبَّ إلى بني إسرائيل؛ لرقَّتِه لهم.

﴿قَالَ﴾ هارونُ عندَ ذلكَ: يا ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (ابْنَ أُمِّ) بكسرِ الميم؛ أي: يا بن أمي، فحذفت الياء بالإضافة، وبقيتِ الكسرة لتدلَّ على الإضافة؛ كقوله: (يَا عِبَادِ)، وقرأ الباقون: بالفتح؛ أي: يا بنَ أماهُ[1]، وذَكَرَ الأُمَّ ليرقِّقَهُ عليه، وكانا من أبٍ وأمٍّ.

﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ﴾ يعني: عبدةَ العجل.

﴿ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟﴾ هَمُّوا أن.

﴿يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ﴾ تُفرحْ ﴿بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ بإهانتِكَ إيايَ.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بعبادةِ العجلِ؛ أي: قريناً لهم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٤)، و«الأمالي» لابن الشجري (٢/ ٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٦).

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾.

[١٥١] فلما اتَّضَحَ عذرُ أخيه ﴿قَالَ﴾ موسى:

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ ما صنعْتُ بأخي.

﴿وَلِأَخِي﴾ إنْ كانَ منهُ تقصيرٌ؛ ليرضيَ أخاه، ويسيءَ الشامتين.

﴿وَأَدْخِلْنَا﴾ جميعاً.

﴿فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أرحمُ بنا منا[1] على أنفسِنا.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾.

[١٥٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ مخاطبةٌ من الله سبحانه لموسى عليه السلام؛ لقوله تعالى:

﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ هو أمرُهم بقتلِ أنفسِهم توبةً.

﴿وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ هي خروجُهم من ديارهم؛ لأن في الغربة ذلةً.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ على الله، قال أبو قلابة: هو واللهِ جزاءُ كلِّ مُفْتَرٍ إلى يومِ القيامة أَنْ يُذِلَّهُ الله.

* * *

---

(١) «منا» زيادة من «ت».

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ .

[١٥٣] ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ من معصيةٍ وكفرٍ .

﴿ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ أي : السيئاتِ .

﴿ لَغَفُورٌ ﴾ لجميعِ الذنوب .

﴿ رَحِيمٌ ﴾ لمن تابَ .

* * *

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

[١٥٤] ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ ﴾ أي : سكنَ وزالَ .

﴿ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ باعتذارِ هارونَ .

﴿ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ﴾ بعدَ إلقائِها .

﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ أي : ما نُسِخَ فيها ؛ أي : كُتب .

﴿ هُدًى ﴾ من الضلالِ .

﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ من العذابِ .

﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ يخافونَ من ربهم .

* * *

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ (١٥٥) ﴾.

[١٥٥] ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾ أي: من قومِه، فَحُذِفَ الجارُّ، فتعدَّى الفعلُ فنصبَ (قَوْمَهُ).

﴿ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾ للوقتِ الذي واعدناه أنْ يأتينا فيه بسبعين رجلاً من خيارِ قومِه يعتذرونَ إلينا من عبادةِ العجلِ، فخرج بهم موسى إلى طور سيناء، فسمعوا أمرَ الله ونهيَه، فقالوا: أَرِنا اللهَ جهرةً، فزجرَهم موسى فلم ينزجروا، فأخذتهم الرجفةُ؛ أي: الصاعقةُ، فماتوا يوماً وليلة، وتقدَّم ذكرُ القصةِ في سورة البقرة، وقال وهبٌ: لم تكنِ الرجفةُ موتاً، ولكن لما رأوا تلكَ الهيبةَ العظيمةَ، أخذتهم الرِّعْدَةُ، ورجفوا حتى كادت تبينُ مفاصلُهم.

﴿ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ رحمَهم موسى.

و ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ ﴾ عن عبادةِ العجلِ.

﴿ وَإِيَّٰىَ ﴾ بقتلِ القبطيِّ.

﴿ أَتُهْلِكُنَا ﴾ أتعمُّنا بالهلاك.

﴿ بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ استفهامُ استعطافٍ، ومعناهُ نفيٌ؛ أي: ما تعذِّبنا بذنبِ غيرِنا.

﴿ إِنْ هِىَ ﴾ أي: الفتنة.

﴿إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ محنتُك واختبارُك حينَ أَسْمعتَهم كلامَك حتى طَمِعُوا في الرؤية.

﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ أي: بالامتحانِ.

﴿مَن تَشَآءُ﴾ ضلالَهُ.

﴿وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ﴾ هُداهُ.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ القائمُ بأمرنا، وتقدَّمَ التنبيهُ على اختلافِ القراءِ في حكمِ الهمزتينِ من كلمتينِ عندَ قوله تعالى: ﴿أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم﴾ [الأعراف: ١٠٠]، وكذلك اختلافُهم في (مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ).

﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ واغفرْ معناهُ: استر ما قارَفْناه.

﴿وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ تغفرُ السيئةَ، وتبدلها بالحسنة، وقيل: إن السبعينَ الذين قالوا: لن نؤمنَ لكَ حتى نرى اللهَ جهرةً، فأخذتهم الصاعقةُ، كانوا قبلَ السبعينَ الذين أخذَتْهم الرجفةُ.

***

﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾.

[١٥٦] ﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً﴾ عافيةً.

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الجنةَ.

﴿إِنَّا هُدۡنَآ﴾ تُبْنا.

﴿إِلَيۡكَ﴾ أي: حَرَّكْنا نفوسَنا إليك بالتوبةِ.

﴿قَالَ﴾ الله سبحانه:

﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾ من خَلْقي. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (عَذَابِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ﴾ عمَّتْ.

﴿كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾، فلما نزلت، قال الخبيثُ إبليسُ: أنا شيءٌ، فأُخْرِجَ منها بقوله تعالى:

﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ أي: أثبتُها في الآخرةِ.

﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكفرَ.

﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ خصَّها بالذكرِ؛ لأنها كانتْ أشقَّ عليهم.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

***

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾.

[١٥٧] فقالَ أهلُ الكتاب: نحن نتَّقي ونزكِّي ونؤمنُ، فخرجوا منها بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ﴾ هو محمدٌ ﷺ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٩).

﴿ٱلْأُمِّىَّ﴾ الذي لا يكتبُ ولا يقرأ، منسوبٌ إلى الأمِّ؛ أي: هو على ما ولدته أمُّهُ، وصفه به تنبيهاً على أنَ كمالَ علمِه مع حالِه أحدُ معجزاتِه.

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ﴾ أي: وصفُه.

﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ الإيمانِ.

﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ الشركِ، والمعروفُ: ما عرفَهُ العقلُ أو الشرعُ بالحُسْنِ، والمنكرُ: ما أنكرَهُ أحدُهما لقبحِه.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ كالشحومِ ونحوِها مما كان حُرِّمَ[1] عليهم.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ ما يُسْتَخْبَثُ حِسّاً؛ كالدمِ والميتةِ ونحوِهما.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ وهو كلُّ ما يَثْقُلُ على الإنسانِ من قولٍ أو فعلٍ. قرأ ابنُ عامرٍ: (آصَارَهُمْ) على الجمع، والباقون: على الإفراد[2].

﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ﴾ الأثقالَ.

﴿ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ من التكاليفِ الشاقَّةِ؛ كتعيُّنِ القصاصِ في القتلِ العمدِ والخطأِ، وتحريمِ أخذِ الديةِ، وقطعِ الأعضاءِ الخاطئةِ، وقَرْضِ موضعِ النجاسةِ من الجلدِ والثوبِ بالمقراضِ، وتركِ العملِ في السبتِ، وأنَ صلاتَهم لا تجوزُ إلا في الكنائسِ، وغيرِ ذلك من الشدائدِ.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: بمحمد ﷺ.

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ عظَّموه.

---

(١) في «ن»: «حرام».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٠).

﴿وَنَصَرُوهُ﴾ على الأعداء.

﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ أي: عليه، يعني: القرآنَ.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزونَ.

* * *

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾.

[١٥٨] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ هذا أمرٌ من الله سبحانه لنبيِّهِ بإشهارِ الدعوةِ والحضِّ على الدخولِ في الشرعِ، والمعنى: إن كلَّ رسولٍ بُعِثَ لأمَّتِه، والنبيُّ ﷺ بُعِثَ إلى كافةِ الثقلينِ.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صفةٌ لله، وإن حيلَ بينَ الصفةِ والموصوفِ بقولِه: ﴿إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لأنه كالمقدَّمِ عليه.

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ولا معبودَ سواه.

﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ مزيدُ تقريرٍ؛ لاختصاصِه بالألوهية.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ ما أَنزلَ عليهِ وعلى سائرِ الرسلِ من كتبِه ووحيِه.

﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إرادةَ أن تهتدوا.

* * *

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

[١٥٩] ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾ يعني: المؤمنينَ الثابتينَ من بني إسرائيل.

﴿أُمَّةٌ﴾ جماعةٌ.

﴿يَهْدُونَ﴾ الناسَ.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يرشدونهم بكلمةِ الحقِّ.

﴿وَبِهِۦ﴾ أي: بالحقِّ.

﴿يَعْدِلُونَ﴾ بينَهم في الحكم.

* * *

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

[١٦٠] ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ أي: صَيَّرْناهم؛ يعني: بني إسرائيلَ.

﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ والسِّبْطُ مذكَّرٌ، فرجعَ التأنيثُ إلى قوله:

﴿أُمَمًا﴾ أي: قبيلةً، والأسباطُ: القبائلُ، واحدُها سبطٌ، وكانوا اثنتي عشرةَ قبيلةً من اثني عشرَ ولداً من ولدِ يعقوبَ ـ عليه السلام ـ، وكانَ كلُّ سبطٍ أمةً عظيمةً، والسبطُ في ولدِ إسحاقَ كالقبيلةِ في ولدِ إسماعيلَ، وتُنصبُ (أسباطاً) بدلاً من (اثنتي عشرة) وتنُصب (أمماً) نعتاً لأسباطاً.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ ﴾ في التيهِ.

﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾ انفجرَتْ.

﴿ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾ لكلِّ سبطٍ عينٌ.

﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ ﴾ كلُّ سبطٍ.

﴿ مَّشْرَبَهُمْ ۚ ﴾ وكلُّ سبطٍ بنو أبٍ واحدٍ.

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ ﴾ ليقيَهم حرَّ الشمسِ.

﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ ﴾ سبقَ تفسيرُهما في سورةِ البقرة.

﴿ كُلُوا۟ ﴾ أي: وقلْنا لهم: كلوا.

﴿ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ وسبق تفسيرُه أيضاً فيها.

* * *

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾.

[١٦١] ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ﴾ أي: واذكرْ إذ قيل لهم:

﴿ ٱسْكُنُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ هي بيتُ المقدسِ.

﴿ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وعدٌ بالغفرانِ والزيادةِ عليه بالإثابةِ، وتقدَّم تفسيرُه في سورة البقرة، وتقديمُ (قُولُوا حِطَّةٌ) على (وَادْخُلوا) هنا لا أثرَ له في المعنى؛ لأنه لا يوجبُ الترتيب. قرأ نافعٌ،

وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ، وابنُ عامرٍ: (تُغْفَرْ) بالتاء مضمومةً وفتحِ الفاء، والباقون: بالنونِ مفتوحةً وكسرِ الفاء، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (خَطِيئَاتُكُمْ) بجمع السلامة ورفعِ التاء، وابنُ عامرٍ: (خَطِيئَتُكُمْ) بالإفراد ورفعِ التاء، وأبو عمرٍو: (خَطَايَاكُمْ) على وزن عَطاياكم بجمعِ التكسيرِ، والباقون وهم الكوفيون، وابنُ كثيرٍ: بجمع السلامةِ وكسرِ التاء نَصْباً(١)، واتَّفقوا على (خَطَايَاكُمْ) في البقرةِ من أجلِ الرسم.

* * *

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ تقدَّم تفسيرُه في البقرة.

* * *

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾.

[١٦٣] ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ أي: سَلْ يا محمدُ هؤلاءِ اليهودَ الذين هم جيرانُك سؤالَ توبيخ. قرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَسَلْهُمْ) بنقل

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥-٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٢-٤١٣).

حركة الهمزةِ إلى الساكنِ قبلَها وهو السينُ(١).

﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي: سَلْهم عن خبرِ أهلِ القرية.

﴿ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ أي: على شاطئِهِ، وهي أيلةُ مدينةٌ كانت على شاطئ البحرِ بينَ مصرَ ومكةَ، سُميت بأيلةَ بنت مَدْيَنَ بنِ إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ، وهي أولُ حَدِّ الحجازِ من جهةِ الشام، وكانت حدَّ مملكةِ الروم في الزمنِ الماضي، وبينَها وبينَ بيتِ المقدسِ نحوُ ثمانيةِ أيامٍ، والطورُ الذي كلَّمَ اللهُ عليه موسى عليه السلام على يومٍ وليلةٍ منها.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ يتعدَّوْنَ ما أُمروا به من تركِ الصيدِ.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ أي: تَعْظِيمِهم أمرَ السبتِ.

﴿شُرَّعًا﴾ ظاهرةً على الماءِ، جمعُ شارعٍ.

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ لا يقطعونَ الشغلَ.

﴿لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ مثلَ ذلكَ البلاءِ الشديدِ نبلوهم بسببِ فسقِهم، وتقدَّم ذكرُ القصة مستوفىً؛ وحكمُ طلب القاضي لليهوديِّ في يومِ السبتِ في سورة البقرة.

* * *

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٤).

[١٦٤] ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ جماعةٌ من صُلحائِهم بعدَ يأسِهم من توبةِ العادِين:

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرةِ؛ لتماديهم في العصيان؛ أي: وجبَ عذابُهم، فلا ينفعُهم الوعظُ.

﴿قَالُوا۟﴾ أي: الناهون ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (مَعْذِرَةً) بالنصب؛ أي: نفعلُ ذلكَ معذرةً إلى ربكم، وقرأ الباقون: (مَعْذِرَةٌ) بالرفع[1]؛ أي: موعظتُنا عذرٌ عندَه لئلاَّ نُنْسَبَ إلى تقصيرٍ ما في النهيِ عن المنكرِ.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ اللهَ.

***

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (١٦٥)﴾.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ أي: تركَ أهلُ القرية.

﴿مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ من الوعظِ من الصيدِ.

﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ وهو أخذُ الحيتانِ.

﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بأخذِها.

﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ شديدٍ. قرأ ابنُ عامرٍ (بِئْسٍ) بكسرِ الباء وهمزةٍ ساكنة

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٥).

بعدَها، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: بكسرِ الباءِ وياءٍ ساكنةٍ بعدَها من غيرِ همزٍ، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ (بَيْئَسٍ) بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة على وزن (فَيْعَلٍ)، [وقرأ الباقون: بفتح الباءِ وكسرِ الهمزة وياءٍ بعدها على وزن (فَعِيل)][(1)]، وكلُّها لغاتٌ[(2)]، وكانَ أهلُ القريةِ نحوَ سبعينَ ألفاً، ثلثٌ نهوا، وثلثٌ لم ينهوا وسكتوا وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ وثلثٌ هم أصحابُ الخطيئة، فنجتِ الساكتةُ والناهيةُ، وعُذِّبتِ الصائدةُ عذاباً شديداً.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ بسببِ فسقِهم.

***

﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

[١٦٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟﴾ تجبَّروا.

﴿عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ من الصيدِ، فلم يمتثلوا النهيَ.

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ مُبْعَدِينَ، فمكثوا ثلاثةَ أيامٍ ينظرُ إليهم الناسُ، ثم هلكوا، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ مستوفاة في سورةِ البقرة، وذكرُ الخلافِ في حكمِ الحيلِ.

***

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٦-٤١٨).

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾.

[١٦٧] ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ ﴾ أعلمَ.

﴿ رَبُّكَ ﴾. قرأ أبو عمرٍو: (تَأَذَّنَ رَّبُّكَ) بإدغامِ النونِ في الراء(١)، المعنى: وإذْ أوجبَ وحكمَ ربُّكَ.

﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ﴾ ليرسلَنَّ على اليهودِ.

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ ﴾ يُذيقُهم ﴿ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ ﴾ فبعثَ الله عليهم بعدَ سليمانَ عليه السلام بُخْتَ نَصَّرَ، فخرَّبَ ديارَهم، وقتلَهم، وسبى نساءهم وذراريَّهم، وضربَ الجزيةَ على مَنْ بقيَ منهم، وكانوا يؤدُّونَ الجزيةَ إلى المجوسِ إلى بعثِ محمدٍ ﷺ، فضربَها عليهم إلى يومِ القيامة.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ ﴾ عاقبَهم في الدنيا.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لمن تابَ وآمنَ.

* * *

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾.

[١٦٨] ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ ﴾ فِرَقاً، حالٌ.

﴿ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ المؤمنونَ بمحمدٍ ﷺ.

﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ أي: مُنْحَطُّون عن رتبةِ الصالحينَ، وهم الكفرةُ.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٢٠).

﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ النعمِ.

﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ النِّقَمِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ينتهون عن كفرِهم.

* * *

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: فخلفَ بعدَ المذكورين جماعةٌ، وهم مَنْ عاصر النبيَّ ﷺ من اليهود، والخَلَفُ بفتحِ اللام: الصالحُ، وبالسكون: الطالح، والتلاوةُ بسكونِ اللام.

﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراةَ.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ هذا الشيء الدنيءَ من حُطامِ الدنيا، وهو الرشوةُ لتغييرِ بعضِ ما في التوراةِ، وصفةِ محمدٍ ﷺ.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ لا نُؤاخَذُ بذلك.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ أي: يرجونَ المغفرةَ وهم عائدونَ إلى مثلِ فعلِهم، والمغفرةُ إنما تحصُلُ للتائب. قرأ رويسٌ عن يعقوبَ: (يَأْتِهُمْ) بضمِّ الهاء[1].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٠).

﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: إنما أُخذَ عليهم العهدُ في التوراةِ.

﴿ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ والمرادُ توبيخُهم على البَتِّ بالمغفرةِ مع عدمِ التوبةِ، وليسَ في التوراةِ إيعادُ المغفرةِ معَ الإصرارِ.

﴿ وَدَرَسُوا۟ ﴾ أي: قرؤوا.

﴿ مَا فِيهِ ﴾ وعلموه.

﴿ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ مما يأخذُ هؤلاء.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فيعلمون ذلك. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (تَعْقِلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[1].

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾.

[١٧٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ ﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ (يُمْسِكُونَ) مخفَّفاً، والباقون: مشدداً[2]؛ أي: يعتصمونَ، وهم المؤمنون من أهلِ الكتابِ: عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ وأصحابُه تمسكوا.

﴿ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ الذي جاء به موسى، فلم يحرِّفوه، ولم يكتموهُ.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٢ و١١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢١).

﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ وخُصَّتِ الصلاةُ بالذكرِ تفضيلاً لها.

***

﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾.

[١٧١] ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ﴾ رفَعْنا.

﴿ ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ فرُفع على رُؤوسِهم.

﴿ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾ هو كلُّ ما غطَّى وسترَ من سحابٍ وغيرِه.

﴿ وَظَنُّوٓا۟ ﴾ علموا وأيقنوا.

﴿ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ فلما تيَقَّنوا الهلاكَ، قبلوا التوراةَ، فقلنا لهم:

﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ عزمٍ، وإن شَقَّ عليكم.

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ ﴾ من الأحكامِ، واعملوا بها.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ قبائحَ الأعمالِ، وذلكَ حينَ أَبَوا أن يقبلُوا أحكامَ التوراة، فرفعَ اللهُ على رؤوسِهم جبلاً، فلما نظروا إلى الجبل، خَرَّ كلُّ رجلٍ ساجداً للهِ على حاجبِه الأيسرِ ينظرُ بعينِه اليمنى إلى الجبل فَرَقاً من أن يسقُطَ عليه، ولذلك لا تجدُ يهودياً إلا ويكونُ سجودُه على حاجبِهِ الأيسرِ، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ في سورةِ البقرة.

***

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾.

[١٧٢] ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ومعنى أَخْذُ ذُرياتهم من ظهورِهم: إخراجُهم من أصلابِهم كالذَّرِّ، ولم يذكرْ ظهرَ آدمَ؛ للعلمِ به، والإخراجُ كانَ منهُ؛ لأنهم استُلُّوا من ظهرِ آدمَ، ثم استلُّوا نسلاً من نسلٍ كما يتوالدُ الأبناءُ من الآباء، المعنى: واذكرْ وقتَ أخذِ الله تعالى الميثاقَ على بني آدمَ حين استُلُّوا من ظهرِه، واستلَّ أولادُهم من ظهورِهم. قرأ الكوفيون، وابنُ كثيرٍ: (ذُرِّيتَهم) على الإفرادِ مع نصبِ التاء؛ لأنها جنسٌ تعمُّ القليلَ والكثير، وقرأ الباقون: (ذُرِّيَّاتِهِمْ) على الجمعِ مع كسرِ التاءِ[1]، رُويَ أن الله مسحَ صفحةَ ظهرِ آدمَ اليُمنى، فأخرجَ منه ذريةً بيضاءَ كهيئةِ الذرِّ يتحرَّكون، ثم مسحَ صفحةَ ظهرِه اليسرى، فأخرجَ منه ذريةً سوداءَ كهيئةِ الذرِّ، فقال: يا آدمُ! هؤلاءِ ذريتُك، ثم قال لهم: ألستُ بربِّكُمْ؟ قالوا: بلى، فقالَ للبيض: هؤلاءِ في الجنةِ برحمتي، وهم أصحابُ اليمين، وقال للسودِ: هؤلاءِ في النارِ ولا أبالي، وهم أصحابُ الشمال، ثم أعادهم جميعاً في صُلبه، فأهلُ القبورِ محبوسون حتى يخرجَ أهلُ الميثاقِ كلُّهم من أصلابِ الرجالِ وأرحامِ النساء، قال الله تعالى فيمن نقضَ العهدَ الأول: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، ورُوي أنَّ أهلَ السعادةِ أقروا طوعاً، وقالوا:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٢).

﴿ بَلَىٰ ﴾، وأهلُ الشقاوة قالوه تقيةً، وكُرْهاً، وذلكَ معنى قولِه تعالى: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ ﴾[1] [آل عمران: ٨٣]، وكان الميثاقُ بنعمانَ، وهي عرفةُ وما يليها، وقيل: بأرض الهندِ حيثُ هبطَ آدمُ عليه السلام فيه، وقيلَ: في سماء الدنيا حينَ هبطَ من الجنة إليها.

﴿ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ أي: أشهدَ بعضَهم على بعضٍ حينَ قالَ: ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ ﴾ استفهامُ تقريرٍ؛ أي: ما تُقِرُّونَ وتعترفونَ بأني رَبُّكُم؟

﴿ قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴾ نحنُ نقرُّ ونعترفُ بهذا الاعترافِ والإقرارِ، وهذا شأنُ بني آدَمَ لا يُسأَلُ أحدٌ منهم: أليس اللهُ ربَّكَ؟ إلا قال: بلى، فهم مفطورونَ على ذلك، فكلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرةِ، فالإقرارُ بالخالقِ فطريٌّ لهم، كلُّهم يُقِرُّ به، وقولهم: (بلى) ردٌّ للنفي، فثبتَ إيمانُهم؛ لجوابهم ببلى، ولو أجابوا بنعم، لكفروا؛ لأن (نعم) تصديقٌ لما سبقَها من نفيٍ أو إثباتٍ، و(بلى) إثباتٌ لما بعدَ النفي، وليسَ نفيٌ، واستفهامُ التقريرِ أكَّدَ معنى النفي، والباءُ في خبر (ليس) زادته تأكيداً، وتقديرُه: بلى أنتَ ربُّنا.

﴿ شَهِدۡنَآۛ ﴾ على أنفسِنا، وأقررْنا بوحدانيتك.

﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾ أي: فعلْنا ذلكَ بهم حتى اعترفوا لئلاَّ يقولوا.

﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا ﴾ الإقرارِ.

﴿ غَٰفِلِينَ ﴾ لم نشعرْ، فلم يبقَ لهم حجةٌ علينا.

قال القرطبيُّ: فقد استُدِلَّ بهذه الآية أنَّ من ماتَ صغيراً دخلَ الجنةَ؛ لإقراره في الميثاقِ الأولِ، ومن بلغ العهدَ، لم يُغْنِه الميثاقُ[2].

---

(١) رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٨/ ٨٥).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٣١٧).

﴿ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾.

[١٧٣] ﴿ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ فاقتدَيْنا بهم. قرأ أبو عمرٍو: (أَنْ يَقُولُوا) و(أَوْ يَقُولُوا) بالغيب، لأنَّ أولَ الكلامِ على الغيبة، وقرأ الباقون: بالخطاب فيهما[١]، رداً على لفظِ الخطابِ المتقدِّمِ في قولِه: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)؛ أي: أخاطِبُكم بذلك لئلاَّ تقولوا يومَ القيامةِ: إنَّا كُنَّا عن هذا غافلينَ.

﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ فتعذِّبُنا بجنايةِ آبائِنا المبطِلينَ، فلا يُمكنُهم الاحتجاجُ بذلك معَ الإقرارِ.

* * *

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾.

[١٧٤] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ﴾ أي: نُبيِّنُها ليتدبَّرَها العبادُ.

﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ من الكفرِ إلى التوحيد، قال البغويُّ: فإن قيلَ: كيف تلزمُ الحجةُ واحداً لا يذكرُ الميثاق؟! قيل: قد[٢] أوضحَ اللهُ الدلائلَ على وحدانيته، وصدقِ رسلِهِ فيما أخبروا، فمن أنكرَهُ، كان معانِداً ناقِضاً للعهد، ولزمَتْه الحجةُ، وبنسيانِهم وعدمِ حفظِهم لا يسقطُ الاحتجاجُ بعدَ إخبارِ المخبرِ الصادقِ صاحبِ المعجزةِ ﷺ[٣].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٨).

(٢) في «ت»: «وقد».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٢٣).

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾.

[١٧٥] ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: اسرُدْ وقُصَّ عليهم، والضميرُ في (عليهم) عائد على حاضري محمدٍ ﷺ من الكفارِ وغيرِهم.

﴿ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ قيلَ: نزلت في أمية بنِ أبي الصَّلْتِ، كانَ قد قرأ الكتبَ، وعلمَ أن الله مرسِلٌ رسولاً في ذلك الزمان، ورجا أن يكونَ هو، فلما بُعِثَ محمدٌ ﷺ، حسدَهُ، وكفرَ به، وقيل: نزلتْ في عالمٍ من علماءِ بني إسرائيلَ اسمُه بَلْعَمُ بنُ باعوراءَ، أُوتي علمَ بعضِ كتبِ الله، فطلبَ قومُه منه أن يدعوَ على موسى ومَنْ معه، فأبى، وقالَ: كيف أدعو على مَنْ معه الملائكةُ، فألحوا عليه، فلم يزالوا به حتى فعلَ، فانقلبَ دعاؤه عليه، وخرجَ لسانُه على صدره، ونزع الله منه المعرفَةَ.

﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ فخرجَ من الآياتِ بكفرِه كما تخرجُ الحيةُ من جلدِها، ولم ينتفعْ بعلمِه[1].

﴿ فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي: لحقَه وصارَ قريناً له.

﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ الضالِّينَ، وهذه أشدُّ آيةٍ على العلماء، وأيُّ مصيبةٍ أعظمُ من أن يؤتى العالُم علماً، فيكونَ وبالاً عليه؟!

***

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:١٢٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/٦٠٨).

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾.

[١٧٦] ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ ﴾ بعلمه.

﴿ بِهَا ﴾ إلى منازلِ الأبرارِ من العلماء.

﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ ﴾ اطمأنَّ.

﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني: الدنيا.

﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ في إيثارِ الدنيا واسترضاءِ قومِه.

﴿ فَمَثَلُهُۥ ﴾ صفتُه.

﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ في أخسِّ أوصافِه، وهي.

﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ﴾ يدلعُ لسانَه.

﴿ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ أي: إن زجرتَهُ بالموعظة، فلم ينزجِر، وإن تركته، لم يهتدِ، فالحالتانِ عنده سواءٌ.

﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ بخلافٍ عن قالونَ: (يَلْهَثْ ذَلِكَ) بإظهارِ الثاءِ عندَ الذالِ، والباقون: بالإدغام[١].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٤).

﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ ﴾ أي: اسرُدْ عليهم ما يعلمون أنه من الغيوبِ التي لا يعلَمُها إلا أهلُ الكتبِ الماضيةِ.

﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في ذلكَ، فيؤمنون.

* * *

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾.

[١٧٧] ﴿ سَآءَ ﴾ أي: بئسَ.

﴿ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ﴾ التقديرُ: ساءَ مثلاً مَثَلُ القومِ.

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ بعدَ علمِهم بها.

﴿ وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴾ أي: جمعوا بينَ التكذيبِ وظلمِ أنفسهم.

* * *

﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾.

[١٧٨] ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ ﴾ أجمع القراء على إثباتِ الياءِ هنا في (المهتدي)[١].

﴿ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ تصريحٌ بأنَّ الهدى والضلالَ من الله تعالى، وفيه رَدٌّ على القدريَّةِ، وعلى من قال: إن الله تعالى هدى جميعَ المكلَّفينَ، ولا يجوز أن يُضِلَّ أحداً.

* * *

(١) انظر: «المقنع في رسم مصاحف الأمصار» باب: ذكر ما رسم بإثبات الياء على الأصل، (ص: ١٤).

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ .

[١٧٩] ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾ خلَقْنا. قرأ أبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَقَد ذَّرَأْنَا) بإدغامِ الدالِ في الذال، والباقون: بالإظهار(١).

﴿ لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ وهم الذين حقَّتْ عليهمُ الكلمةُ الأزليةُ بالشقاوة.

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ إذ لا يُلقونها إلى معرفةِ الحقِّ.

﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ سبيلَ الرشادِ.

﴿ وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ مواعظَ القرآنِ فيؤمنون، ثم ضربَ لهم مثلاً في الجهلِ فقال:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ في عدمِ الفهمِ والاقتصارِ على نيل الشهواتِ.

﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ لأنَّ الأنعامَ تطلبُ منافعَها، وتهربُ من مضارِّها.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ الكاملونَ في الغفلة.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٤).

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾.

[١٨٠] رُوي أن رجلاً دعا اللهَ في صلاته، ودعا الرحمنَ، فقال بعضُ مشركي مكةَ: إن محمداً وأصحابَه يزعمون أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بالُ هذا يدعو اثنين؟! فأنزلَ اللهُ عز وجل:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ﴾[1] الصفاتُ.

﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ العُليا الدالَّةُ على معانٍ حسنةٍ.

﴿ فَٱدْعُوهُ ﴾ سَمُّوهُ ﴿ بِهَا ﴾.

قال ﷺ: «إنَّ للهِ تِسْعاً وَتِسعينَ اسْماً، مِئَةً إلاَّ وَاحِداً، مَنْ أَحْصَاها، دَخَلَ الجَنَّةَ، إنَّ اللهَ وِترٌ يُحبَّ الْوِتْرَ»[2]، ومعنى أحصاها: حفظها وهي: «هو اللهُ الذي لا إلهَ إلا هوُ الرحمنُ الرحيمُ الملكُ القدوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبرُ الخالقُ البارىءُ المصورُ الغفارُ القهارُ الوهابُ الرزاقُ الفتاحُ العليمُ القابضُ الباسطُ الخافضُ الرافعُ المعزُّ المذلُّ السميعُ البصيرُ الحكمُ العدلُ اللطيفُ الخبيرُ الحليمُ العظيمُ الغفورُ الشكورُ العليُّ الكبيرُ الحفيظُ المقيتُ الحسيبُ الجليلُ الكريمُ الرقيبُ المجيبُ الواسعُ الحكيمُ الودودُ المجيدُ الباعثُ الشهيدُ الحقُّ الوكيلُ القويُّ المتينُ الوليُّ الحميدُ المحصي المبدي المعيدُ المحيي المميتُ الحيُّ القيومُ الواجدُ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧٥).

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٧)، كتاب: الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحدة، ومسلم (٢٦٧٧)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

الماجدُ الواحدُ الأحدُ الصمدُ القادرُ المقتدرُ المقدِّمُ المؤخِّرُ الأولُ الآخِرُ الظاهرُ الباطنُ الوالي المتعال البرُّ التوابُ المنتقمُ العفوُّ الرؤوفُ مالكُ الملكِ ذو الجلالِ والإكرامِ المقسطُ الجامعُ الغنيُّ المغني الضارُّ النافعُ النورُ الهادي البديعُ الباقي الوارثُ الرشيدُ الصبورُ» حديثٌ حسنٌ رواه الترمذيُّ وغيرُه[١].

قال اليافعيُّ رحمه الله في كتابه «الدرّ النظيم في فضائلِ القرآنِ العظيم»: وهي في القرآنِ على هذا الترتيب، في سورةِ الفاتحةِ خمسةٌ: اللهُ ربُّ الرحمنُ الرحيمُ مالكٌ، وفي سورةِ البقرةِ ستةٌ وعشرون: محيطٌ قديرٌ عليمٌ حكيمٌ توابٌ نصيرٌ واسعٌ بديعٌ سميعٌ كافي رؤوفٌ شاكرٌ إلهٌ واحدٌ غفورٌ حليمٌ قابضٌ باسطٌ لا إلهَ إلا هوَ حيٌّ قيومٌ عليٌّ عظيمٌ وليٌّ غنيٌّ حميدٌ، وفي سورةِ آلِ عمرانَ ثلاثةٌ: قديمٌ وهابٌ سريعٌ، وفي سورةِ النساءِ سبعةٌ: رقيبٌ حسيبٌ شهيدٌ غافرٌ غفورٌ مُقيتٌ وكيلٌ، وفي الأنعامِ خمسةٌ: باطنٌ قاهرٌ قادرٌ لطيفٌ خبيرٌ، وفي سورةِ الأعرافِ اثنان: مُحْيي مُميتٌ، وفي سورةِ الأنفالِ اثنان: نعمَ المولى ونعمَ النصير، وفي سورةِ هودٍ سبعةٌ: حفيظٌ قريبٌ مجيبٌ قويٌّ مَجيدٌ وَدودٌ فَعّالٌ لما يريدُ، وفي سورةِ الرعدِ اثنان: كبيرٌ مُتَعالٍ، وفي سورة إبراهيم: مَنَّانٌ، وفي سورةِ الحجِّ: باعثٌ، وفي سورةِ المؤمنين: كريمٌ، وفي سورةِ النورِ ثلاثةٌ: نورٌ حقٌّ مبينٌ، وفي سورةِ سبأ: فتاحٌ، وفي سورة المؤمن أربعةٌ: قابلُ التوبِ شديدُ العقابِ ذو الطولِ غفارٌ، وفي سورة الذاريات اثنان: رزاقٌ ذو القوةِ المتينُ، وفي سورةِ الطورِ: بَرٌّ، وفي سورةِ القمرِ: مقتدرٌ، وفي سورة الرحمن: ذو الجلالِ والإكرامِ، وفي

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٧)، كتاب: الدعوات، باب: (٨٣) وقال: غريب.

سورة الحديد أربعة: أولُ آخرُ ظاهرٌ باطنٌ، وفي سورة الحشرِ عشرةٌ: قُدُّوسٌ سلامٌ مؤمنٌ مهيمنٌ عزيزٌ جبارٌ متكبرٌ خالقٌ بارىء مصورٌ، وفي سورة البروج: مبدئٌ معيدٌ، وفي سورة الإخلاص أَحَدٌ صَمَدٌ. انتهى.

﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا.

﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ ويسمونه بما لا توقيفَ فيه، والإلحادُ: الميلُ عن الحق. قرأ حمزةُ: (يَلْحَدُونَ) بفتح الياء والحاء، والباقون: بضمِّ الياءِ وكسرِ الحاء(1)، وهما لغتان، والملحِدون: هم المشركون، عَدَلوا بأسماء الله عَمَّا هي عليه، فسمَّوا بها أوثانَهم، فزادوا ونَقَصوا، فاشتقوا اللاتَ من الله، والعزَّى من العزيز، ومناة من المنَّانِ.

﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في الآخرة، وهذه الآيةُ منسوخةٌ بآيةِ السيف.

***

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ (١٨١)﴾.

[١٨١] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ﴾ هم المسلمون.

﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ يأخذونَ به.

﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ في الأمرِ.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٥).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ .

[١٨٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ سنأخذُهم قليلاً قليلاً كما يترقى الدرجة درجةً درجةً .

﴿ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ما نريدُ بهم .

* * *

﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ .

[١٨٣] ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ﴾ أطيلُ المدَّةَ .

﴿ إِنَّ كَيْدِى ﴾ أَخْذي .

﴿ مَتِينٌ ﴾ شديدٌ ، وسمي كيداً ؛ لأنَّ ظاهرَه إحسانٌ ، وباطنه خِذْلانٌ .

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ .

[١٨٤] رُوي أنه ﷺ قامَ على الصفا ليلاً يدعو قريشاً فَخذاً فَخذاً يحذِّرُهم وقائعَ الله تعالى ، فقالَ قائلُهم : إنه مجنونٌ باتَ يصوِّتُ على الصَّفا إلى الصباح ، فنزل :

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ﴾(١) أَبصاحِبهم جنونٌ أم لا؟ ثم نفى عنه الجنونَ بقوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ أي : جنون .

﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أي : ما هو .

﴿ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ واضحٌ إنذارُه .

---

(١) انظر : «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٦٢٤) ، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤٧٥) ، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٦١٨) .

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) ﴾ .

[١٨٥] ثم وَبَّخَهم على تركِ النظرِ المؤدِّي إلى العلمِ فقالَ:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ﴾ أي: مُلْكِ.

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: ما فيهما من الصُّنع.

﴿ وَمَا ﴾ أي: وفي ما.

﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ فيعلموا صدقَه.

﴿ وَأَنْ ﴾ أي: وأنه.

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ فيموتوا قبلَ الإيمان.

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ ﴾ أي: بعدَ القرآن.

﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ إنْ لم يؤمنوا به؟! فإنه ليسَ بعدَه كتابٌ، ولا بعدَ محمدٍ ﷺ نبيٌّ.

***

﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) ﴾ .

[١٨٦] ثم ذكرَ علةَ إعراضِهم عن الإيمانِ فقالَ:

﴿ مَن يُضْلِلِ ﴾ أي: يُضْلِلْهُ.

﴿ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وعاصمٌ، ويعقوبُ (وَيَذَرُهُمْ) بالياء، ورفع الراء على الاستئناف؛ أي: واللهُ يذرُهم، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ: بالنون والرفعِ؛ أي: ونحنُ

نذرُهم، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بالياءِ وجزمِ الراءِ عطفاً على موضعِ الفاء وما بعدَها من قوله: (فَلاَ هَادِيَ لَهُ)؛ لأنه موضعُ جزمٍ(١).

﴿فِي طُغۡيَـٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ يترَدَّدونَ مُتَحيرين.

***

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

[١٨٧] ولمّا قالت قريش للنبي ﷺ: إنَّ بيننا وبينك قرابةً، فأسرَّ إلينا متى الساعة؟ فأنزلَ الله تعالى:

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ﴾(٢) أي: متى.

﴿مُرۡسَىٰهَا﴾ أي: الوقتُ الذي تقومُ فيه.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد:

﴿إِنَّمَا عِلۡمُهَا﴾ متى يكونُ.

﴿عِندَ رَبِّي﴾ استأثرَ بعلمِها.

﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾ يظهرُها.

﴿لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ لاختصاصِه به.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٨ـ٢٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٦).

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق الصنعاني» (٢/ ٢٤٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٦٢٢).

﴿ ثَقُلَتْ ﴾ خفيتْ.

﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: خفيتْ معرفتُها على أهلِها، وإذا خفيَ الشيءُ، ثقُلَ.

﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ فجأةً على غفلةٍ كما قالَ ـ عليه السلام ـ: «إِنَّ السَّاعَةَ تَهِيجُ بِالنَّاسِ والرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ، والرَّجُلُ يَسْقِي مَاشِيَتَهُ، والرَّجُلُ يَقُومُ بِسِلْعَتِهِ في سُوقِه، والرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ»(1).

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ أي: كأنكَ ألحختَ في طلبِ علمِها فعلِمْتَها.

﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ كرَّرَهُ تأكيداً؛ أي: لا يعلمُ وقتَ مجيئِها، ولا يأتي بها فيه بغتةً إلا اللهُ تعالى.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنَّ علمَها عندَ الله، بل يَظُنُّ أكثرُهم أنه مما يعلمُه البشرُ.

* * *

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

[١٨٨] قال ابنُ عباسٍ: «إنَّ أهلَ مكةَ قالوا: يا محمدُ! ألا يخبرُك ربُّكَ بالسعرِ الرخيصِ قبلَ أن يغلوَ، فتشتريَه وتربحَ فيه عندَ الغلاءِ، وبالأرضِ

---

(1) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣١٩٧ ـ ٣١٩٨)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤٧٥).

التي تريدُ أن تُجْدِبَ فترتحلَ منها إلى ما قد خَصُبَت؟ فأُمر ﷺ بالاعترافِ بأنه عبدٌ محكومٌ عليهِ بما نزلَ جواباً عن قول المشركين، وهو:

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ﴾[1] أي: لا أقدرُ.

﴿لِنَفْسِى نَفْعًا﴾ أي: جلبَ نفعٍ.

﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أي: دفعَ ضرٍّ.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يوصلَه إليَّ من الضرِّ والنفعِ؛ فإني أملكُه؛ لاختصاصِه بي.

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: لو كنتُ أعلمُ الخصبَ والجدبَ.

﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المالِ لسنةِ القحطِ.

﴿وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي: الضرُّ والفقرُ.

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ للكافرينَ بالنارِ.

﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنةِ.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدِّقون. واختلافُ القراء في الهمزتين من (السُّوءُ إِنْ) كاختلافِهم فيهما من (يَشَاءُ إِلى) في سورةِ البقرةِ، وقرأ أبو جعفرٍ، وقالونُ عن نافعٍ بخلافٍ عنه: (أَنَا إِلاَّ) بالمدِّ حيثُ وقع[2].

* * *

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٧ ـ ١٢٨).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣١، ٢٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٧).

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ .

[١٨٩] ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ يعني آدمَ .

﴿ وَجَعَلَ ﴾ أي : خلقَ .

﴿ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ حواءَ ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ ليأنسَ بها .

﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴾ علاها بالنكاحِ ﴿ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ لم يثقلْ عليها ، وهي النطفةُ ﴿ فَمَرَّتْ بِهِۦ ﴾ استمرَّتْ إلى وقتِ ميلادِه .

﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت ﴾ أي : كبرَ الولدُ وأثقلَها حملُها وقاربت الوضعَ .

﴿ دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ آدمُ وحواءُ .

﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾ بشراً سوياً قد صلحَ بدنُه .

﴿ لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ لكَ على هذه النعمةِ ، ودلت الآيةُ على أن الحملَ مرضٌ من الأمراضِ ؛ لقوله : ﴿ دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ ولأجل عظمِ الأمرِ وشدةِ الخطْبِ جُعِلَ موتُها شهادةً كما وردَ في الحديث .

واختلف الأئمةُ في حكمِ الحاملِ ، فقال مالك : إذا مضتْ لها ستةُ أشهرٍ من يومِ حملَتْ ، صارتْ في حكمِ المريضِ في أفعالِه ، لم ينفذ لها تصرفٌ في مالها بأكثرَ من الثلثِ ، وقال الثلاثة : إنما يكونُ ذلكَ عندَ المخاضِ ، واختارَ الخرقيُّ من أصحابِ أحمدَ : ما قاله مالكٌ .

* * *

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾.

[١٩٠] وروي أن الخبيثَ إبليسَ جاءهما، فقال: إن ولدتِهِ سَوِيّاً، فسميهِ عبدَ الحارثِ، وكانَ اسمُه في الملائكةِ الحارثَ(١).

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا ﴾ كما طلبا.

﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ ﴾ بتسميتِهِ عبدَ الحارثِ من غيرِ اعتقادٍ لذلك، وإنما كان شركاً في التسميةِ والصفة، لا في العبادةِ والربوبية، وجاء في الحديث: «خَدَعَهُمَا إِبْلِيُس مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً فِي الْجَنَّةِ، وَمَرَّةً فِي الأَرْضِ»(٢). قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ (شِرْكاً) بكسر الشين وإسكان الراء مع التنوين؛ أي: ذوي شركٍ، وهم الشركاء، والباقون: بضمِّ الشينِ وفتحِ الراء والمدِّ والهمزِ من غيرِ تنوين، على جمع شريك، يعني: إبليس(٣)، وفي الآية قولٌ آخرُ، وهو أن الضميرَ في (آتيتَنا) و(لنكونَنْ) لهما ولأولادِهما، وفي (آتاهما) و(جعلا) لأولادِهما، وفيه حذفُ مضافٍ وإقامةُ المضافِ إليه مقامَه، تقديره: فلما آتى أولادَهما

(١) رواه الترمذي (٣٠٧٧)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأعراف، وقال حسن غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٨٩٥)، والحاكم في المستدرك (٤٠٠٣)، عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ. وقد ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٧٥) من ثلاثة أوجه.
(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٦٣٥).
(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٩).

صالحاً، جعلَ أولادُهما للهِ شركاء؛ بأن سَمَّوا عبد[1] شمسٍ، وعبد العزَّى، وعبد يَغوثَ، وغيرِ ذلك، كما أضافَ فعلَ الآباءِ إلى الأبناءِ في تعييرِهم بفعلِ الآباءِ فقال: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٢] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة: ٧٢] خاطبَ بهِ اليهودَ الذين كانوا في عهدِ النبيِّ ﷺ، وكانَ ذلكَ الفعلُ من آبائِهم، حكى المفسرون كُلاً من التأويلينِ، وقدم البيضاويُّ في «تفسيره» هذا التأويلَ الثاني[2]، قال القرطبيُّ: وهو الذي يُعوَّلُ عليه[3]، وقال البغويُّ: وهذا قولٌ حسنٌ لولا قولُ السلفِ وجماعةِ المفسرين إنه في آدمَ وحواءَ[4]، وقال الكواشيُّ: وهو أوجهٌ يعضدُه قوله تعالى:

﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بأن آدمَ وحواءَ لم يكونا مشرِكينِ بإجماعٍ، ولجمعِه الضميرَ في (يشركون).

* * *

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١﴾.

[١٩١] ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ يعني: إبليسَ والأصنامَ.

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: مخلوقون.

* * *

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾.

[١٩٢] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي: الأصنامُ لعبَدَتِهم.

---

(١) في «ش»: «بعبد».

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٨٢).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٣٣٨).

(٤) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١٨٢).

﴿نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ من كسرٍ وغيرِه، بل عَبَدَتُهم يدفعونَ عنهم، فالمعبودُ أذلُّ من العابِد.

* * *

﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾.

[١٩٣] ثم خاطب المؤمنين فقال: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ يعني: المشركين.

﴿إِلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ الإسلامِ.

﴿لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ﴾ قرأ نافعٌ: (يَتْبَعُوكُمْ) بإسكانِ التاءِ وفتحِ الباء، وقرأ الباقون: بفتح التاءِ مشدَّدةٍ(١) وكسرِ الباء، وهما لغتان، يقال: تبعَه تبعاً واتَّبعه اتِّباعاً(٢).

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ﴾ إلى الدينِ.

﴿أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ عن دعائِهم؛ كما قال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾.

[١٩٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ تعبدونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الأصنامَ

---

(١) «مشددة» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٠).

﴿عِبَادٌ﴾ مملوكةٌ ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ متصرَّفٌ فيها.

﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: يجيبوكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن لكم عندَها منفعةً.

* * *

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾.

[١٩٥] ثم وبَّخهم على عبادةِ مَنْ هو في غايةِ العجزِ فقال: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ أي: يأخذونَ بشدة. رُوي عن قنبلٍ راوي ابنِ كثيرٍ، ويعقوبَ: الوقفُ بالياءِ على (أَيْدِي)، وقرأ أبو جعفرٍ: (يَبْطُشُونَ) بضمِّ الطاء، والباقون: بكسرها[١].

﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ومَنْ أنتم أقدرُ منه كيفَ تعبدونه؟! احتقاراً بهم وبمعبودِهم.

﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ يا معشرَ المشركين. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، ويعقوبُ: (قُلِ ادْعُوا) بكسرِ اللامِ، والباقون: بالضمِّ[٢].

﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ احتالوا أنتم وشركاؤكم في أمري وإهلاكي سريعاً.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٠).

(٢) انظر: «إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٠).

﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي: تؤَخِّرونِ. أثبتَ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ الياءَ في: (كِيدُونِي) وصلاً، وأثبتها في الحالين يعقوبُ، وهشامٌ بخلافٍ عن الثاني[1]، وأثبت يعقوبُ الياءَ في (تُنْظِرُونِي) في الحالَين[2].

* * *

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾.

[١٩٦] ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ أي: ناصري. واختُلِف عن أبي عمرٍو في (إنَّ وَلِيِّيَ اللهُ) فروي عن السوسيِّ حذفُ الياء وإثباتُ ياءٍ واحدةٍ مشددةٍ مفتوحةٍ، وهو الأصحُّ عنه، ورُوي عن السوسيِّ أيضاً بكسر الياء المشددةِ بعدَ الحذف، وقرأ الباقون: بياءين، الأولى مشددةٌ مكسورةٌ، والثانية مخففةٌ مفتوحةٌ، وقد أجمعتِ المصاحفُ[3] على رسمِها بياءٍ واحدة.

﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآنَ.

﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين لا يعدِلون بالله شيئاً.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣١-٤٣٢).

(٣) في «ت»: «الصحابة».

﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ ﴾.

[١٩٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾ كرره لتبيينِ أنَّ ما يعبدونه لا ينفعُ ولا يضرُّ.

* * *

﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨ ﴾.

[١٩٨] ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ ﴾ أي: الأصنامَ.

﴿ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ ﴾ مبالغةٌ في التوبيخ.

﴿ وَتَرَىٰهُمۡ ﴾ يا محمدُ ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ ﴾ يُشْبهون الناظرينَ إليك؛ لأنهم صُوِّروا بصورةِ مَنْ ينظر إلى مَنْ يواجهُه.

﴿ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ لأن أعينَ الأصنامِ مصنوعةٌ.

* * *

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾.

[١٩٩] ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ أي: المساهلةَ، وهو ضدُّ الصَّعب، رُويَ أنه لما نزلتْ هذه الآيةُ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لجبريلَ: «مَا هَذَا؟ قَالَ: لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»[١].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ٢٤٦)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٠٣)، =

﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ أي: بالمعروفِ، وهي كلُّ خَصْلَةٍ حميدةٍ يقتضيها العقلُ والشرعُ. قرأ أبو عمرٍو: (خُذِ الْعَفْو وَّأْمُرْ) بإدغامِ الواوِ بالواو.

﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ أبي جهلٍ وأصحابِه، ونُسخت بآية السيفِ.

* * *

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾.

[٢٠٠] ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ ﴾ أي: يُحَرِّكَنَّك للشرِّ، المعنى: فإنْ يوسوسْ[١] لك الشيطانُ بوسوستِه ﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ ﴾ أي: استجرْ به ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ يسمعُ استعاذتَكَ، ويعلمُ ما فيه صلاحُ أمرِكَ فيحملُكَ عليهِ.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

[٢٠١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾ يعني: المؤمنين.

﴿ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ: (طَيْفٌ) بياء ساكنةٍ بين الطاء والفاء من غيرِ همزٍ ولا ألف؛ أي: لمسةٌ

= وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٦٣٨)، عن أبي المرادي. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/٦٢٨).

(١) في جميع النسخ «يوسوسك»، والصواب ما أثبت.

ووسوسةٌ، وقرأ الباقون: (طَائِفٌ) بألفٍ بعدَ الطاءِ وهمزةٍ مكسورةٍ بعدَه[1]، وهو ما يطوفُ حولَ الشيء.

﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ المعنى: إن المتقين إذا وسوسَ لهم[2] الشيطانُ.

﴿تَذَكَّرُوا۟﴾ ذكروا اللهَ، واستعاذوا به.

﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ مواقعَ خطئِهم، فيستغفرون.

***

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾.

[٢٠٢] ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ أي: إخوانُ الشياطينِ من المشركينَ.

﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ المعنى: وإخوانُ المشركينَ من الشياطينِ يزيدونهم.

﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾ وهو الضلالُ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (يُمِدُّونَهُمْ) بضمِّ الياء وكسرِ الميمِ، من الإمدادِ، وقرأ الباقونَ: بفتح الياء وضمِّ الميم، وهو من المدِّ[3]، ومعناهما واحد، وهو الزيادةُ.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ لا يُمسكون عن إغوائِهم.

***

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٢) في جميع النسخ: «وسوسهم»، والصواب ما أثبت.

(٣) المصادر السابقة.

[٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم﴾ يعني: إذا لم تأتِ المشركينَ.

﴿بِـَٔايَةٍ﴾ من القرآنِ.

﴿قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ﴾ هلاَّ افتعلْتَها من نفسِك؛ أي: يطلبونَ أن تكذبَ لهم.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ لستُ بمختلقٍ للآيات.

﴿هَٰذَا﴾ أي: القرآنُ ﴿بَصَآئِرُ﴾ حججٌ ودلائلُ.

﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ تقودُكم إلى الحقِّ.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ والهدى: الرشدُ، والرحمةُ: النعمةُ.

* * *

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾.

[٢٠٤] ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: (قُرِيَ) بفتح الياء بغيرِ همز، وقرأ ابنُ كثيرٍ: (القُرَانُ) بنقل حركة الهمزِ إلى الساكنِ قبلَها وهو الراءُ.

﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ﴾ للقرآن.

﴿وَأَنصِتُواْ﴾ أصغوا.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قال ابن عباسٍ، وأبو هريرةَ، وجماعةٌ من المفسرين: «نزلتْ في الصلاةِ خاصَّةً حين كانوا يقرؤون خلفَه عليه السلام»[1]، وقيلَ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٤٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٦٤٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٦٣٤).

غيرُ ذلك، وعامةُ العلماءِ على استحبابِ الإنصاتِ للقراءةِ خارجَ الصلاة. واختلفَ الأئمةُ في القراءةِ خلفَ الإمام، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ وأحمدُ: لا تجبُ القراءةُ على المأمومِ بحالٍ في صلاةِ جهرٍ ولا سِرٍّ، ويُستحبُّ له عندَ مالكٍ أن يقرأ في صلاةِ السرِّ الفاتحةَ، وقالَ أحمد: يُسَنُّ، وخالفَهما أبو حنيفةَ، واستدلُّوا بالآيةِ على عدمِ الوجوبِ، وقال الشافعيُّ: تجبُ على المأمومِ قراءةُ الفاتحةِ فيما أسرَّ به الإمامُ وما جهرَ، واستدلَّ بقولِه عليه السلام: «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا»[1].

***

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾.

[٢٠٥] ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ عامٌّ في الأذكارِ من القراءة والدعاءِ وغيرِهما ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ مستكيناً إليَّ متخوِّفاً مِنِّي.

﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ دونَ رفعِ الصوتِ والصياح فيه.

﴿ بِٱلْغُدُوِّ ﴾ البُكَرِ ﴿ وَٱلْآصَالِ ﴾ العَشِيّاتِ، جَمْعُ أَصْلٍ، وهو ما بينَ العصرِ والمغربِ.

﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ عن ذكرِ الله تعالى.

***

(١) تقدم تخريجه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦) ﴾.

[٢٠٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ يعني: الملائكة.

﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ ﴾ ويُنزِّهونه.

﴿ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ يخصُّونه بالعبادةِ، وهو تعريضٌ بمن عداهم من المكلَّفينَ، ولذلك شُرِعَ السجودُ لقراءته، وعن النبيِّ ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي وَيَقُولُ: يَا وَيْلَهُ! أُمِرَ هَذَا بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِي النَّارُ»(١).

واتفق الأئمةُ على أن هذا موضعُ سجودٍ للقارئ.

وأما عددُ سجداتِ القرآنِ، فهي خمسَ عشرةَ سجدةً، أولُها خاتمةُ الأعرافِ، وآخرُها خاتمةُ العَلَق، منها خمسُ سجداتٍ مختلَفٌ فيها، وهي ثانيةُ الحجِّ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ هي من عزائمِ السجودِ، خلافاً لأبي حنيفةَ ومالكٍ، وسجدةُ ﴿ صٓ ﴾ عند أبي حنيفةَ ومالكٍ خِلافاً للشافعيِّ وأحمدَ؛ فإنها عندَهما سجدةُ شكر تُستحبُّ في غيرِ الصلاةِ، فلو سجد بها فيها عالماً عمداً، بطلَتْ صلاتُه عندهما، وسجداتُ المفصَّل، وهي: النجمُ، والانشقاقُ، والعلقُ عندَ الثلاثة، خلافاً لمالكٍ، والعشرُ الباقيةُ متفقٌ عليها، وهي آخرُ الأعراف، والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، والأُولى في الحج، والفرقان، والنمل، والم تنزيل، وحم السجدة، ومحلُّها في حم

(١) رواه مسلم (٨١)، كتاب: الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

عند مالكٍ عندَ[1] قوله: ﴿إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾، وعند الثلاثة عند قوله: ﴿لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩﴾.

وسجودُ التلاوةِ كالصلاةِ يُشترطُ له[2] الطهارةُ، واستقبالُ القبلةِ بالاتفاقِ، ولا يُسجد له في وقتِ نهيٍ عند الثلاثة، خلافاً للشافعيِّ.

واختلفوا في حكم سجودِ التلاوة، فقال أبو حنيفةَ: هو واجبٌ على التالي والسامع، سواء قصدَ السماعَ أو لم يقصدْ، فإذا أرادَ السجودَ، كَبَّرَ وسجدَ بلا رفعِ يدٍ، ثم كبر ورفعَ، ولا تشهُّدَ عليه ولا سلامَ، ومن تلاها في الصلاة فلم يسجدها، سقطتْ عنه، ولو تلاها فيها، إن شاءَ ركعَ، وإن شاءَ سجدَها، ثم قام فقرأ، وهو الأفضلُ.

وقالَ مالكٌ: هو فضيلةٌ للقارىء وقاصدِ الاستماعِ إن كانَ القارىءُ يصلُح للإمامة، ويكبرُ لخفضِهِ ورفعِه، وليس له تسليمٌ، وتُكره قراءتُها في صلاةِ الفرضِ جهراً أو سِرّاً، ويسجدُ في صلاةِ النفلِ مطلقاً.

وقال الشافعيُّ: هو سنةٌ للقارىء والمستمعِ والسامع، فإن قرأ في الصلاة، سجدَ الإمامُ والمنفردُ لقراءتِهِ فقطْ، والمأمومُ لِسجدةِ إمامِه، فإن سجدَ إمامُه، فتخلف أو انعكس، بطلَتْ صلاتُه، ولا تُكره قراءتها في جهريَّةٍ ولا سرية، وإذا سجدَ خارجَ الصلاة، نوى، وكبرَ للإحرام رافعاً يديه، ثم للهُوِيِّ بلا رفعٍ، وسجدَ كسجدةِ الصلاة، ورفع مكبراً، وسلَّم من غير تشهُّد، والاختيارُ تركُ القيامِ له، وإن سجدَ في الصلاةِ، كبر للهُوِيِّ والرفع، ولا يرفعُ يديه، ولا يجلسُ للاستراحة.

---

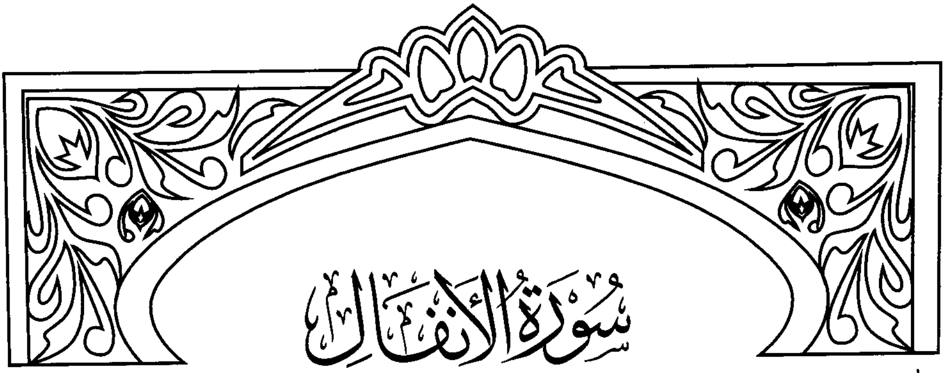
(١) في «ت»: «بعد».

(٢) في «ن»: «لها».

وقال أحمدُ: هو سنةٌ للقارىء والمستمع دونَ السامعِ، ويعتبر أن يكونَ القارىءُ يصلُحُ إماماً، فلا يسجدُ قدامَ إمامِه، ولا عن يسارِه مع خلوِّ يمينِه، ولا رجلٌ بتلاوةِ امرأةٍ وخنثى، وسجودُه عن قيامٍ أفضلُ، ويكبر إذا سجدَ وإذا رفع، والسلامُ ركنٌ وتجزىءُ واحدةٌ بلا تشهُّدٍ، وإن سجدَ إمامٌ في صلاةِ جهر أو خارجَها، سُنَّ رفعُ يديهِ كالمنفردِ مطلقاً، ويلزمُ المأمومَ متابعتُه في صلاة الجهرِ، فلو تركَه عمداً، بَطَلَتْ صلاتُه، وإذا قامَ المصلِّي من سجودِ التلاوةِ، فهو مُخَيَّرٌ بينَ القراءةِ والركوعِ بدونها، ويُكره للإمام قراءةُ سجدةٍ في صلاةِ سرٍّ، والسجودُ لها، فإن فعلَ، فالمأمومُ مخيرٌ بين اتِّباعِه وتركِه.

واختلفوا في سجودِ الشكرِ عندَ تجدُّد النعمِ واندفاعِ النِّقَم، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: يُكره، فيقتصر على الحمدِ والشكرِ باللسانِ، وخالفَ أبو يوسفَ ومحمدٌ أبا حنيفةَ، فقالا: هي قُرْبَةٌ يثاب عليها، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُسَنُّ، وحكمُه عندَهما كسجودِ التلاوة، لكنه لا يُفعل في الصلاة، واللهُ أعلم.

* * *



مدنيَّةٌ بدريَّةٌ، وآيها خمسٌ وسبعونَ آيةً، وحروفها خمسة آلافٍ ومئتانِ وأربعةٌ وتسعونَ حرفاً، وكَلِمُها ألفٌ ومئتانِ وإحدى وثلاثونَ كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾.

[١] لما خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى بدرٍ، ولَقُوا العدوَّ، افترقَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ ثلاثَ فِرَقٍ: فرقةٌ أقامتْ معَ رسولِ الله ﷺ في العريشِ الذي صُنِعَ له وحَمَتْهُ وآنَسَتْهُ، وفرقةٌ أحاطتْ بعسكرِ العدوِّ لما انكشفوا، وفرقةٌ اتَّبعوا العدوَّ، فقتلوا وأَسَروا، وكانتِ الواقعةُ صبيحةَ الجمعةِ لسبعَ عشرةَ ليلةً خلتْ من شهرِ رمضانَ من السنةِ الثانيةِ من الهجرةِ الشريفةِ، وتقدم ملخَّصُ القِصَّةِ في سورةِ آلِ عمرانَ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [الآية: ١٢٣]، وكانَ رسولُ الله ﷺ قد حرَّضَ الناسَ قبلَ ذلكَ وقالَ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً أَوْ أَسَرَ أَسِيراً فَلَهُ كَذَا»، فسارعَ الشبانُ وبقيَ الشيوخُ عندَ الراياتِ، فلما انجلتِ الحروبُ، واجتمعَ الناسُ، رأتْ كلُّ فرقةٍ الفضلَ

لنفسِها، وقالتْ: نحن أَوْلى بالمغانم، وساءَتْ أخلاقُهم في ذلكَ، فأنزلَ اللهُ تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[1] الغنائِم، واحدُها نَفَلٌ بتحريكِ الفاءِ، وهو الزيادةُ؛ لأنها عَطِيَّةٌ من اللهِ عز وجل لهذهِ الأمةِ.

﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أمرُها له، فيقسِمُها الرسولُ على ما يأمرُه اللهُ به، فقسمَها رسولُ الله ﷺ بينَهم على السَّواء.

واختلفوا فيما إذا قالَ الإمامُ: من فعلَ كذا، فله كذا، ومن جاء بكذا، فله كذا، فقال أبو حنيفةَ: يجوزُ ذلكَ قبلَ إحرازِ الغنيمةِ، وقبلَ أن تضعَ الحربُ أوزارَها؛ لما فيه من التحريضِ على القتال، واستدلَّ بما قال عليه السلام يوم بدرٍ، وأما بعدَ الإحرازِ، يُنَفَّلُ من الخمس.

وقال مالكٌ: يُكره؛ لئلاَّ يشوبَ قصدَ المجاهدين إرادةُ الدنيا؛ فإن شَرَطَه، كانَ من الخمس، لا من أصلِ الغنيمةِ.

وقال الشافعيُّ: يجوزُ، ويكون من المصالحِ المرصَدَةِ ببيتِ المال.

وقال أحمد: يجوزُ ما لم يجاوزْ ثلثَ الغنيمةِ بعدَ الخمس.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تختلفوا بسببِ حُطام الدنيا ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الحالَ التي بينكم بتركِ الاختلافِ.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيه[2] ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ كاملي الإيمان.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٦٧)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٦/ ٣١٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٨ ـ ١٢٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٦).

(٢) قوله: «﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ فيه» سقط من «ت».

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ .

[٢] ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الكاملو الإيمانِ ، و(إنما) لفظٌ لا تفارقُه المبالغةُ والتأكيدُ حيثُ وقعَ .

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ استِعْظاماً له .

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ يقيناً وتصديقاً .

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يفوِّضونَ أمرَهم إليه .

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

[٣] ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يُتِمُّونها سُجوداً ورُكوعاً وقِياماً .

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ يتصدَّقون .

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ يقيناً ، لا شكَّ في إيمانهم .

﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ منازِلُ وشرفٌ في الجنة .

﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ حَسَنٌ أُعِدَّ لهم في الجنةِ .

* * *

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ أي : كما أمرَكَ بالخروجِ .

﴿ مِنۢ بَيْتِكَ ﴾ أي : من المدينةِ إلى بدرٍ إخراجاً .

﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالوحي خبرٌ مبتدؤُه محذوفٌ، تقديرُه : هذهِ الحالُ في كراهتِهم إياها كحالِ إخراجِكَ للحربِ على كراهتهم له .

﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ أي : أخرجَكَ في حالِ كراهتهم، وذلك أن عيرَ قريشٍ أقبلتْ من الشامِ مع أبي سفيانَ، ومعها أربعون راكباً، فأعلمَ جبريلُ النبيَّ ﷺ بها، فأعلمَ أصحابه، فَسُرُّوا وأحبوا الخروجَ إليها لكثرةِ المالِ وقلةِ الرجال، فأُعْلِمَتْ قريشٌ بذلك، فخرج أبو جهلٍ ومعه مقاتِلَةُ مكةَ ذابّاً عنها، وهم النفيرُ، فعلم أبو سفيانَ ذلك، فأخذ بها طريقَ الساحل فنجت، فقيل لأبي جهلٍ : ارجعْ بالناس، فقد نجتِ العيرُ، فأبى، وسارَ بمن معه إلى بدرٍ، فشاورَ ﷺ أصحابَهُ في لقاء العيرِ أو النفيرِ، فقال أبو بكرٍ فأحسنَ، وقال عمرُ فأحسنَ، وقال المقدادُ بن عمرو : «امضِ بنا يا رسولَ الله، فنحن معكَ، واللهِ ما نقولُ لكَ كما قالتْ بنو إسرائيل لموسى : اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنَّا هاهنا قاعدون، ولكنِ اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنَّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق! لو سرتَ بنا إلى بَرْكِ الغِماد؛ يعني : مدينة الحبشة، لجالَدْنا معكَ من دونِه حتى تبلُغَه»، فدعا له ﷺ، ثم قال : «أَشِيرُوا عَلَيَّ» يريدُ : الأنصار، فقال سعدُ بنُ معاذٍ : «لَكأنَّكَ تريدُنا يا رسول الله؟ فقال : «أَجَلْ»، فقال : امضِ يا رسول الله لما أردْتَ، والذي بعثَكَ بالحق! لو استعرضْتَ بنا هذا البحرَ فَخُضتَهُ لَخُضناهُ

معكَ، ما تخلَّفَ منا واحدٌ، وما نكرهُ أن تلْقَى بنا عَدُوَّنا، وإنا لَصُبرٌ في الحرب، صُدقٌ في اللِّقاء»، فَسُرَّ ﷺ بذلك، ثم قال: «سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، واللهِ لَكَأَنِّي الآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ»[1].

***

﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ ﴾ وذلكَ أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: ما خرجْنا إلاَّ للعير، هَلاَّ قلتَ لنا فنستعدَّ للقتال.

﴿ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ لهم أنهم يُنصرون بإعلامِ اللهِ ورسولِه.

﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ ﴾ أي: حينَ يُدْعون إلى القتال.

﴿ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ يشاهِدونَ أسبابَه، وقيلَ: هؤلاءِ المشركونَ جادلوه في الحقِّ كأنما يُساقون إلى الموت حينَ يُدْعون إلى الإسلامِ؛ لكراهتهم إياه.

***

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ ﴾.

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ١٤)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٣٩٩)، و«المستدرك» للحاكم (٣/ ٢٨٣)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٨٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٦).

[٧] ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: واذكر إذ يعدكم الله.

﴿ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾ العيرَ أو النفيرَ ﴿ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ أي: إحداهما.

﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ ﴾ يعني: العيرَ التي ليسَ فيها قتال، والشوكةُ: شدةُ البأس.

﴿ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ وكان أبو سفيانَ مع العير، وأبو جهلٍ مع النفير. قرأ أبو عمرٍو: (الشَّوْكَة تَّكُونُ) بإدغامِ التاءِ في التاء[1].

﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ يظهرُه ﴿ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ بأمرِه إياكم بالقتال.

﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: إنما تَوَدُّون لقاءَ العير، والله يودُّ لقاءَ النفير؛ ليعزَّ الإسلامَ، ويستأصلَ الكفَّارَ بالهلاك.

* * *

﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ ليثبتَ الإسلامَ ﴿ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ يمحقَ الكفر.

﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ المشركون.

* * *

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ ﴾ أي: اذكر إذ تستغيثون ﴿ رَبَّكُمْ ﴾ واستغاثتُهم

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٤٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٨).

أنهم لما علموا أَنْ لا محيصَ من القتال، أخذوا يقولون: أَيْ رَبِّ! انصرْنا على عدوِّكَ، أغثنا يا غياثَ المستغيثين.

وعن عمرَ رضي الله عنه: لما نظرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المشركينَ وهم ألفٌ، وأصحابُه ثلاثُ مئةٍ وبضعةَ عشرَ، دخل العريشَ هو وأبو بكرٍ، واستقبلَ القبلةَ، ومدَّ يديه يدعو: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» وما زالَ كذلكَ حتى سقطَ رداؤُه عن منكبيه، فأخذه أبو بكرٍ فألقاه على مَنْكِبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: «يا نبيَّ الله! كفاكَ مُناشَدَتَكَ رَبَّكَ؛ فإنه سينجزُ لكَ ما وعدكَ»[1].

﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مُمِدُّكُم﴾ مُعينكم.

﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (مُرْدَفِينَ) بفتح الدال؛ أي: أردفَ الله المسلمين، وجاء بهم مَدَداً، وقرأ الباقون: بكسر الدال؛ أي: متتابعين بعضُهم في إثرِ بعض[2].

وروي أنه نزلَ جبريلُ في خمس مئةٍ، وميكائيلُ في خمس مئةٍ في صورة الرجالِ على خيلٍ بُلْقٍ عليهم ثيابٌ بِيض، وعلى رؤوسهم عمائمُ بيضٌ قد أَرْخَوا أطرافَها بين أكتافِهم[3].

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٣)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٩).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٨٣)، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٣١٠).

وعن ابنِ عباس رضي الله عنهما: أن النبيَّ ﷺ قال يوم بدر: «هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ»(١).

وقالَ ابنُ عباسٍ: «كانتْ سيما الملائكةِ يومَ بدرٍ عمائمُ بيضٌ، ويومَ حُنينٍ عمائمُ حمر، ولم تقاتل الملائكةُ في يوم سوى يومِ بدرٍ، وكانوا يكونون فيما سواه عَدَداً ومَدَداً»(٢).

وتقدم في سورةِ آلِ عمران أنَّ جبريلَ كان يومَ بدرٍ بعمامةٍ صفراءَ على مثالِ عمامةِ الزبيرِ بن العوَّام.

***

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي: الإمدادَ بالملائكة.

﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ أي: بشارة لكم بالنصر.

﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ ﴾ فيزولَ ما بها من الوَجَل.

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وإمددُ الملائكةِ وكثرةُ العدد لا تأثيرَ لها، فلا تحسبوا النصرَ منها.

***

(١) رواه البخاري (٣٧٧٣)، كتاب: المغازي، باب: شهود الملائكة بدراً.
(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٨٥).

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (يَغْشاكُمُ) بفتح الياء فعلاً.

﴿ ٱلنُّعَاسَ ﴾ فاعلُه، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (يُغْشِيكُمْ) بضم الياء وكسر الشين خفيفةً (النعاسَ) نصبٌ، وقرأ الباقون: بضم الياء وكسر الشين مشدَّداً و(النعاسَ) نصبٌ، وهو مفعول، والفاعلُ مضمَرٌ يرجع إلى الله تعالى[١].

﴿ أَمَنَةً ﴾ أمناً ﴿ مِّنْهُ ﴾ أي: من الله، قال عبدُ الله بنُ مسعود: «النعاسُ في الحرب أمنةٌ من الله، وفي الصلاةِ وسوسةٌ من الشيطان»[٢].

﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ من الأحداث والجنابة، وذلك أن المسلمين نزلوا يومَ بدر على كثيبٍ أعفرَ تسوخُ فيه الأقدام، وسبقَهم المشركون إلى ماءِ[٣] بدر، وأصبح المسلمون وقد أجنبَ بعضُهم، وأحدثَ بعضُهم، وعطشوا، فوسوس إليهم الشيطانُ وقال: لو كنتم على الحقِّ، ما كنتم كذا، والمشركون على ماء بدر، فجاء المطرُ فارتووا هم وركابُهم، وتطهَّروا من الأحداث.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٢١٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩٣٩٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٤٥١).

(٣) «ماء» زيادة من «ظ».

﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: وسوستَهُ، وسَمَّى الوسواسَ رجزاً؛ لأنه سببُ الرجزِ، وهو العذابُ.

﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يشدَّ عليها بالصبرِ واليقين.

﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾ أي: بالماء ﴿ٱلْأَقْدَامَ﴾ لئلا تسوخَ في الرمل؛ فإنه لَبَّدَ الأرضَ.

* * *

﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)﴾.

[١٢] ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين أمدَّ بهم المؤمنين.

﴿ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ بالعونِ والنصرِ.

﴿ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بقتالِكم معهم، وبشارتِكم لهم بالنصر، فكان الملَكُ يمشي بين الصفين في صورةِ الرجلِ يقول للمؤمنين: أَبْشِروا بالنصر؛ فإن الله ناصرُكم.

﴿ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ أي: الخوفَ من أوليائي. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (الرُّعُبَ) بضم العين، والباقون: بالإسكان[1].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١، ١١٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٢).

﴿ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ أي: الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق.

﴿ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ هي المفاصلُ والأطرافُ، قال ابنُ الأنباري: ما كانت الملائكةُ تعلم[1] كيفَ تقتلُ الآدميين، فعلَّمهم اللهُ تعالى.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] فلما التقى الصفان، انهزم المشركون، وقُتل منهم سبعون، وأُسر منهم سبعون، منهم العباسُ رضي الله عنه.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مبتدأٌ، وخبرُه:

﴿ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ أي: جادلوه وجانبوا دينَهُ، والكافُ لخطابِ النبيِّ ﷺ؛ أي: ذلكَ العذابُ الواقعُ بهم بسببِ مشاقَّتِهم اللهَ ورسولَه.

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ والمشاقَّةُ: المخالفةُ.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ وعيدٌ بما أعدَّ لهم في الآخرة بعدَ ما حاق بهم في الدنيا.

* * *

﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ خطابٌ للكفارِ على سبيل الالتفات؛ أي: ذلكم العقابُ.

---

(١) في «ت»: «تعرف».

﴿فَذُوقُوهُ﴾ عاجلاً.

﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: واعلموا أن للكافرين آجِلاً في المعادِ.

﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

عن ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما قال: قيلَ لرسولِ ﷺ حينَ فرغَ من بدرٍ: عليكَ بالعيرِ ليس دونَها شيء، فناداهم العباسُ وهو أسير[1] في وَثاقه: لا يصلحُ، فقال رسول الله: «لمه؟» قال: لأن الله وعدَك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدَك[2]، فكره بعضُهم قوله.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ والتزاحُفُ: تقارُبُ القوم إلى القوم في القتال ببطء، والمعنى: إذا لقيتُم الكافرين وهم في غايةِ الكثرة.

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ أي: لا تولُّوهم ظهورَكم مُنْهزمينَ.

* * *

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾.

---

(١) «أسير» ساقطة من «ت».

(٢) رواه الترمذي (٣٠٨٠)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأنفال، وقال: حسن صحيح، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣١٤).

[١٦] ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ ﴾ ظهره.

﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾ بأنْ يريَهم الفرَّةَ وهو يريدُ الكرَّةَ.

﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ منضمّاً إلى جماعة يريدون العودَ إلى القتال؛ أي: من انهزمَ إلا على هذه النية.

﴿ فَقَدْ بَآءَ ﴾ رجعَ ﴿ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ ﴾ أي: مُقامُه.

﴿ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ هذا إذا لم يزدِ العدوُّ على الضِّعْفِ؛ لقوله: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ الآية [٦٦].

واختلفوا في حكم الآية، فقال قومٌ: هو خاصٌّ بأهلِ بدر، واحتجوا بقولِه: (يَوْمَئِذٍ)، قالوا: وهو إشارة إلى يومِ بدرٍ، وأنه نُسخ حكمُ الآيةِ بآيةِ الضعيف، وبقي الفرارُ من الزحفِ ليسَ كبيرةً، وقد فرَّ الناسُ يومَ أحد، فعفا الله عنهم، وقال يومَ حنين: ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥]، ولم يعنِّفْ على ذلك، وإليه ذهبَ أبو حنيفةَ، وقال آخرون: حكمُ الآية باقٍ إلى يوم القيامة، فلا يجوزُ الفرارُ إلا إذا زادَ الكفارُ على ضعفِ المسلمينِ، وليس في الآية نسخٌ، والدليل عليه أنها نزلت بعدَ القتالِ وانقضاءِ الحرب، وذهابِ اليوم بما فيه، وأما يومَ أحد، فإنما فر الناس من أكثرَ من ضعفِهم، ومع ذلك عُنِّفوا، وأما يومَ حنين، فكذلك، وإلى هذا ذهب مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ.

***

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ولما التقى الجمعان ببدر، أخذ ﷺ كفّاً من حصباءِ الوادي معه

ترابٌ، وألقاه في وجوه القوم وقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فلم يبقَ منهم أحدٌ إلا دخل عينيه ومَنْخِرَيه منه شيءٌ، فانهزموا[١]، وتمكَّن المسلمون منهم قتلاً وأَسْراً، فلما رجعوا، قال بعضُهم: قتلتُ فعلتُ، فنزلَ تأديباً:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾[٢] بقوَّتِكم؛ لضعفِكم عنهم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصرِه إياكم.

﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمدُ رمياً توصلُه إلى أعينِهم، ولم تقدرْ عيه.

﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ أتيتَ بصورةِ الرميِ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ أي: بلغَ التراب أعينَهم، إذ ليس في وُسع أحدٍ من البشر أن يرميَ كفاً من الحصى إلى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عينٌ إلا ويصيبُها منه شيء. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَكِنِ) في الحرفين خفيفةَ النون (اللهُ) رفعٌ، والباقون: (وَلَكِنَّ) مشددةَ النون (اللهَ) نصبٌ[٣]، ومعنى (لكن) نفيُ الخبرِ الماضي وإثباتُ المستقبل، وقرأ ورشٌ عن نافعٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وخلفٌ: (رَمَى) بالإمالة[٤].

﴿وَلِيُبْلِيَ﴾ اللهُ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أي: لينعمَ عليهم نعمةً

---

(١) رواه مسلم (١٧٧٧)، كتاب: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٩).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤، ٢٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٣).

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٣).

حسنةً، وهي الغنيمةُ في الدنيا، والجنةُ في الأخرى، والإبلاءُ هنا: الإعطاءَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائِكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتِكم.

* * *

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٨﴾.

[١٨] ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: القتلُ والإبلاءُ الحسنُ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾ مُضْعِفُ.

﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: المقصودُ إبلاءُ المؤمنين، وإبطالُ حيلِ الكافرين. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (مُوَهِّنٌ) بفتح الواو وتشديد الهاء وبالتنوين ونصب (كَيْدَ)، وروى حفصٌ عن عاصمٍ: بالتخفيف من غير تنوين وخفضِ (كَيْدِ) على الإضافة، والباقون: بالتخفيف والتنوين ونصب (كَيْدَ)[1].

* * *

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٩﴾.

[١٩] ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ تستنصِروا، الخطابُ للكفارِ على سبيلِ التهكُّمِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٣-٤٤٤).

بهم، وذلك أنهم حينَ أرادوا الخروجَ من مكةَ، أخذوا بأستارِ الكعبةِ وقالوا: اللهمَّ انْصر أعلى الجُنْدَين، وأهدى الفئتين، وأكرمَ الحزبين، وأفضلَ الدينين، فنزلت الآية.

﴿ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾[1] النصرُ.

﴿ وَإِن تَنتَهُوا۟ ﴾ عن الكفرِ وحربِ الرسول ﷺ.

﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من ذلكَ، فلم ينتهوا، فقُتل أبو جهل وغيرُه من المشركين.

﴿ وَإِن تَعُودُوا۟ ﴾ لحربِه ﴿ نَعُدْ ﴾ لنصرِه.

﴿ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ ﴾ جماعتكم ﴿ شَيْـًٔا ﴾ من الإغناء.

﴿ وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾ فئتكم.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالنصرِ والمعونة. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (وَأَنَّ الله) بفتح الهمزة؛ أي: ولأن الله، وقرأ الباقون: بالكسر على الابتداء[2].

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) ﴾.

[٢٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ ﴾ أي:

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٥).

لا تُعْرِضوا عن الرسول. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثير: (وَلاَ تَّوَلَّوا) بالمدِّ وتشديد التاء(1).

﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ مواعظَ القرآنِ.

* * *

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ بآذانِنا.

﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ بقلوبِهم؛ لأنهم غيرُ مصدِّقين، نزلتْ في المنافقين.

* * *

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ثم قَبَّحَ حالَ المكذِّبين فقال: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: جميعِ ما دبَّ على الأرض.

﴿ٱلصُّمُّ﴾ عن الحقِّ ﴿ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أَمْرَ الله، سُمُّوا بالدوابِّ؛ لقلةِ انتفاعِهم بعقولهم كما قال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قال ابنُ عباس: «هُمْ نَفَرٌ من بني عبدِ الدارِ بن قصيٍّ، كانوا يقولون: نحن صُمٌّ بكمٌ عميٌ عما جاءَ به محمدٌ فقُتلوا جميعاً بأُحد، وكانوا أصحابَ

---

(1) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٦).

اللواء، ولم يُسلم منهم إلا رجلان: مصعبُ بنُ عميرُ، وسويبطُ بنُ حرملةَ.

* * *

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ سماعَ التفهُّم والقبولِ.

﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ بعدَ أن علمَ أن لا خيرَ فيهم، ما انتفعوا بذلك، و﴿ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ عن الإيمان عناداً.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ الرسولُ.

﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ من العلمِ والدينِ، كان ﷺ دعا أُبيّاً وهو في صلاتِه، فلم يُجبه، ثم أتاه فقال: «ما مَنَعَكَ أَنْ تُجيبَني؟!»، فقالَ: كنتُ في الصلاةِ، فقال: «ألم تسمعْ ﴿ ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ﴾ الآيةَ؟»، فقال أبي: لا جرمَ لا تدعوني إلا أجبتُ(١)، وهذا من خصائِصه ﷺ أنه إذا دعا إنساناً في الصلاةِ يجبُ عليه قطعُها وإجابتُه.

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٧٥)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، وقال: حسن صحيح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ أي: يملك عليه قلبَه فيصرفه كيفَ شاءُ ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

***

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾.

[٢٥] ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ﴾ عذاباً.

﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ يعني: لا تَختصُّ الظالمين، بل تعمُّ، قيل: نزلتْ في عليٍّ وعمارٍ وطلحةَ والزبيرِ، والفتنةُ يومَ الجمل، رُوي أن الزبيرَ بنَ العوامِ قال يومَ الجمل: «ما علمتُ أنا أُرِدْنا بهذهِ الآية إلا اليومَ، وما كنتُ أظنُّها إلا فيمن خوطبَ بها ذلكَ الوقت»، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِفِعْلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوُا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلاَ يُنْكِرُونَهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِك، عَذَّبَ اللهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ».

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ وعيدٌ.

***

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾.

[٢٦] ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾ يا معشرَ المهاجرين.

﴿إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرضِ مكةَ قبلَ الهجرةِ.

﴿ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ يستَلِبكُم الناسُ بسرعة؛ لأنهم كانوا جميعاً عدواً لكم.

﴿ فَـَٔاوَىٰكُمْ ﴾ إلى المدينةِ ﴿ وَأَيَّدَكُم ﴾ قوَّاكم.

﴿ بِنَصْرِهِۦ ﴾ إياكم بالأنصارِ وبملائكتِه يومَ بدرٍ.

﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ﴾ الغنائمِ؛ لأنها لم تحلَّ لأحدٍ قبلَكم.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ هذه النعمَ.

***

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ نزلت في أبي لُبابةَ هارونَ بنِ عبدِ المنذرِ الأنصاريِّ من بني عوفِ بنِ مالكٍ، رُوي: أنَّ رسولَ الله ﷺ حاصرَ يهودَ بني قريظةَ خمساً وعشرينَ ليلةً، فسألوا: الصلحَ كما صالحَ إخوانَهم بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا من الشام، فأبى وقالَ لهم: تنزلون على حكمي، فأبَوا، فقال: على حكمِ سعدِ بنِ معاذٍ، فرضُوا به، وقالوا: أرسلْ إلينا أبا لبابةَ، وكان مناصِحاً لهم؛ لأن عيالَه ومالَه كانت عندَهم، فبعثَه إليهم، فقالوا: ما ترَى هل ننزلُ على حكمِ محمدٍ؟ فأشارَ أبو لبابةَ إلى حلقِه أنه الذبحُ، قالَ أبو لبابة: فما زالتْ قدمايَ حتى علمتُ أني خُنتُ اللهَ ورسولَه، فنزلَتْ، فَشدَّ نفسَهُ على ساريةٍ في المسجد، وقال: واللهِ لا أذوقُ طعاماً ولا شراباً حتى أموتَ، أو يتوبَ الله عليَّ، فمكثَ سبعةَ أيام حتى خَرَّ مغشِيّاً عليه، ثم تابَ الله عليه، فقيلَ له: قد تيبَ عليك، فَحُلَّ نفسَكَ، فقال: واللهِ لا أحُلُّها حتى يكونَ

رسولُ الله ﷺ هو الذي يحلُّني، فجاءه فحلَّه بيده، فقال: إنَّ من تمامِ توبتي أن أهجرَ دارَ قومي التي أصبتُ فيها الذنبَ، وأن أنخلعَ من مالي، فقال ﷺ: «يُجْزِئُكَ الثُّلُثُ أَنْ تَتَصَدَّقَ بِهِ»، وسيأتي ذكرُ القصةِ في سورةِ الأحزابِ إن شاء الله تعالى، وأصلُ الخون: النقصُ، كما أن أصلَ الوفاء: التمامُ، واستعمالُه في ضدِّ الأمانة؛ لتضمُّنِه إياه.

﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ أي: ولا تخونوا أماناتِكم فيما بينكم.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قبحَ الخيانة.

* * *

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأنهم سببُ الوقوع في الإثم والعقابِ، قيل: هذا في أبي لبابة أيضاً؛ لأن أموالَه وأولاده كانوا في بني قريظة، فقالَ ما قالَ خوفاً عليهم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن آثر رضا الله عليهم.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

[٢٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بطاعتِه.

﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ فتحاً ونصراً وتفرقاً بين الحقِّ والباطلِ.

﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يمحو ما سلَفَ من ذنوبِكم.

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ بالتجاوز والعفوِ عنكم.

﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ تنبيهٌ على أن ما وعده لهم على التقوى تفضلٌ منه وإحسانٌ، وأنه ليس مما يوجبُ تَقَوِّيَهُمْ عليه؛ كالسيدِ إذا وعدَ عبدَه إنعاماً على عمل.

* * *

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ تذكارٌ لما مكرَ قريشٌ به حين كان بمكةَ؛ ليشكرَ نعمةَ الله في خلاصِه من مكرِهم، واستيلائِه عليهم، والمعنى: وإذكرْ إذ يمكرون بكَ، وكان ذلك المكرُ أن أكابرَ قريش اجتمعوا في دارِ الندوة بمكةَ مشاورين في الفتك برسول الله ﷺ بعد إسلامِ الأنصار، فاعترضهم إبليسُ في صورة شيخٍ، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخٌ من نَجْدٍ، سمعتُ باجتماعِكم، فأردت أن أحضرَ معكم، ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، فقالوا: ادخلْ، فدخلَ، فقال أبو البختريِّ: أرى أن تُوثقوه وتحبسوه في بيتٍ وتسدُّوا عليه غيرَ كَوَّةٍ تكونُ منها طعامه وشرابه حتى يهلكَ، فقال عدوُّ اللهِ إبليسُ: بئسَ الرأيُ ذلكم، يأتيكم من يخليه من أيديكم، وقال هشامُ بنُ عمرٍو من بني عامرِ بنِ لؤيٍّ: أرى أن تُخرجوه من بين أظهُرِكم، فقال عدوُّ الله إبليسُ: بئسَ الرأيُ ذلكم، يذهبُ إلى قوم فيستميلُ قلوبهم، ويسير بهم إليكم، ويخرجُكم من بلادكم، وقال أبو جهلٍ: أرى أن تأخذوا من كلِّ بطنٍ من قريش شاباً، فَيُعطى سيفاً صارماً، فيضربوه ضربةَ رجلٍ واحدٍ حتى يُقتل، فإذا تفرَّقَ دمُه في القبائل،

لم يقوَ بنو هاشم على حربهم، فيرضون بالعقلِ، فقال عدوُّ اللهِ إبليسُ: صدقَ هذا الفتى، وهو أجودُكم رأياً، القولُ ما قال، لا أرى غيرَه، فتفرقوا على رأي أبي جهل، وأنهم يأتونه ليلاً، فأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ وأخبرَه بذلك، وأمره ألاَّ يبيتَ في مضجعِه، فأمر ﷺ علياً أن يبيتَ مكانه، وقال له: «تَسَبَّح بِبُرْدِي؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ»، وباتوا مترصِّدين في خروجِه، ثم خرج ﷺ فأخذ قبضةً من ترابٍ، فأخذَ اللهُ أبصارَهم عنه، وجعلَ ينثرُ الترابَ على رؤوسِهم وهو يقرأُ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ إلى قولِه: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٨-٩]، ومضى إلى الغارِ من ثورٍ، وهو جبلٌ بمكة هو وأبو بكر، وخلفَ علياً بمكة حتى يؤدِّيَ عنه الودائعَ التي قبلَها، وكانت توضَعُ عنده لصدقِه وأمانتِه، فلما أصبح المشركون لم يروه، ورأوا علياً في مكانِه، فقالوا: أينَ صاحبُكَ؟ قال: لا أدري، فاقتفوا أثره، فلما بلغوا الغارَ، رأوا على بابه نسجَ العنكبوتِ، فقالوا: لو دخلَه لم يكن نسجُ العنكبوتِ على بابه، فمكث فيه ثلاثاً، ثم قدمَ المدينةَ، فذلك قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(١).

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسوك في بيت ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفِهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكةَ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ يجازيهم جزاءَ مكرِهم.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ لأن مكرَهُ حقٌّ.

* * *

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن إسحاق (١/ ٣٨٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢١٥)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٢٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥١).

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ ﴾ يعني: النضرُ بنُ الحارثِ.

﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ لأنه كان يختلفُ تاجراً إلى الحيرةِ وفارس والروم، ويسمعُ أخبار رستم وإسفنديار، وأحاديثَ العجم، ويتحدث بها، ويمرُّ باليهود والنصارى، فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون، فجاء مكةَ فوجد محمداً ﷺ يصلِّي ويقرأ القرآن، ويذكر في قراءته أخبارَ القرون الماضيةِ، فقال النضرُ: ﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾(١) ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أخبارُ الأممِ الماضية وما سَطَروا في كتبِهم، والأساطيرُ جمعُ أسطورة، وهي المكتوبةُ.

* * *

﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا ﴾ أي: ما جاء به محمدٌ.

﴿ هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ نزلت في النَّضْرِ حينَ قال: لو شئتُ، لقلتُ مثل هذا، إن هذا إلا ما سطرَ الأولون في كتبِهم، فقال له النبي ﷺ: «وَيْلَكَ! إِنَّهُ كَلاَمُ اللهِ»، فقال استهزاء: اللهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندِك.

﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ عقوبةً على إنكاره، يقال في

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٦٨٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢١٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٤).

العذاب: أَمْطَرَتْ، وللرحمة: مَطَرَتْ.

﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سِواهُ، فقُتل يومَ بدرٍ صبراً. واختلافُ القراء في الهمزتين من قوله: (مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا) كاختلافِهم فيها (مِنْ خِطْبَةِ النساءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ) في سورة البقرة.

* * *

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ أي: المشركينَ عذابَ استئصالٍ، جوابُ سؤالِهم نزولَ الحجارةِ أو العذابِ الأليم.

﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ لأنَّ العذابَ إذا نزلَ، عَمَّ، ولهذا كان العذابُ إذا نزلَ بقومٍ يؤمرُ نبيُّهم بالخروجِ بالمؤمنين منهم من بينِهم، واللامُ في (لِيُعَذِّبَهُمْ) لتأكيدِ النفي؛ أي: لولا وجودُك بين ظَهْرانَيْهم، لَعُذِّبوا.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: وفيهم من سبقَ له من اللهِ أنه يصيرُ من أتباعِ محمدٍ ﷺ مثلَ أبي سفيانَ، وصفوانَ بنِ أميةَ وعكرمةَ بنِ أبي جهلٍ، وغيرِهم، وقيلَ غيرُ ذلكَ، قال ﷺ: «أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ أَمَانَيْنِ لأُمَّتِي: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فَإِذَا مَضَيْتُ، تَرَكْتُ فِيهِمُ الاِسْتِغْفَارَ»(١).

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٨٢)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأنفال، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ. وقال حديث غريب، وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث.

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ثم توَعَّدهم بعذابِ الدنيا فقال: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: وكيف لا يُعذَّبون.

﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أي: عن الطواف؛ لأنهم كانوا يقولون: نحنُ أولياءُ البيتِ، فنصدُّ من نشاءُ، ونترك من نشاءُ، فنزل: ﴿ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ أي: أولياءَ البيت ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ ﴾ أي: ليس أولياءَ البيتِ.

﴿ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الذين يتقونَ الشركَ.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنْ لا ولايةَ لهم عليه.

* * *

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي: دعاؤهم، أو ما يسمونه صلاةً.

﴿ إِلَّا مُكَآءً ﴾ إلا صفيراً بالأفواه، وهو أن يشبكَ الأصابعَ وينفخَ فيها.

﴿ وَتَصْدِيَةً ﴾ تصفيقاً بإحدى اليدين على الأخرى، وكان ﷺ إذا صلَّى، صَفَّروا وصفَّقوا عن يمينه وشماله؛ ليخلِطوا عليه قراءتَه، ويرون أنهم يصلُّون أيضاً.

﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ يعني: القتلَ والأسرَ يومَ بدرٍ.

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ اعتقاداً وعملاً.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

أي: ليصرفوا عن دين الله، نزلَتْ في المطعِمين يومَ بدرٍ، وكانوا اثني عشرَ رجلاً من قريش، وهم أبو جهلِ بنُ هشام، وعتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعةَ بنِ عبدِ شمس، ونبيهٌ ومنبهٌ ابنا الحجاج، وأبو البختريِّ بنُ هشام، والنضرُ بنُ الحارثِ، وحكيمُ بنُ حزام، وأُبيُّ بنُ خلف، وزمعةُ بنُ الأسود، والحارثُ بنُ عامرِ بنِ نوفلٍ، والعباسُ بنُ عبدِ المطلب، وكان يطعم كلَّ واحد منهم كلَّ يومٍ عشر جُزُر(١).

﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ ﴾ عاقبةُ النفقةِ على حربِ رسولِ الله ﷺ ببدرٍ يومَ القيامةِ.

﴿ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ أي: يتحسَّرون على ذلك.

﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ ﴾ ولا يظفرون.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ منهم.

﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ لأن منهم من أسلمَ.

***

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٠).

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ لِيَمِيزَ ﴾ ليبينَ ﴿ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ ﴾ الكافرَ ﴿ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ المؤمن. قرأ يعقوبُ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (لِيُمَيِّزَ) بضم الياء الأولى وفتح الميم وتشديد الياء الثانية، والباقون: بفتح الأولى وكسر الميم وإسكان الثانية(١).

﴿ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي: فوقَ بعضٍ.

﴿ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا ﴾ فيجمَعَه متراكباً، ومنه السحابُ المركومُ، وهو المجتمعُ الكثيفُ.

﴿ فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ﴾ كلَّه.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين أنفقوا أموالهم.

﴿ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ لأنهم خسروا أنفسَهم وأموالَهم.

* * *

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ ﴾ عن الكفر.

﴿ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ من ذنوبهم قبلَ الإسلامِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢، ١١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٨).

﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إليه ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بأن يَهْلِكوا إذا لم يُؤمنوا، و(سُنَّتُ) رُسمت بالتاء في خمسةِ مواضعَ، وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ[1].

* * *

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ شِرْكٌ ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ﴾ أي: جميعُ الأديان ﴿لِلَّهِ﴾ خالصاً لا شريكَ له.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عن الكفرِ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازي كلاً بعمله. قرأ رُويسٌ عن يعقوبَ: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[2].

* * *

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمانِ، وعادوا إلى قتالِ أهلِه.

﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ حافظُكم وناصرُكم عليهم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٩).

﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ لا يضيعُ من تولاه.

﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ ولا يُغْلَب من ينصرُه.

* * *

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ أخذْتُم من مالِ حربي قهراً بقتال.

﴿مِّن شَىْءٍ﴾ ممَّا يقعُ عليه اسمُ الشيء، حتى الخيط.

﴿فَأَنَّ﴾ فتحاً خبرُ مبتدأ؛ أي: فالحكم أن ﴿لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ وأُضيفَ المالُ إلى اسمِ اللهِ تشريفاً، ليسَ المرادُ منه أن سهماً من الغنيمة لله مفرداً، فإن الدنيا والآخرة كلَّها لله عز وجل.

﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قسمٌ، والمراد: أقاربه ﷺ بنو هاشم، وبنو المطلب، دون بني عبد شمس وبني نوفل، قال ﷺ: «أَمَّا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ فَشَيْءٌ وَاحِدٌ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، مَا فَارَقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَمٍ»(١).

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ جمعُ يتيمٍ، وهو صغيرٌ فقيرٌ مسلمٌ لا أبَ له.

---

(١) رواه أبو داود (٢٩٨٠)، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى، والنسائي (٤١٣٧)، كتاب: قسم الفيء، عن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ. ورواه البخاري (٣٣١١)، كتاب: المناقب، باب: مناقب قريش، عن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ مختصراً.

﴿ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾ وهم أهلُ الفاقةِ من المسلمينَ.

﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ هو المسافرُ البعيدُ عن مالِه، فكأنه قال: فإن لله خمسَهُ يُصرفُ إلى هؤلاء الأَخَصِّينَ به.

﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ ﴾ متعلقٌ بمحذوفٍ دلَّ عليه (واعلموا)؛ أي: إن كنتم آمنتم بالله، فاعلموا أنه جُعل الخمسُ لهؤلاء، فسلموه إليهم، واقنعوا بالأخماسِ الأربعةِ الباقية، فإن العلمَ العمليَّ إذا أُمر به، فالمراد به العملُ، وليس المراد منه العلمَ المجردَ.

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا ﴾ أي: وبما أنزلنا ﴿ عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ محمدٍ ﷺ من الآياتِ والملائكةِ والنصرِ.

﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾ يومَ بدرٍ، فإنه فرقَ فيه بين الحقِّ والباطل.

﴿ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ المسلمون والكفارُ.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من نصرِ القليل على الكثيرِ.

واتفق الأئمةُ على أن الغنيمةَ تقسَمُ خمسةَ أخماس، أربعةُ أخماسٍ منها لمن قاتلَ عليها على ما يأتي بيانُه، واختلفوا في الخمس الباقي فيمن يقسم؟ فقال أبو حنيفة: يقسمُ على ثلاثةِ أسهمٍ: سهمٌ لليتامى، وسهمٌ للمساكين، وسهمٌ لأبناء السبيل، يدخلُ فقراءُ ذوي القربى فيهم دونَ أغنيائهم، فأما سهمُ النبيِّ ﷺ، فهو خمسُ اللهِ ورسولِه، وقد سقطَ بموتِ النبيِّ ﷺ، كما سقط الصَّفِيُّ المختَصُّ به، وهو ما كانَ يختارُ قبلَ القسمةِ؛ كجاريةٍ وعبدٍ وثوبٍ وسيفٍ ونحوِه، وسهمُ ذوي القربى كانوا يستحقونه في زمنِه عليه السلام بالنصرة، وبعدَه فلا سهمَ لهم، وإنما يستحقونه بالفقر خاصةً، ويستوي فيه ذكرُهم وأنثاهم، وقال مالك: هذا الخمسُ لا يستحَقُّ بالتعيينِ

بشخصٍ دونَ شخصٍ، ولكنِ النظرُ فيه للإمام يصرفُه فيما[1] يرى، وعلى من يرَى من المسلمين، ويعطي القرابةَ من الخمسِ ومن الفيءِ والخراجِ والجزيةِ بالاجتهاد، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُقسمُ الخمسُ على خمسةِ أسهمٍ: سهمٌ كان لرسول الله ﷺ، وحكمُه باقٍ، فيصرَفُ بعدَه لمصالح المسلمين؛ كالثغورِ وأرزاقِ القضاةِ والعلماءِ، يقدَّمُ الأهمُّ فالأهمُّ، والثاني لبني هاشمٍ والمطلبِ، يشتركُ فيه الغنيُّ والفقيرُ، ويفضَّلُ الذكرُ على الأنثى كالإرث، والثالثُ لليتامى، والرابعُ للمساكين، والخامسُ لأبناء السبيل، ويقسم أربعةُ أخماس الغنيمةِ بينَ الغانمين الذين شهدوا الوقعةَ بنيةِ القتال.

واختلفوا في قسمه، فقال أبو حنيفةَ: للفارسِ سهمان، وللراجل سهمٌ، وقال الثلاثةُ وأبو يوسفَ ومحمدٌ: للفارسِ ثلاثةُ أسهمٍ، وللراجلِ سهمٌ، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ والشافعيُّ: لا يُسْهَمُ لأكثرَ من فرسٍ واحدٍ، وقال أحمدُ وأبو يوسفَ: يُسْهَمُ لفرسينِ، ولا يُسهم لغيرِ الخيل بالاتفاق، واختار الخرقيُّ من أصحابِ أحمدَ: أنَّ من غزا على بعير لا يقدرُ على غيره، قُسمَ له ولبعيرِه سهمان.

واختلفوا في السَّلَبِ، فقال أبو حنيفة: هو غنيمةٌ للكلِّ إلا أن يجعلَه الإمامُ للقاتل، فينقطع حقُّ الباقين عنه بالتنفيل، وقال مالك: إذا نفله ذلك الإمام بضرب من الاجتهاد، فيكونُ له من الخمسِ دونَ جملةِ الغنيمة، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: السَّلَبُ حقُّ القاتلِ يستحقُّه من رأسِ الغنيمةِ، سواءٌ قاله الإمامُ أو لم يقلْه، فتخرجُ الأسلابُ من الغنيمةِ، ومنها الدابةُ وآلتها[2]،

---

(١) في «ن»: «كيفما».
(٢) في «ن»: «وآلاتها».

وقال الشافعي: والنفقةُ، خلافاً لأحمدَ، ويُعطَى السلبُ للقاتل إذا قتلَه حالةَ الحربِ منهمكاً عليه، ثم يُخَمَّسُ بعدَ ذلك.

واختلفوا في النَّفَلِ، وهو الزيادةُ عل السهمِ للمصلحةِ، من أين يعطى؟ فقالَ أبو حنيفةَ ومالكٌ: النفلُ مواهبُ الإمامِ من الخمسِ على ما يرى من الاجتهاد، وليس في الأربعة أخماسٍ نفلٌ، وقال الشافعيُّ: النفلُ من خمسِ الخمسِ المرصَدِ للمصالح، وقال أحمدُ: يخرج الخمس، ثم ينفلُ الإمامُ من الأربعةِ أخماسٍ، ثم يقسمُ الباقيَ بينَ الناس.

واختلفوا في حكم الأرضين المغنومةِ، فقال أبو حنيفةَ: الإمامُ بالخيارِ، إن شاءَ قسمها بينَ الغانمين، وإن شاء أَقرَّ أهلَها عليها، ووضعَ عليهم وعلى أراضيهم الخراجَ، وإن شاءَ صرفَ أهلَها عنها، وأقرَّ غيرَهم فيها، وضربَ عليه الخراجَ، وقال مالكٌ: حكمُها كالفيء تصيرُ وقفاً لمصالحِ المسلمينِ بنفسِ الظهور عليها، وقال الشافعيُّ: حكمُها حكمُ المنقول على ما تقدَّمَ من التخميسِ والقسمةِ بينَ الغانمين، وقال أحمدُ: يُخير الإمامُ بين قسمِها كالمنقول، وبينَ وقفِها للمسلمين، ويضربُ عليها خراجاً يؤخَذُ ممن هي في يدِه من مسلمٍ وذميٍّ، ويلزُمه فعلُ الأصلحِ.

واختلفوا في مصرِفِ الفيءِ، وهو ما أُخذ من مالِ كافرٍ بحقٍّ بلا قتالٍ، كالجزيةِ والخراجِ، وما تركوه فزعاً، ومالُ من ماتَ منهم ولا وارثَ له، ولو مرتداً، فقال الشافعيُّ: يخمَّسُ كالغنيمةِ، والأربعةُ أخماسٍ للمقاتلةِ الذين أُثبتت أسماؤهم في ديوانِ الجهاد، ويصرَفُ بعضُه في إصلاح الثغورِ والسلاحِ، وقال الثلاثةُ: لا يخمَّسُ، وجميعُه لمصالح المسلمين.

***

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ .

[٤٢] ﴿إِذْ أَنتُم﴾ بدلٌ منْ (يوم الفرقان)؛ أي: إذ أنتم نُزولٌ يا معشرَ المسلمين.

﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بشاطىء الوادي الأدنى؛ أي: الأقربِ إلى جهةِ المدينةِ، و(الدنيا) تأنيثُ الأدنى.

﴿وَهُم﴾ يعني: المشركينَ.

﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ البُعْدَى عن المدينة مما يلي مكةَ، تأنيثُ الأقصى. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: بالمدِّ في الحرفينِ بكسرِ العين، والباقون: بضمِّها، وهما لغتانِ كالكُسوةِ والكِسوةِ[١].

﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ هم الذين كانوا مع العير: أبو سفيانَ وأصحابُه.

﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ بالساحلِ على ثلاثة أميالٍ من بدرٍ.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم وأهلُ مكةَ على موعدٍ تلتقونَ فيه للقتال.

﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ﴾ لأنهم خرجوا في طلبِ العير، فصادفوا النفيرَ من غيرِ ميعادٍ؛ لأن الكفارَ خرجوا ليذُبُّوا عنها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥١).

﴿وَلَٰكِن﴾ جمَعَكُمْ ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ من نصرِ أوليائِه، وقهرِ أعدائِه.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ﴾ أي: ليموتَ مَنْ ماتَ.

﴿عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ عن حُجَّةٍ قامتْ عليه.

﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ﴾ ويعيشَ من عاشَ.

﴿عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ عن حجَّةٍ واضحةٍ شاهدَها؛ فإن وقعةَ بدرٍ من الآياتِ الواضحة، وقيل: المرادُ بالهلاكِ والحياةِ: الكفرُ والإيمانُ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ، وخلفٌ، والبزيُّ عن ابنِ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ (مَنْ حَيِيَ) بياءين الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة، واختلِفَ عن قنبل راوي ابنِ كثيرٍ، والباقون: بواحدة مفتوحة مشددة(١).

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ لدعائِكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتِكم.

* * *

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿إِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ﴾ في نومِك؛ لأنه ﷺ رآهم في نومه ﴿قَلِيلًا﴾ ليقدموا عليهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٢).

﴿ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (أَراكَهُمْ) بالإمالة، واختلِفَ عن ورشٍ(١).

﴿ لَّفَشِلْتُمْ ﴾ جبُنْتم ﴿ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ أي: اختلفتم في أمرِ حربِهم.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾ من الفشلِ والتنازعِ.

﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ يعلمُ ما سيكونُ فيها، وما تغيرَ من أحوالِها.

* * *

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ ﴾ أي: يبصِّرُكُم إياهم.

﴿ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ ﴾ أي: وقتَ اللقاءِ.

﴿ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ حال؛ لتقدموا عليهم.

﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ ليقدموا عليكم.

﴿ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ كائناً من إعزازِ الإسلامِ وأهلِه(٢)، وإذلالِ الشركِ وحزبِه.

﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٣).

(٢) في «ش»: «وأهل مكة».

ويعقوبُ: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم[1].

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ جماعةً محاربين. قرأ أبو جعفر: (فِيَةً) بفتح الياء من غير همزٍ[2] ﴿ فَٱثْبُتُواْ ﴾ لقتالِهم.

﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ وادعوه بالنصرِ.

﴿ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لكي تظفروا بمرادِكم.

* * *

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ ﴾ باختلافِ الآراء. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (وَلاَ تَّنَازَعُوا) بالمدِّ وتشديدِ التاء[3].

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢، ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٣).

(٢) في «ت»: «همزة». وانظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٥٣).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿فَتَفْشَلُوا۟﴾ تَجْبُنوا وَتَضْعُفوا.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ دولتُكم، والريحُ هنا كنايةٌ عن نفاذِ الأمرِ، تقول العربُ: هَبَّتْ ريحُ فلانٍ: إذا أقبلَ أمرُه على ما يريد.

﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ قال ﷺ: «لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ»[1].

***

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ هم النفيرُ، خرجوا لنصرِ العيرِ، وكانت قد نجتْ مع أبي سفيانَ عن طريقِ الساحلِ، فلم يرجِعوا.

﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ لِيُثْنوا عليهم بالشجاعةِ والسماحةِ؛ لأنهم قالوا: لا نرجع حتى نشربَ الخمورَ، وننحرَ الجزورَ، وتعزفَ علينا القَيْناتُ، وتسمعَ بنا العربُ، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فوافَوا بدراً، فَسُقُوا كؤوسَ المنايا مكانَ الخمر، وناحت عليهم النوائحُ مكانَ القَيْنَاتِ، فنهى الله سبحانَه عن التشبُّهِ بهم في الخيلاءِ، وأمرَ بإخلاصِ النيةِ.

= (٢/ ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٣).

(١) رواه البخاري (٢٨٦١)، كتاب: الجهاد والسير، باب: لاتمنوا لقاء العدو، ومسلم (١٧٤٢)، كتاب: الجهاد والسير، باب: كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء، عن عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ.

قرأ أبو جعفرٍ: (وَرِيَاءِ النَّاسِ) بفتحِ الياءِ بغيرِ همزٍ[1].

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ لمن بقيَ من الكفارِ، ونفوذ القدرِ فيمن مضى بالقتل.

* * *

﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَإِذۡ﴾ أي: واذكر إذ ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ بأن شَجَّعهم على لقاءِ المسلمين؛ لأن إبليسَ جاءهم في صورة سُراقةَ بنِ مالكٍ الكِنانيِّ، وهو سيدٌ من ساداتهم. قرأ أبو عمرٍو، وهشامٌ، والكسائيُّ، وخلادٌ: (وَإِذ زَّيَّنَ) وشبهَه بإدغامِ الذالِ في الزاي، والباقون: بالإفراد[2].

﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ أي: مُجيرٌ.

﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ﴾ التقى الجمعان، ورأى الملائكة.

﴿نَكَصَ﴾ رجعَ القهقرى.

﴿عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ على قفاه هارباً، فلزمَهُ الحارثُ بنُ هشام وقالَ: أتخذلُنا؟ فضربَ صدرَه وانهزمَ.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٤).

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من جوارِكم.

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ رأى الملائكةَ وجبريلَ يقودُ فرسَ النبيِّ ﷺ به.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أن يُهلكني ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ قيل: انقطعَ الكلامُ عند قوله: ﴿أَخَافُ ٱللَّهَ﴾، ثم يقول الله[1]: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

قرأ الكوفيونَ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي أَرَى) (إِنِّي أَخَافُ) بإسكان الياء فيهما، والباقون: بفتحها[2].

* * *

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ الذين في المدينةِ ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هم المشركون: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنون[3]: المؤمنينَ.

﴿دِينُهُمْ﴾ أي: توهَّموا أن يُنْصروا بسببِ دينِهم، فخرجوا وهم ثلاثُ مئةٍ وبضعةَ عشرَ إلى زهاءِ ألفٍ.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ جوابٌ لهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالبٌ لا يذلُّ من استجاره ﴿حَكِيمٌ﴾ يفعلُ بحكمتِه ما يستبعدُه العقلُ.

* * *

---

(١) «الله» لفظ الجلالة لم يرد في «ش».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٤_٤٥٥).

(٣) في «ت»: «يعني».

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ يا محمدُ ﴿ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ ببدرٍ.

قرأ ابنُ عامرٍ: (تَتَوَفَّى) بالتاء على التأنيث، والباقون: بالياء على التذكير(١).

﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ ظهورَهم بالسِّياطِ عندَ الموت.

﴿ وَذُوقُوا۟ ﴾ أي: وتقول لهم الملائكة: ذوقوا ﴿ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾، وهذا مقدمةٌ لعذابِ النارِ؛ أي: لو رأيتَ ذلكَ، لرأيتَ أمراً عظيماً.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الضربُ والعذابُ.

﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ أي بسببِ ما كَسَبتم من الكفر.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ظَلاَّمٌ للتكثيرِ لأجلِ العبيدِ.

* * *

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ كَدَأْبِ ﴾ أي: دأبُ هؤلاء ﴿ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ تفسيراً لدأبِهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٥).

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۚ ﴾ كما أخذَ هؤلاء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لا يغلبُه في دفعِه شيءٌ.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارةٌ إلى ما حلَّ بهم ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي: بسببِ أن الله.

﴿ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ مُبدلاً إياها بالنقمةِ.

﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ يبدلوا ما بهم من الحالِ إلى حالٍ أسوأَ؛ كالتلبُّسِ بالمعاصي أو الكفرِ الذي يوجبُ عقابَهم، فإذا فعلوا ذلك، غَيَّرَ اللهُ نعمتَه عليهم بنقمتِه منهم، كما أنعمَ على قريشٍ بمحمدٍ ﷺ، فكفروا، فغير الله تلكَ النعمةَ بأن نقلَها إلى غيرهم من الأنصارِ، وأحلَّ بهم عقوبتَه.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لما يقولون ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما يفعلون.

* * *

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: كصُنْعِهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من كفارِ الأممِ.

﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أهلكنا بعضَهم بالرجفة، وبعضَهم بالخسف، وبعضَهم بالمسخ، وبعضَهم بالريح، وبعضَهم بالغرق، فكذلك أهلَكْنا كفارَ بدرٍ بالسيفِ لما كذَّبوا بآياتِ ربهم.

﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ يعني: الأولينَ والآخِرينَ.

* * *

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أصرُّوا على الكفر.

﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فلا يُتوَقَّعُ منهم إيمان.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ﴾ بدلٌ من الذين كفروا، وهم بنو قريظةَ: كعبُ بنُ الأشرفِ وأصحابُه؛ أي: أخذتَ منهم العهدَ.

﴿ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ ﴾ عاهدوا فيها؛ لأنهم عاهدوه ﷺ ألاَّ يُعينوا عليه، فأعانوا المشركينَ بالسلاح على قتالِه، وقالوا: نَسينا وأخطأنا، ثم عاهدوا ثانيةً، فأعانوا الكفارَ يومَ الخندق، وسارَ ابن الأشرفِ إلى مكةَ، فعاهدَ الكفارَ.

﴿ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ اللهَ.

* * *

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ ﴾ تظفرن بهم.

﴿ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ المعنى: افعلْ بهم فِعْلاً من القتل

ونحوهِ يفرِّقُ به مَنْ وراءهم من أعدائِك؛ لأنك إذا نكلتَ بهؤلاء، تفرَّقَ الأعداءُ، ولم يقدموا عليك.

﴿ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ يتَّعظون فلا يحاربونك.

***

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ (٥٨) ﴾.

[٥٨] ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً ﴾ بنقضِ عهدٍ.

﴿ فَٱنۢبِذۡ ﴾ اطرحْ عهدهم.

﴿ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ ﴾ أي: بحيث تستوون أنت وهم في العلم بنقضِه؛ لئلا تُتَّهم بخيانةٍ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ قال ﷺ: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَلاَ يَشُدَّ عُقْدَةً وَلاَ يَحُلَّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُها، أَوْ يُنْبَذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ»(١).

***

﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ (٥٩) ﴾.

[٥٩] ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ ﴾ أي: فاتوا، الخطابُ للنبيِّ ﷺ في الذين انهزموا من المشركين ببدر. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يَحْسَبَنَّ) بالغيبِ وفتحِ السين؛ أي لا يحسبنَّ الذين

---

(١) رواه أبو داود (٢٧٥٩)، كتاب: الجهاد، باب: في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه، والترمذي (١٥٨٠)، كتاب: السير، باب: ما جاء في الغدر، وقال: حسن صحيح، عن سليم بن عامر ـ رضي الله عنه ـ.

كفروا أنفسَهم سابقينَ فائتينَ من عذابنا، وقرأ الباقون: بالخطابِ[1] على المعنى الأول.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يجدون طالبَهم عاجزاً عن إدراكِهم. قرأ ابنُ عامرٍ: (أَنَّهُمْ) بفتح الألف؛ بمعنى: لأنهم، أي: لا يحسبن عليهم النجاة؛ لأنهم لا ينجون، والباقون: بكسر الألفِ على الابتداء[2].

* * *

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ أي: اتخذوا أيها المؤمنون لناقِضي العهد.

﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ كلَّ ما يُتقَوَّى به من آلةِ الحربِ.

﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ أي: اقتناؤها وربطُها في الثغورِ للغزوِ[3].

﴿تُرْهِبُونَ﴾ تُخيفونَ ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ كفارَ مكةَ. قرأ رُويسٌ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٣-٢٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٨).

(٣) «للغزو» ساقطة من «ت».

عن يعقوبَ: (تُرَهِّبُونَ) بفتح الراء وتشديد الهاء، من رَهَّبَ، والباقون: بإسكان الراء وتخفيف الهاء، من أَرْهَبَ[١].

﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ﴾ من غيرهم من الكفرةِ، قيل: هم المنافقون، وقيل: هم اليهودُ، وقيل: الفرسُ ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ لا تعرفون أعيانَهم و﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ أجرُه.

﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ بنقصِ أُجورِكم.

* * *

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ ﴾ مالُوا للصلح. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: بكسر (السِّلْم)، والباقون: بالفتح، وهما لغتانِ بمعنًى واحد[٢].

﴿ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ أي: إن صالحوا، فصالحهم، وتأنيثُ الضمير؛ لأنَّ السلمَ بمعنى المسالمةِ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ثِقْ به.

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالِك ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأحوالك.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٥٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦، ٢٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٦٠-٤٦١).

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ ﴾ يكيدوكَ بالمصالحةِ.

﴿ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾ كافيكَ من خدعهم.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ ﴾ قوّاكَ.

﴿ بِنَصْرِهِۦ ﴾ إياكَ بالملائكةِ.

﴿ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنصارِ.

* * *

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ وَأَلَّفَ ﴾ جمعَ ﴿ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ ﴾ أي: بينَ الأوسِ والخزرجِ، معَ ما كان بين الفريقين من العداوةِ، فألَّفَ الله تعالى قلوبَهم على الإسلام، وردَّهم متحابين في الله، وهذا من معجزاته ﷺ.

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ ﴾ بقدرته البالغةِ ﴿ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ ﴾ تامُّ القدرةِ ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فعَّالٌ لما يريدُ.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ كافيكَ.

﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾ أي: وحسبُ منِ اتَّبعَكَ.

﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ نزلتْ في البيداءِ في غزوةِ بدرٍ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

[٦٥] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: حُثَّهم.

﴿ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ ﴾ أبلغَ حَثٍّ.

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ ﴾ رجلاً ﴿ صَـٰبِرُونَ ﴾ محتسبون.

﴿ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ ﴾ من عدوِّهم ويَقْهروهم.

﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ ﴾ صابرة محتسبة. قرأ الكوفيون، والبصريان: (يَكُنْ) بالياءِ على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث[١].

﴿ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ دينَ الله، ولا ثَباتَكُمْ، لفظُهُ شرطٌ، ومعناهُ أمرٌ؛ أي: ليقاتلِ العشرونَ منكم مئتين، والمئةُ ألفاً.

* * *

﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

[٦٦] وكان هذا يومَ بدرٍ، فرضَ اللهُ على الرجلِ الواحدِ من المؤمنين قتال عشرةٍ: من الكافرين، فثقلَتْ على المؤمنين، فخفَّفَ الله عنهم، فنزل:

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ ضعفَ البدن. قرأ أبو جعفرٍ: (ضُعَفَاءَ) بفتح العين والمدِّ وبالهمزةِ مفتوحة نصباً، وعاصمٌ، وحمزةُ، وخلفٌ: (ضَعْفاً) بفتح الضاد وإسكان العين، والباقون: بضمِّ الضاد وإسكان العين، وكلُّهم بالتنوينِ من غيرِ مدٍّ ولا همزٍ سوى أبي جعفرٍ(١).

﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ﴾ من الكفار. وقرأ الكوفيون: (يَكُنْ) بالياء، والباقون: بالتاء على التأنيث(٢).

﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ بالنصرِ والمعونةِ فردَّ من العشرةِ إلى الاثنين، فلا يجوزُ للواحدِ الفرارُ من اثنين إلا متحرِّفاً لقتال، أو متحيِّزاً إلى فئةٍ، كما تقدَّم ذكرُ الحكمِ فيه عقبَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال: ١٥].

***

﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (تَكُونَ) بالتاء مؤنثاً؛ لتأنيثِ الجماعة، وأبو جعفرٍ وحدَه قرأ: (أُسَارَى) بضم الهمزة وبألف بعد السين، والباقون: بالياء مذكراً لتذكير

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٨-٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٦١-٤٦٢).

(٢) المصادر السابقة.

الجمع، و(أَسْرَى) كأبي عمرٍو، ويعقوبَ: بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدَها[1]، وأمالَ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (أَسْرَى)، واختلِفَ عن ورشٍ[2].

﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يبالغَ في قتلِ المشركينَ وأسرِهم حتى يُذلَّ الكفرُ ويُعَزَّ الإسلامُ ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ حُطامَها بأخذِكم الفداءَ.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ يريدُ لكم ثوابَها.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يُغلِبُ أولياءه على أعدائِه.

﴿حَكِيمٌ﴾ يعلمُ ما يليقُ بكلِّ حالٍ ويخصُّه بها، كما أمر بالإثخانِ، ومنعَ عن الفداء حين كانت الشوكةُ للمشركين، وخَيَّرَ بينه وبين المنِّ لما تحولتِ الحالُ، وصارت الغلبةُ للمؤمنين.

روي أنه عليه الصلاة والسلام أتي يومَ بدرٍ بسبعين أسيراً، فيهم العباسُ، وعقيلُ بنُ أبي طالب، فاستشارهم فيهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: «قومُكَ وأهلكَ، استبْقِهم لعلَّ اللهَ يتوبُ عليهم، وخذْ منهم فديةً تُقَوِّي بها أصحابَكَ»، فقال عمرَ رضي الله عنه: «اضربْ أعناقَهم؛ فإنهم أئمةُ الكفر، وإن الله أغناكَ عن الفداء، فمكنِّي من فلان، نسيبٍ له، ومكِّنْ علياً وحمزةَ من أَخَويهما فلنضربْ أعناقَهم»، فلم يهوَ ذلك النبيُّ ﷺ، وقال:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٦٢-٤٦٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٦٣).

«إِنَّ اللهَ لَيُلَيِّنُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللهَ لَيُشَدِّدُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَثَلُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ومَثَلَكَ يَا عُمَرُ مَثَلُ نُوحٍ قَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، فَخَيَّرَ أَصْحَابَه، فأخذوا الفداءَ، وكانَ الفداءُ لكلِّ أسيرٍ أربعينَ أوقيةً، والأوقيةُ أربعونَ درهماً، ولم يكنْ من المؤمنين أحدٌ ممن حضرَ إلا أحبَّ الغنائمَ إلا عمرَ بنَ الخطابِ، فإنه أشارَ بقتلِ الأسرى، وسعدُ بنُ معاذٍ قال: «يا نبيَّ الله كانَ الإثخانُ في القتلِ أَحبَّ إليَّ من استبقاءِ الرجالِ»، فنزلتِ الآية[١].

* * *

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] فدخلَ عمرُ رضي الله عنه على رسولِ الله ﷺ، فإذا هو وأبو بكرٍ رضي الله عنه يبكيان، فقال: يا رسولَ الله! أخبرني، فإنْ أجد بكاءً بكيتُ، وإلاَّ تباكَيْتُ، فقال: أَبْكِي عَلَى أَصْحَابِكَ فِي أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، وَلَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؛ شَجَرَةٍ قريبةٍ منه[٢].

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أي: حكمٌ سبقَ في اللوحِ المحفوظِ أنه لا يؤاخذُ على خطأٍ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦٩٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٢١)، وغيرهم عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه مسلم (١٧٦٣)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

* * *

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ .

[٦٩] رُوي أنه ﷺ قال: «لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ، مَا نَجَا مِنْهُ غَيْرُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»(١) فلما نزلت هذه الآية، أمسكوا عما أخذوه من الفدية، فنزل: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الفدية؛ فإنها من جملة الغنائم.

﴿حَلَٰلًا﴾ أي: أكلاً حلالاً، وفائدتُه إزاحةُ ما وقعَ في نفوسهم منه بسببِ تلكَ المعاتبةِ، ولذلك وصفَه بقولِه: ﴿طَيِّبًا﴾ قال ﷺ: «أُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي»(٢).

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في مخالفته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما صدرَ منكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بتوبتِه عليكم.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ .

[٧٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (الأُسَارَى) بضمِّ الهمزةِ وفتحِ السين وبعدَها ألفٌ على وزنِ فُعالى، وقرأ الباقون: (الأَسْرَى) بفتحِ الهمزة وإسكانِ السين من غيرِ ألفٍ بعدَها على وزن فَعْلَى(٣)، وهم على أصولِهم في الإمالة كما تقدَّمَ

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) وقد تقدم هذا عنهم قريباً.

قريباً[1]؛ أي: قلْ للأسارى الذين ملكتَهم وأخذْتَ منهم الفداء:

﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ خلوصَ إيمان.

﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداءِ بأن يُضَعِّفَه لكم في الدنيا، ويثيبَكم عليه في الأخرى.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ رُوي أنها نزلَتْ في العباس رضي الله عنه، كلَّفَه رسولُ الله ﷺ أن يفديَ نفسَه وابني أَخَويه عقيلَ بنَ أبي طالب ونوفلَ بنَ الحارث، فقال: يا محمدُ! تركتَني أَتَكَفَّفُ قريشاً ما بقيتُ، فقالَ: فَأَيْنَ الذَّهَبُ الَّذِي دَفَعْتَهُ إِلَى أُمِّ الْفَضْلِ وَقْتَ خُرُوجِكَ، وَقُلْتَ لَهَا: إِنِّي لاَ أَدْرِي مَا يُصِيبُنِي فِي وَجْهِي هَذَا، فَإِنْ حَدَثَ لِي حَدَثٌ، فَهُوَ لَكِ وَلِعَبْدِ اللهِ وَعُبَيْدِ اللهِ وَالْفَضْلِ وَقُثَمَ» فقال: وما يدريكَ؟ فقال: «أَخْبَرَنِي بِهِ رَبِّي تَعَالَى»، فقال: فأشهدُ أنَّك صادقٌ، وأَنْ لا إلهَ إلا الله، وأنكَ رسولُه، واللهِ! لم يطلعْ عليه أحدٌ إلا اللهُ، ولقد دفعتُه إليها في سوادِ الليلِ، قال العباسُ: فأبدلني الله منها عشرينَ عبداً كلُّهم تاجرٌ يضربُ بمالٍ كثير، وأدناهُم يضربُ بعشرينَ ألفَ درهمٍ مكانَ العشرينَ أوقيةً، وأعطاني زمزمَ، وما أحبُّ أن لي بها جميعَ أموالِ أهلِ مكةَ، وأنا أنتظرُ المغفرة من ربي[2].

* * *

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾.

[٧١] ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟﴾ أي: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ نقضَ ما عاهدوكَ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٤١).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٤١).

﴿ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبلِك بكفرِهم.

﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ ببدرٍ قتلاً وأسراً.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: فإنْ عادوا، فسيمكِنُكَ منهم.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ونزلَ في المهاجرين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ﴾ أي: هَجَروا قومَهم وديارَهم ﴿ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ونزلَ في الأنصار: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ ﴾ رسولَ اللهِ ﷺ والمهاجرين معه؛ أي: أسكنوهم منازلَهم.

﴿ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ أي: ونصروهم على أعدائِهم.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ دونَ قراباتهم من الكفارِ في الدينِ والحلفِ والنُّصرةِ والميراثِ، وكان المهاجرون والأنصارُ يتوارثونَ بالهجرة حتى كان فتحُ مكةَ، وانقطعتِ الهجرةُ، نُسِخَ بقوله: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٥].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾ أي: لا توارثَ بينَهم حتى يُهاجروا إليكم. قرأ حمزةُ: (وِلَايَتِهِمْ) بكسر

الواو، والباقون: بالفتح[1]، ومعناهما واحد؛ كالدَّلالة والدِّلالة، وقيل: بالفتح معناهُ: النصرُ، وبالكسر: الإمارة.

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي: المؤمنون الذين لم يُهاجروا.

﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ أي: فواجبٌ عليكم أن تنصروهم على المشركين.

﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ أي: عهدٌ، فلا تنصروهم عليهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في الموارثةِ والنُّصرةِ، فلا تُوَالوهم أنتم.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إن لم تفعلوا ما أُمرتم به من النصرة على الكفار والتواصُلِ.

﴿تَكُن﴾ تحصُلْ ﴿فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بقوةِ الكفرِ.

﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بضعفِ الإسلام.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٦٥).

[٧٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ الكاملون في الإيمان حَقّقوا إيمانَهم بتعجيلِ مقتضاهُ؛ من الهجرةِ والجهادِ وبذلِ المالِ ونصرةِ الحقِّ.

﴿ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ لا تبعةَ ولا مِنَّةَ فيه، وهو طعامُ الجنة، وكُرِّرَتْ هذه الآيةُ؛ لأن بعضَهم هاجرَ قبلَ الحُدَيبية، وبعضهم بعدَها، وبعضهم ذو هجرتين: هجرةٍ إلى الحبشة، وهجرةٍ إلى المدينة، فالآية الأولى لأصحابِ الهجرة الأولى، والثانية للثانية.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥ ﴾.

[٧٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ أي: بعد السابقينَ إلى الهجرةِ الأولى.

﴿ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ ﴾ أي: من جملتكم، لطفَ تعالى باللاحقين، فجعلَهم من السابقين.

﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ اللوحِ المحفوظِ، فنسخَ التوارثَ بالهجرة، وردَّ الميراثَ إلى أولي الأرحامِ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ صفة مناسبة لنفوذِ هذه الأحكام.

واختلف الأئمةُ في توريثِ ذوي الأرحام ممن لا سهمَ له في القرآن، وهم كلُّ ذي قرابة ليسَ بذي فرضٍ ولا عَصَبَةٍ، وهم أحدَ عشر صنفاً: أولادُ البناتِ الذكورُ منهم والإناثُ، وولدُ الأخواتِ، وبناتُ الإخوة، وبناتُ الأعمام، وبنو الإخوة من الأم، والعماتُ، والأخوالُ، والخالاتُ، والجدُّ

أبو الأم، والجدةُ أمُّ أبي الأمِّ، ومن أدلى بهم، فذهب مالكٌ والشافعيُّ أنهم لا يُورَّثون، وبيتُ المال أولى منهم.

وذهب أبو حنيفةَ وأحمدُ: إلى أنهم يورَّثون، استدلالاً بالآية الشريفة، وبقوله ﷺ: «الْخَالُ وَارِثُ مَنْ لاَ وَارِثَ لَهُ»[(١)]، ويقدَّمُ الردُّ عليهم، فإن كان للميتِ[(٢)] ذو فرضٍ لم يستغرقِ المالَ، وفضلَتْ منه فضلةٌ، ولم يكنْ عصبةٌ، فالفاضلُ مردودٌ عليهم على قدرِ سِهامهم؛ للآية الشريفة، ولقوله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِلْوَارِثِ»[(٣)]، ولا يُرَدُّ على الزوجِ والزوجةِ؛ لأنهما ليسا من أولي الأرحام، وإذا لم يكنْ للميتِ عصبةٌ، ولا ذو فرضٍ من أهلِ الردِّ، فالميراثُ لذوي الأرحامِ ممن ذُكر من الأصناف. واختلفَ مورِّثاهم في كيفيةِ توريثهم، فقال أبو حنيفةَ: يورَّثون على ترتيب العصباتِ، الأقربُ فالأقرب؛ كمن له بنتُ بنتِ بنتٍ[(٤)] وأَبُ أمٍّ، فهو أولى؛ لأنه أقربُ، وإن كانَ أبَ أبِ أُمٍّ، وعمةٌ أو خالةٌ، فهي أولى؛ لأنها أقربُ، ونحو ذلك، فإن استووا في القربِ والإدلاءِ، فإن اتفقتِ الآباءُ والأمهاتُ، فالمال بينَهما على السواء إن كانوا ذكوراً أو إناثاً، وإن كانوا

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٩٩)، كتاب: الفرائض، باب: في ميراث ذوي الأرحام، وابن ماجه (٢٦٣٤)، كتاب: الديات، باب: الدية على العاقلة، فإن لم يكن عاقلة، ففي بيت المال، عن المقدام ـ رضي الله عنه ـ. وفي الباب: عن عائشة وأبي أمامة ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) في «ت»: «الميت».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٦٤)، والطيالسي في «مسنده» (٢٣٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٦٣)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) في «ت»: «بنت بنت» بدل «بنت بنت بنت».

مختلطين، فللذكر مثلُ حظِّ الأنثيين، مثالُه: بنتُ بنتِ ابنٍ، وبنتُ بنتِ ابنٍ، المالُ بينَهما على السواء، وكذلك ابنُ بنتِ بنتٍ، وابنُ بنتِ بنتٍ، وإن كانَ بنتَ بنتِ بنتٍ وابنَ بنتِ بنتٍ، المالُ بينهما أثلاثاً، وإن اختلفَ الأمهاتُ والآباءُ، فعندَ أبي يوسف، وهو روايةٌ عن أبي حنيفةَ رحمهما الله: العبرةُ لأبدانِهم لا لأصولِهم؛ لأن ذوي الأرحام إنما يورَّثون بالقرابة كالعصبات، وكلُّ واحدٍ مستبدٌّ بنفسِه في أصلِ الاستحقاقِ، فتعتبر الأبدانُ كالعصبات، وعندَ محمدٍ، وهو أشهرُ روايتين عن أبي حنيفة: العبرةُ لأصولِهم، فيقسَمُ المالُ على أصولِهم، ويعتبرُ الأصلُ الواحدُ متعدداً بتعدُّدِ أولاده، ثم يُعْطَى لكلِّ فرعٍ ميراثُ أصلِه، ويَجعلُ كلَّ أنثى تُدْلي إلى الميت بذكرٍ ذكراً، وكلَّ ذكرٍ يدلي إلى الميتِ بأنثى أنثى، سواء كانَ إدلاؤهما بأبٍ واحدٍ أو بأكثر، أو بأمٍّ واحدةٍ أو بأكثرَ، ثم يقسمُ سهامَ كلِّ فريقٍ بينَهم بالسويةِ إن اتفقتْ صفاتُهم، وإذا اختلفَتْ، فللذكرِ مثلُ حظِّ الأنثيين؛ لأن الفروعَ إنما تستحقُّ الميراثَ بواسطةِ الأصولِ، فيجب أن تكونَ العبرةُ للأصولِ.

وقال أحمد: يُوَرَّثون بالتنزيل، وهو أن يُجعل كُلُّ شخصٍ بمنزلةِ مَنْ أدلى به، فتجعلُ ولدَ البناتِ والأخواتِ كأمهاتهم، وبناتِ الإخوةِ والأعمامِ وأولادَ الإخوة من الأمِّ كآبائِهم، والأخوالَ والخالاتِ وآباءَ الأمِّ كالأمِّ، والعماتِ والعمَّ من الأمِّ كالأب، ثم تجعلُ نصيبَ كلِّ وارثٍ لمن أدلى به، فإن أدلى جماعةٌ بواحدٍ، واستوتْ منازلُهم منه، فإن كانَ أبوهم واحداً، وأُمُّهم واحدةً، فنصيبُه بينَهم بالسويَّة، ذكرُهم وأنثاهم سواءٌ، لأنهم يورَّثون بالرَّحِمِ المجرَّدِ، فاستوى ذكورُهم وإناثهم؛ كولدِ الأمِّ، وإذا كانَ ابنٌ وبنتُ أختٍ وبنتُ أختٍ أُخرى، فلبنتِ الأختِ وحدَها النصفُ، وللأخرى وأخيها النصفُ بينَهما، وإن اختلفتْ منازلُهم من المدلي بهِ، جعلته كالميِّتِ،

وقسمتَ نصيبَه بينَهم على ذلكَ، ويسقطُ البعيدُ بالقريب إن كانا من جهةٍ واحدة؛ كخالةٍ وأمِّ أبي أمٍّ، أو ابنِ خالٍ، فالميراثُ للخالة؛ لأنها تلقى الأمَّ بأولِ درجةٍ، وإن كانا من جهتين، نزلتَ البعيدَ حتى يلحقَ بوارثه، سواءٌ سقط به القريبُ، أو لم يسقطْ؛ كبنتِ بنتِ بنتٍ، و بنتِ أخٍ لأخٍ، المالُ لبنتِ بنتِ البنتِ بالفرضِ والردِّ.

واتفقَ الأربعةُ على أنَّ من ماتَ ولا وارثَ له من ذوي فرضٍ ولا تعصيبٍ ولا رحمٍ، فإن مالَه لبيتِ مالِ المسلمين.

ثم اختلفوا في صرفِ التركةِ إلى بيتِ المال، فقالَ الشافعيُّ ومالكٌ: تصرَفُ إرثاً، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: ليسَ بيتُ المالِ وارثاً، وإنما يحفظُ المالَ الضائعَ وغيرَهُ، فهو جهةٌ ومصلحةٌ، واللهُ أعلمُ.

* * *



مدنية وآيها مئة وتسع وعشرون آية، وحروفُها عشرة آلافٍ وثمانُ مئةٍ وسبعة وثمانون حرفاً، وكلمُها ألفان وأربع مئة وسبع وتسعون كلمة.

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: قلت لابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: «سورةُ التوبةِ؟ فقالَ: تلكَ الفاضِحَةُ، ما زالتْ تنزلُ: ومنهم، ومنهم، حتى خَشينا ألاَّ تدعَ أحداً»[١].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إنكم تُسمون هذهِ السورةَ سورةَ التوبَةِ، وإِنَّها سورةُ العذابِ، واللهِ ما تركَتْ أحداً إلا نالَتْ منه»[٢].

أهلُ المدينةِ يسمونها: التوبةَ، وأهلُ مكةَ يسمونها: الفاضحةَ، وسميت التوبةَ؛ لأن فيها التوبةَ على المؤمنين، والفاضحةَ؛ لأنها تفضحُ المنافقين، ومن أسمائها: المخزيةُ؛ لأنها تخزيهم، والمقشقشةُ؛ لأنها تقشقش من النفاق؛ أي: تبرىء منه، والمبعثرةُ، لأنها تبعثرُ أسرارَ المنافقين،

---

(١) رواه البخاري (٤٦٠٠)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الحشر، ومسلم (٣٠٣١)، كتاب: التفسير، باب: في سورة براءة والأنفال والحشر.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٢٦٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٣٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٧٤).

والمشرِّدَةُ، لأنها تشرِّدُ بهم، والمثيرةُ؛ لأنها تبحثُ عن حالِ المنافقينَ وتُثيرها، والحافرةُ؛ لأنها حفرتْ على قلوبهم، والمنكِّلَةُ؛ لأنها تُنَكِّلُ بهم[١]، والمُدَمْدِمَةُ؛ لأنها تدمدمُ عليهم، وسورةُ العذابِ؛ لتضمُّنها معناه.

واختلِفَ في سقوطِ البسملةِ من أولها، فقيل: كان من شأن العربِ في زمنِ الجاهلية إذا كانَ بينَهم وبينَ قومٍ عهدٌ، فإذا أرادوا نقضَه، كتبوا إليهم كتاباً لم يكتبوا فيه البسملةَ، فلما نزلَتْ براءةُ بنقضِ العهدِ الذي كانَ بينَ النبيِّ ﷺ والمشركين، بعثَ بها النبيُّ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه، فقرأها عليهم في الموسم، ولم يتسهَّلْ في ذلكَ على ما جرتْ عادتُهم في نقضِ العهدِ من تركِ البسملة.

وقال ابنُ عباسٍ لعثمان رضي الله عنه: ما حملَكُم على أَنْ عمدتُم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين، فقرنتم بينَهما، ولم تكتبوا بينَهما سطرَ: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال: عثمان رضي الله عنه: إن رسولَ الله ﷺ كان إذا نزلَ عليه الشيءُ، يدعو بعضَ من يكتبُ عندَه، فيقول: «ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فيها كَذَا وَكَذَا»، وكانت الأنفال مما نزلَ بالمدينة، وبراءةُ من آخرِ ما نزلَ، وكانت قصَّتُها شبيهةً بقصتها، وقُبضَ رسولُ الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فظننتُ أنها منها، فمن ثَمَّ قرنتُ بينَهما، ولم أكتبْ بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم[٢].

---

(١) في جميع النسخ «تنكلهم»، والصواب ما أثبت.

(٢) رواه أبو داود (٧٨٦)، كتاب: الصلاة، باب: من جهر بها، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٠٧)، والترمذي (٣٠٨٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة =

وكانتا تدعيان: القَرينين، قال ابنُ العربيِّ: هذا دليلٌ على أن القياسَ أصلٌ في الدين، ألا ترى إلى عثمانَ وأعيانِ الصحابةِ رضي الله عنهم كيفَ نَحَوْا إلى قياسِ الشبهِ عندَ عدمِ النصِّ ورأوا أن قصةَ براءة شبيهةٌ بقصةِ الأنفالِ، فألحقوها بها؟ فإذا كانَ الله قد بَيَّنَ القياسَ في تأليفِ القرآن، فما ظَنُّكَ بسائرِ الأحكام[1]؟

وقيل: سورةُ الأنفالِ وبراءةَ سورةٌ واحدةٌ، كلتاهما نزلتْ في القتال، تعدان السابعةَ من الطوال، وهي سبعٌ، وما بعدَها المئون؛ لأنهما معاً مئتان وأربعُ آيات، فهما بمنزلة إحدى الطِّوال. وقد اختلفَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ لما كَتبوا المصحفَ في خلافةِ عثمانَ، فقالَ بعضهُم: الأنفالُ وبراءةُ سورةٌ واحدةٌ، وقالَ بعضُهم: هما سورتان، فتركَتْ بينهما فُرْجَةٌ لقولِ من قالَ: هما سورتان، وتركت بسم الله لقولِ مَنْ قالَ هما سورةٌ واحدةٌ، فرضيَ الفريقانِ معاً.

وسُئل عليٌّ رضي الله عنه عن تركِه البسملةَ في براءةَ، فقالَ: «بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ أمانٌ، وبراءةُ نزلَتْ بالسيفِ ليسَ فيها أمانٌ»[2].

قال القرطبيُّ: والصحيحُ أن التسميةَ لم تكتبْ لأنَّ جبريلَ عليه السلام ما نزلَ بها في هذهِ السورةِ[3]. وتقدَّمَ ذكرُ اختلافِ العلماءِ والقراءِ مستوفًى

= التوبة، وقال: حسن صحيح.

(١) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٤٤٦).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٢٧٣). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ١٢٢).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٦٣).

في حكم البسملةِ بينَ كلِّ سورتينِ سوى براءةَ عندَ الكلام في البسملة أولَ التفسير، ومُلَخَّصُه: أنَّ مذهبَ الشافعيِّ رضي الله عنه أن البسملةَ آيةٌ من الفاتحةِ ومن كلِّ سورةٍ سوى براءةَ، ومذهبُ أحمدَ وأبي حنيفةَ أنها آيةٌ مستقلةٌ بينَ كلِّ سورتينِ سوى براءةَ، فيكره ابتداؤها بها، ومذهبُ مالكٍ أنها ليستْ بآيةٍ من الفاتحة، ولا من غيرِها، وإنما كُتبت للتيمُّن والتبرُّك بها معَ إجماعهم على أنها بعضُ آيةٍ من سورةِ النمل، وأنَّ بعضَها آيةٌ من الفاتحة.

وأما مذاهبُ[1] القراء فيها، فقد أجمعوا على حذفِها بينَ الأنفالِ وبراءةَ، وكذلكَ في الابتداءِ ببراءةَ، وأما الابتداءُ بالآي وسطَ براءة، ففيه خلافٌ، ويجوزُ بينَ الأنفالِ وبراءةَ كلٌّ من الوصلِ والسكتِ والوقفِ لجميعِ القراء إذا لم يقطعْ على آخرِ الأنفالِ، فالقطعُ: هو قطع القراءةِ رأساً، فهو كالانتهاء، والوقفُ: هو قطعُ الصوتِ على الكلمةِ زمناً يتنفَّس فيه عادةً بنيةِ استئنافِ القراءة، والسكتُ: هو قطعُ الصوتِ زمناً دونَ زمنِ الوقفِ عادةً من غيرِ تنفُّسٍ، والله أعلمُ.

***

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ ﴾.

[١] قوله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ ﴾ خروجٌ من الشيءِ، ومفارقةٌ له بشدَّةٍ، والتقديرُ: هذِه براءةٌ ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم ﴾ أيُّها المؤمنون.

﴿ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ والمعنى: أن الله ورسوله قد برءا من العهد الذي عاهدتم به المشركين، رُوي أنه لما خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى تبوكَ، كان المنافقون يُرْجِفون الأراجيفَ، وجعلَ المشركونَ ينقُضون عهوداً كانت

(١) في «ت»: «مذهب».

بينَهم وبينَ رسولِ اللهِ ﷺ، فأمرَ اللهُ بنقضِ عهودِهم، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ هو الذي عاهدَهم عاماً على ألاَّ يُصَدَّ أحدٌ عن البيت الحرام، ونحو هذا من الموادَعات، وأصحابُه كلُّهم راضونَ بذلكَ، فكأنهم عاهدوا، فَنُسِبَ العهدُ إليهم، وكذلك ما عقدَهُ أئمةُ الكفرِ على قومِهم منسوبٌ إليهم يُؤاخذونَ به؛ إذ لا يمكنُ غيرُ ذلك؛ لأن تحصيلَ الرضا من الجميعِ متعذرٌ، فإذا عقدَ الإمامُ لما يرى من المصلحةِ أمراً، لزمَ جميعَ الرعايا.

***

﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿فَسِيحُواْ﴾ رجعَ من الخبرِ إلى الخطاب؛ أي: قل لهم: سِيحُوا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سيروا فيها آمنينَ.

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ تأجيلٌ من اللهِ للمشركين، فمن كانتْ مدةُ عهدِهِ أقلَّ من أربعةِ أشهرٍ، رُفِعَ إليها، ومن كانت مدَّتُه أكثرَ منها، حُطَّ إليها، ومن كانت مدةُ عهدِه بغيرِ أجلٍ محدودٍ، حَدَّهُ بأربعةِ أشهرٍ، ثم هو حربٌ بعدَ ذلكَ للهِ ورسولِه يُقتل حيثُ أُدْرِكَ، ويؤسرُ، إلا أن يتوبَ، وابتداءُ هذا الأجلِ يومَ الحجِّ الأكبرِ، وانقضاؤه إلى عشرٍ من ربيعٍ الآخرِ، فأما من لم يكنْ له عهدٌ، فإنما أجلُه انسلاخُ المحرَّمِ، وذلك خمسون يوماً، وقيل: الأشهرُ الأربعةُ: شوالٌ، وذو القعدةِ، وذو الحجَّةِ، والمحرَّمُ، والأولُ أصوبُ، وعليه الأكثرُ.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أيُّها الناكثون ﴿أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي﴾ أي: فائتي ﴿ٱللَّهِ﴾ بعدَ الأربعةِ أشهرٍ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي﴾ مُذِلُّ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بالقتلِ في الدنيا، والعذابِ في الآخرةِ.

***

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ونزلت براءةُ سنةَ ثمانٍ من الهجرةِ، وفيها فُتحت مكةُ، فلما كان سنةُ تسع تجهَّزَ النبيُّ ﷺ، فقيل له: إن المشركينَ يطوفون بالبيتِ عُراةً فقالَ: «لاَ أُرِيدُ أَنْ أَرَى ذَلِكَ»، فبعثَ أبا بكرٍ أميراً على الموسمِ ليقيمَ للناسِ الحجَّ، وبعثَ معه بأربعينَ آيةً من صدرِ براءةَ ليقرأها على أهل الموسم، ثم بعثَ بعده علياً على ناقتِهِ العضْباءِ ليقرأ على الناس صدر براءة، وأمره أن يؤذن بمكةَ ومِنًى وعرفةَ: أن قد بَرِئَتْ ذمةُ اللهِ وذمةُ رسولِه من كلِّ مشركٍ، ولا يطوفُ بالبيتِ عُريان، فرجعَ أبو بكر وقال: يا رسولَ الله! أنزلَ في شأني شيْءٌ؟ قالَ: «لاَ، وَلَكِنْ لا يَنْبَغِي أَنْ يُبَلِّغَ هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي، أَمَا تَرْضَى أَنَّكَ كُنْتَ مَعِي فِي الْغَارِ، وأَنَّكَ صاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ؟»، قال: بلى. فسار أبو بكرٍ أميراً على الحاجِّ، وعليٌّ ليؤذِّنَ ببراءةَ، وكانَ من عادةِ العربِ في عقدِ العُهودِ ونقضِها ألاَّ يتولَّى ذلكَ إلا سيدُهم، أو رجلٌ من قومِه، أقربُهم إليه نَسَباً، فلما كانَ قبلَ الترويةِ بيوم، خطبَ أبو بكرٍ الناسَ، وحدثهم عن مناسِكِهم، وأقام للناسِ الحجَّ، والعربُ في تلكَ السنةِ على منازِلهم التي كانوا عليها في الجاهليةِ من الحجِّ، حتى إذا كانَ يومُ النحر، قام عليٌّ عندَ جمرةِ العقبةِ، وأذَّنَ في الناس بما أُمر به من الآيات، وألاَّ

يطوفَ بالبيت عُريان، وأن يتمَّ إلى كلِّ عهدٍ عهدَه، وإن لم يكنْ عهدٌ، فعهدُه أربعةُ أشهرٍ، ولا يدخلُ الجنةَ إلا نفسٌ مؤمنةٌ، وألاَّ يجتمعَ المسلمون والمشركون بعدَ عامِهم هذا، فقال المشركون الناكثون: أخبرِ ابنَ عَمِّكَ أنا قد نَبَذْنا العهدَ وراءَ ظُهورِنا، وأنْ ليسَ بينَنا وبينَه إلا طعنٌ بالرمحِ وضربٌ بالسيفِ.

﴿وَأَذَٰنٌ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ أي: وإعلامٌ.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ مبتدأٌ، خبرُهُ ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ هو يومُ عرفةَ، والحجُّ الأصغرُ العمرةُ؛ لنقصِ عملِها.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي: من عهودِهم.

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ قراءةُ العامةِ برفعِ (رَسُولُهُ) مبتدأٌ خَبَرٍ؛ أي: ورسولُه بريءٌ أيضاً من المشركين. وقرأ يعقوبُ: (وَرَسُولَهُ) بنصبِ اللام عطفاً على اسمِ (أَنَّ)[1]، ولا يجوزُ عطفهُ على (المشركين)؛ لأنه كفرٌ، وتقدَّم في أول التفسير عندَ شكلِ القرآنِ ونقطِه أنَّ سببَ وضعِ الإعرابِ في المصاحفِ أن أبا الأسودِ الدؤليَّ التابعيَّ البصريَّ حكي أنه سمعَ قارئاً يقرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ بكسرِ اللام، فأعظمَه ذلكَ، وقالَ: «عَزَّ وَجْهُ اللهِ أن يبرأَ من رسولِه»، ثم جعلَ الإعرابَ في المصاحف[2]، تلخيصُهُ: براءةٌ وإعلامٌ من اللهِ ورسولِهِ بأنْ لا عهدَ لناكثٍ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٥/٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٨).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥/١٩٢).

﴿ فَإِن تُبۡتُمۡ ﴾ من الكفرِ ونقضِ العهدِ.

﴿ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ أعرَضْتُم عن الإيمان.

﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ ﴾ لا تعجزونه، ولا تفوتونه في الدنيا.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ في الآخرةِ.

***

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤ ﴾.

[٤] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ استثناءٌ من المشركين، وهم بنو ضَمْرَةَ: حَيٌّ منْ كنانةَ، أَمَرَ ﷺ بإتمامِ عهدِهم إلى مُدَّتهم، وكان قد بقيَ منها تسعةُ أشهر، والسببُ فيه أنهم لم ينقُضوا العهدَ، وثبتوا عليه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾ من عهدِكم.

﴿ وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ ﴾ يعينوا ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا ﴾ من أعدائِكم.

﴿ فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ ﴾ أدُّوه إليهم ﴿ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ ﴾ كملاً، ولا تُجروهم مُجرى الناكثين.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ تنبيهٌ على أن تمامَ عهدِهم من بابِ التقوى.

***

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾.

[٥] ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ﴾ انقضى ﴿ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ ﴾ التي أُبيح للناكثين أن يَسيحوا

فيها، وقيل لها: حُرُمٌ؛ لأن اللهَ تعالى حَرَّمَ فيها على المؤمنينَ دماءَ المشركين والتعرُّضَ لهم، المعنى: إذا مضتِ المدةُ المضروبةُ التي يكونُ معها انسلاخُ الأشهرِ الحرمِ، وأصلُ الانسلاخ: خروجُ الشيءِ مما لابَسَه؛ من سَلْخِ الشاة.

﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الناكثينَ ﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ من حِلٍّ وحرمٍ.

﴿وَخُذُوهُمۡ﴾ وأْسِرُوهم، والأَخيذُ: الأسيرُ ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ احْبِسوهم.

﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾ على كلِّ طريقٍ، والمرصدُ: كلُّ مكانٍ يُرْصَدُ منه العدوُّ؛ أي: يرقَبُ فيه؛ لتأخذوهم من أيِّ وجهةٍ توجَّهوا.

﴿فَإِن تَابُواْ﴾ من الشركِ.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ تصديقاً لتوبتِهم وإيمانِهم.

﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ اتركوهم يدخلون مكةَ، ويتصرَّفون في البلاد، وفيه دليلٌ على أن تاركَ الصلاةِ ومانعَ الزكاةِ لا يخلَّى سبيلُه، فالكفَّارُ مخاطَبون بالإيمان بالاتفاق، وبالفروعِ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وقالَ أكثرُ الحنفيةِ: ليسوا مخاطَبين بالفروعِ، وهو قولُ مالكٍ، ويأتي ذكرُ حكمِ تاركِ الصلاةِ ومانعِ الزكاةِ في سورةِ الماعونِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمن تابَ ﴿رَّحِيمٞ﴾ به.

* * *

﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾.

[٦] ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ﴾ أي: وإن جاءكَ أحدٌ.

﴿ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ المأمورِ بقتلِهم ﴿ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ استأمَنَكَ بعدَ انسلاخِ الأشهرِ الحرُمِ.

﴿ فَأَجِرْهُ ﴾ فأَمِّنْهُ ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ أي: قراءتَكَ كلامَ الله؛ ليعلم شرائعَ الإسلامِ.

﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ الموضعَ الذي يأمَنُ فيه، وهو دارُ قومه إنْ لم يُسْلِمْ، فإنْ قاتلكَ بعدُ، فاقتلْه.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المأمورُ به من الإجارة ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ ﴾ جَهَلَةٌ.

﴿ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ دينَ الله، فهم محتاجون إلى سماعِ كلامِه.

ولا خلافَ بينَ الأئمةِ في جواز أمانِ السلطان؛ لأنه مقدَّمٌ للنظرِ والمصلحةِ، وكذا أمانُ الحرِّ جائزٌ بالاتفاقِ، وأما العبدُ المسلمُ إذا أَمَّنَ شخصاً أو مدينةً، فقال الثلاثة: يَمْضي أمانُه مطلَقاً، وقال أبو حنيفةَ: لا يَمْضي إلا أن يكونَ سيدُه أذنَ له في القتال.

* * *

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ ﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكارِ والاستبعادِ، المعنى: ممتنعٌ ثبوتُ عهدٍ للمشركين.

﴿ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ ﴾ وهم يغدرونَ وينقضونَ العهدَ، ثم استثنى فقال:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ وهم قبائلُ بني بكرٍ، وبنو خُزيمةَ، وبنو مدلجٍ، وبنو ضَمْرَةَ، وبنو الدِّيلِ، وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهدِ قريشٍ يومَ الحديبيةِ، ولم يكن نقضَ إلا قريشٌ وبنو الديل من بني بكر، فأمرَ بإتمامِ العهدِ لمن لم ينقضْ، وهم بنو ضمرةَ.

﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ ﴾ أي: فما قاموا على الوفاء بعهدكم.

﴿ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ﴾ أي: فأقيموا لهم على مثلِ ذلك.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه.

* * *

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ كَيْفَ ﴾ أعادَ الإنكارَ والاستبعاد؛ أي: كيف يكونُ لهم عهدٌ.

﴿ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ يظفروا بكم.

﴿ لَا يَرْقُبُوا۟ ﴾ يحفضوا ﴿ فِيكُمْ إِلًّا ﴾ قرابةً ﴿ وَلَا ذِمَّةً ﴾ عهداً، والذمَّةُ في اللغة: عبارةٌ عن العهدِ، وفي الشرعِ: عبارةٌ عن وصفٍ يصيرُ فيه أهلاً للإيجاب والاستحباب.

﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ يُظْهِرون الجميلَ، ويُضْمِرون القبيحَ، ﴿ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ الإيمانَ ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ناقضو العهد؛ لأنَّ منهم من وفى.

* * *

﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ استبدلوا بالقرآنِ ﴿ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾ من حُطامِ الدنيا ونيلِ الشهوات، وذلك أنهم نقضوا العهدَ بأكلةٍ أطعمهم أبو سفيان.

﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ ﴾ أي: فمنعوا الناسَ من الدخولِ إلى دينِه.

﴿ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ عملُهم هذا.

* * *

﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ ﴾ لا تُبْقوا عليهم أيها المؤمنون؛ فإنهم لا يُبْقون عليكم إنْ ظَفِروا بكم.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾ بنقضِ العهد.

* * *

﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ فَإِن تَابُواْ ﴾ من الشركِ ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ ﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿ فِي ٱلدِّينِ ﴾ لهم مالكُم، وعليهم ما عليكم.

﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ نُبيِّنُها ﴿ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ قال ابنُ عباسٍ: «حُرِّمَتْ بهذهِ الآيةِ دماءُ أهلِ القبلةِ»(١).

---

(١) رواه أبو الشيخ في «تفسيره»، عن الحسن البصري، كما ذكر السيوطي في «الدر=

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم ﴾ نقضوا عهودَهم ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ﴾ يعني: مشركي قريش، ﴿ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ عابوا الإسلامَ.

﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ رؤوسَ المشركين وقادتهم، نزلتْ في أبي سفيانَ وأصحابِه رؤساءِ قريشٍ الذين نقضوا العهد. قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وروحٌ عن يعقوبَ: (أَئِمَّةَ) بهمزتين محققتين على الأصل، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية بينَ بينَ، وروي عنهم وجهٌ أنها تُجعل ياءً خالصةً مكسورة تخفيفاً؛ لاستثقالهم تحقيقَ همزتينِ في كلمةٍ واحدة، وأبو جعفرٍ يدخِلُ بينهما ألفاً مع تسهيل الثانية، وهشامٌ راوي ابنِ عامرٍ رُوي عنه المدُّ مع تحقيقِ الهمزة الثانية(١).

﴿ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ ﴾ حقيقةً؛ لنقضهم العهدَ قراءة العامة: (أَيْمَانَ) بفتح الهمزة، جمعُ يمين، وقرأ ابنُ عامرٍ: بكسر الهمزة بمعنى

= المنثور» (٤/ ١٣٢). وعزاه البغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٣) إلى ابن عباس - رضي الله عنه -.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٨-٣٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩).

التصديق[1]؛ أي: إن لم يفِ لكم المشركون، وعابوا دينكم، فقاتلوهم.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ عمَّا هم عليه.

واختلفوا في يمينِ الكافرِ هل تنعقدُ؟ فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا تنعقدُ، وسواءٌ حَنِثَ حالَ كفرِه أو بعدَ إسلامه، ولا يصحُّ منه كفارةٌ؛ استشهاداً بظاهرِ ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾.

وقال الشافعيُّ وأحمدُ: تنعقدُ يمينُه؛ بدليلِ وصفِها بالنكثِ، وتلزمه الكفارةُ بالحنث فيها في الموضعين، ويكفِّرُ بغيرِ الصومِ.

وأما الذميُّ إذا طعنَ في الدينِ؛ بأنْ ذكرَ اللهَ سبحانَه بما لا يليقُ بجلاله، أو ذكرَ كتابَه المجيدَ، أو رسولَه الكريمَ ودينَه القويمَ بما لا ينبغي، فإنه ينتقضُ عهدُه عندَ مالكٍ وأحمدَ، سواءٌ شُرِطَ تركُ ذلكَ عليهم، أو لم يُشْتَرَطْ، وقال الشافعيُّ: إن شُرِطَ انتقاضُ العهد بها، انتقضَ، وإلا فلا، فإذا انتقضَ عهدُه، فقال مالكٌ: يُقتل، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يخيرُ الإمامُ فيه قتلاً وَرِقاً ومَنّاً وفِداءً، ولا يردُّ إلى مأمنِه، وقال أبو حنيفةَ: لا ينتقضُ عهدُه إلا باللحاقِ بدارِ الحرب، أو أن يغلبوا على موضعٍ فيحاربوا، فيصير أحكامُهم كالمرتدين، إلا أنه إذا ظفرنا بهم، نسترقُّهم، ولا نجبرُهم على الإسلامِ، ولا على قبولِ الذمة، فإن أسلمَ، لم يقتلْ بالاتفاق.

***

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠).

﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ثم حَرَّضَ المسلمين على قتالهم، فقال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ﴾ نقضوا عهودَهم، وهم الذين نقضوا عهدَ الصلحِ بالحديبية، وأعانوا بني بكر على خزاعةَ.

﴿ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾ من مكةَ حينَ اجتمعوا في دارِ الندوة.

﴿ وَهُم بَدَءُوكُمۡ ﴾ بالقتالِ ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ ﴾ يومَ بدرٍ، وذلك أنهم قالوا حين سلم العيرُ: لا ننصرفُ حتى نستأصلَ محمداً وأصحابَه، ثم وَبَّخهم على خوفِهم منهم فقال:

﴿ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ ﴾ فتتركون قتالَهم ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ ﴾ من غيرِه.

﴿ أَن تَخۡشَوۡهُ ﴾ فقاتِلوا أعداءه ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.

* * *

﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ثم شَجَّعهم عليهم فقال: ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يقتلْهم اللهُ.

﴿ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ ﴾ يُذِلَّهم بالأسرِ والقتل. قرأ رُويسٌ عن يعقوبَ: (وَيُخْزِهُمْ) بضم الهاء، والباقون: بالكسر[١].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠).

﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ﴾ ويُبْرِئ داءَ قلوبِ.

﴿قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما كانوا ينالونهُ من الأذى منهم.

* * *

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كَرْبَها ووجْدَها.

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ فيهديه للإسلام؛ كأبي سفيانَ، وعكرمةَ بنِ أبي جهل، وسُهيلِ بنِ عمرٍو. وقراءةُ العامَّةِ: (وَيَتُوبُ) برفع الباء استئنافاً إخباراً عن توبتِه على من أسلم، وقرأ رويسٌ عن يعقوبَ بخلافٍ عنه: بنصبِ الباء على تقديرِ وأن (يَتُوبَ) أو حتَّى[1].

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما كانَ وسيكونُ ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يفعلُ شيئاً عبثاً.

* * *

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أظننتم، خطابٌ للمؤمنين حينَ كرهَ بعضُهم القتالَ ﴿أَن تُتْرَكُوا﴾ فلا تؤمَروا بالجهادِ ولا تُمتحنوا ليظهرَ الصادقُ من الكاذبِ.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ أي: ولما يَرَى الله.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٨٤ـ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠).

﴿ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ ولياً خاصاً من المشركين، وخاصَّةُ الرجلِ وَلِيجَتُه؛ أي: لا تتركون حتى يتبينَ المخلصون والمجاهدون منكم. قرأ الكسائيُّ: (وَلِيجَةً) بإمالةِ الجيمِ حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيث[1].

﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ يعلمُ غرضَكم منه.

* * *

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ولما أُسر الغباسُ يومَ بدرٍ، وَعَيَّرَه المسلمون بالكفرِ وقطيعةِ الرحمِ، وأغلظَ عليٌّ له القولَ، قال العباسُ: وما لكم تذكرونَ مساوِئَنا، ولا تذكرونَ محاسِنَنا، فقال له عليٌّ: ألكمْ محاسِنُ؟ فقال: نعم، إنا نَعْمُرُ المسجدَ الحرامَ، ونحجُبُ الكعبةَ، ونسقي الحاجَّ، فنزلَ ردّاً عليه: ﴿ مَا كَانَ ﴾[2] ما جازَ ولا ينبغي.

﴿ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ: (مَسْجِدَ اللهِ) على التوحيد، والمرادُ: الكعبةُ، والباقون: (مَسَاجِدَ) على الجمع[3]، والمرادُ: جنسُ المساجدِ، والكعبةُ داخلة فيه، المعنى: ليس

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١).

لهم الجمعُ بين أمرينِ متنافيين: عمارةِ متعبداتِ الله مع الكفرِ.

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ بإظهارِ الشركِ، وتكذيبِ الرسولِ، وعبادةِ الأصنام، وقولِ النصراني: أنا نصرانيٌّ، وقولِ اليهوديِّ: أنا يهوديٌّ، ونصبُ (شاهدين) على الحالِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ لأنها لغيرِ الله.

﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ لكفرِهم.

***

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ اتفقَ جميعُ القراء على الجمعِ في هذا الحرف؛ لأن المرادَ به: جميعُ المساجد.

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ لم يتركْ أمرَ اللهِ خشيةً من غيره، وعمارةُ المسجد: بناؤه، ورمُّ متشعثه، وكنسُه، والصلاةُ والذكرُ ودرسُ العلمِ الشرعيِّ فيه، وصيانتُه مما لم يُبْنَ له؛ كحديثِ الدنيا ونحوه[١]، وفي الحديثِ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ الْمَسَاجِدَ فَيَقْعُدُونَ فِيهَا حِلَقاً، ذِكْرُهُمُ الدُّنْيَا وَحُبُّ الدُّنْيَا، فَلاَ تُجَالِسُوهُمْ، فَلَيْسَ للهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ»[٢]، ويحرمُ البصاقُ في

---

(١) في «ت»: «وغيره».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٥٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/١٠٩)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/٩٨)، =

المسجدِ بالاتفاق؛ لأن رسولَ اللهِ ﷺ سماها خطيئةً وسيئةً، وكفارتُه أن تواريَهُ، ومن يبصقْ في المسجدِ استهزاءً به، كفرَ بغيرِ خلافٍ، وكذا لو بصقَ على القرآنِ بقصدِ الاستهزاءِ، وأما حكمُ القاضي في المسجدِ، فسيأتي ذكرُ الحكم فيه في سورةِ الجنِّ إن شاء الله تعالى عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الآية: ١٨].

﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ و(عسى) من اللهِ واجبٌ؛ أي: أولئكَ هم المهتدون.

قال ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ»(١).

ورُوِيَ أن عثمانَ بنَ عفانَ رضي الله عنه أرادَ بناءَ المسجدِ، فكرهَ الناسُ ذلكَ وأَحَبُّوا أن يدعَه، قالَ عثمان رضي الله عنه: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِداً، بَنَى اللهُ لهُ كَهَيْئَتِهِ فِي الْجَنَّةِ»(٢).

* * *

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

= عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٤): فيه بزيغ أبو الخليل، ونسب إلى الوضع.

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٣)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة التوبة، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٨٠٢)، كتاب: الصلاة، باب: لزوم المساجد وانتظار الصلاة، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٤٣٩)، كتاب: المساجد، باب: من بنى مسجداً، ومسلم (٥٣٢)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل بناء المساجد والحث عليها.

[١٩] رُوِيَ عن النعمانِ بنِ بشيرٍ قال: «كنتُ عندَ منبرِ النبيِّ ﷺ، فقالَ رجلٌ: ماأُبالي أن لا أعملَ عملاً بعدَ أن أسقيَ الحاجَّ، وقال آخرُ: ما أُبالي أن لا أعملَ عملاً بعدَ أن أعمرَ المسجدَ الحرامَ، فقال آخرُ: الجهادُ في سبيلِ اللهِ أفضلُ مما قلتم، فزجَرَهم عمرُ وقالَ: لا ترفعوا أصواتَكم عندَ منبرِ النبيِّ ﷺ، وهو يومُ الجمعةِ، ولكنْ إذا صَلَّيْتُ فاستفتيتُ رسولَ الله ﷺ فيما اختلفتم فيه، ففعلَ، فأنزلَ الله عز وجل:

﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[1] والسقايةُ والعمارةُ: مَصْدَرا سَقَى وعَمَرَ. ورُوي عن أبي جعفرٍ أنه قرأ: (سُقَاة) بضم السين وحذف الياء بعدَ الألف (وَعَمَرَة) بفتح العين وحذف الألف على جمع ساقي والعامر[2]، تقديره: أجعلتم أصحابَ سقايةِ الحاجِّ، وأصحابَ عِمارةِ المسجدِ.

﴿ كَمَنْ ءَامَنَ ﴾ كإيمان مَنْ آمنَ ﴿ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ المعنى: إنكارٌ أن يشبه المشركين وأعمالُهم المحبَطَةُ بالمؤمنينَ وأعمالِهم المثبتَةِ، ثم قرَّرَ ذلكَ بقولِه:

﴿ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ تنبيهٌ على أن التسويةَ بينَهم ظلمٌ.

***

---

(١) رواه مسلم (١٨٧٩)، كتاب: الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله تعالى.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١-١٢)، وقد ذكرها البغوي من قراءة ابن الزبير وأبيّ.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٢٠ ﴾.

[٢٠] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً ﴾ أعلى رتبةً.

﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ممن افتخروا بعمارةِ المسجدِ الحرامِ وسقايةِ الحاجِّ.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ الظافرونَ(١) بأمنياتهم.

***

﴿ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٍ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١ ﴾.

[٢١] ﴿ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٍ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ دائمٌ. قرأ حمزةُ: (يَبْشُرُهُمْ) بفتح الياء وتخفيف الشين وضمِّها من البشر، وهو البشرى والبشارة، وقرأ الباقون: بضم الياء وتشديد الشين مكسورةً، من بَشَّرَ المضعَّفِ على التكثير، والبشرُ والتبشيرُ والإبشارُ لغاتٌ فصيحاتٌ(٢)، وقرأ عاصمٌ بروايةِ أبي بكرٍ: (وَرُضْوَانٍ) بضم الراء، والباقون: بكسرها(٣).

***

---

(١) «الظافرون» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢).

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢ ﴾.

[٢٢] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أكد الخلودَ بالتأبيدِ؛ لأنه قد يستعمل للمكثِ الطويل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾.

[٢٣] عن ابن عباس رضي الله عنه: «لما أمرَ رسولُ الله ﷺ الناسَ بالهجرةِ إلى المدينة، فمنهم من تعلَّقَ به أهلُه وولدُه يقولون: ننشدُكَ بالله ألاَّ تُضيِّعَنا، فيرقُّ، فيقيمُ عليهم، ويدعُ الهجرةَ، فأنزل اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾(١) أصفياءَ وبطانةً يمنعونكم عن الإيمان، ويصدُّونكم عن الطاعةِ.

﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ واختلافُ القراء في الهمزتين من (أَوْلِياءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا) كاختلافِهم فيهما من (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ) في سورة البقرة.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ يؤثر المقامَ على الهجرةِ والجهادِ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بوضعِهم الموالاةَ في غيرِ موضعِها، وكان في ذلك الوقتِ لا يُقبل الإيمانُ إلا من مهاجرٍ.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٦٠).

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] نزلت الآية الأولى، قال الذين أسلموا ولم يهاجروا: إن نحنْ هاجرْنا، ضاعتْ أموالُنا، وذهبتْ تجارتُنا، وخربَتْ دورُنا، وقطعْنا أرحامَنا ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ للمتخلِّفينَ عن الهجرةِ:

﴿إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (وَعَشِيرَاتُكُمْ) بالألف على الجمع، والباقون: بغير ألف[1]؛ أي: قومُكم بمكة.

﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ عدمَ نَفاقِها ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ تستطيبونَها.

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ الحبّ الاختياري دونَ الطبيعيِّ؛ فإنه لا يدخلُ تحتَ التكليفِ التحفظ عنه.

﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ بقضائِه، وهو تهديدٌ لمن يؤثرُ لذاتِ الدنيا على الآخرةِ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لا يرشدُهم، والفسقُ: الخروجُ عن الطاعة.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣).

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] و﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ ﴾ مشاهدَ.

﴿ كَثِيرَةٍ ﴾ كبدرٍ، وفتحِ مكةَ، وقريظةَ، والنضيرِ.

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ اسمُ وادٍ بينَ مكَّةَ والطائفِ، بينهما ثلاثةُ أميال.

وملخَّصُ القصةِ: أنَّ رسولَ الله ﷺ لما فتحَ مكةَ في شهرِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ من الهجرةِ، تجمعَتْ هوازنُ بحريمِهم وأموالِهم لحربِ رسولِ الله ﷺ، ومقدَّمُهم مالكُ بنُ عوفٍ النَّصْريُّ، وانضمَّتْ إليه ثقيفُ، وهم أهلُ الطائف، وبنو سعدٍ، وهم الذين كانَ النبيُّ ﷺ مرتَضَعاً عندَهم، فلما سمعَ رسولُ الله ﷺ باجتماعِهم، وكانوا أربعةَ آلافٍ، خرجَ من مكة لِستٍّ خَلَوْنَ من شوالٍ، وخرجَ معه اثنا عشرَ ألفاً، منها عشرة آلاف كانتْ معه، وألفانِ من أهلِ مكةَ، وحضر جماعةٌ كثيرةٌ من المشركين، وهم مع رسولِ اللهِ ﷺ، وانتهى إلى حُنَيْنٍ، وركبَ بغلتَهَ الدُّلدُل، وقال رجلٌ من الأنصار يقالُ له سلمةُ بنُ سلامةَ لما رأى كثرةَ مَنْ معَ النبي ﷺ: لنْ يغلب هؤلاءِ من قلة، فساءَ رسولَ اللهِ ﷺ كلامُه، فلما التقى الجمعان، انكشفَ المسلمونَ، لا يَلْوي أحدٌ على أحدٍ، وانحازَ رسولُ الله ﷺ في نفرٍ من المهاجرينَ والأنصارِ وأهلِ بيتِه، واستمرَّ رسولُ اللهِ ﷺ ثابتاً، وتراجعَ المسلمون، واقتتلوا قتالاً شديداً، وأخذ ﷺ حَصَياتٍ فرمى بها في وَجْهِ المشركينَ، فكانتِ الهزيمةُ، ونصرَ الله المسلمين، واتَّبع المسلمون المشركين يقتلونهم ويأسرونهم.

ولما فرغَ ﷺ من حُنين، بعثَ أبا عامرٍ على جيشٍ لغزوةِ أوطاس، فاستُشهد رضي الله عنه، وانهزمت ثقيفُ إلى الطائف، فأغلقوا بابَ مدينتِهم، فسار النبيُّ ﷺ، وحاصرهم نيفاً وعشرين يوماً، وقاتلَهم بالمنجنيقِ، وأمر بقطعِ أعنابِهم، ثم رحلَ عنهم، ونزلَ بالجعرانةِ، وأتى إليه بعضُ هوازن مسلمين، وسألوه أن يردَّ إليهم أموالَهم وسَبْيَهم، فخيرَّهم بينَ المالِ والسبي، فاختاروا السبيَ، فرد الناسُ أبناءهم ونساءهم، ثم لحقَ مالكُ بن عوفٍ مقدَّم هوازنَ برسولِ الله ﷺ، وأسلمَ وحسنَ إسلامُه، واستعملَه رسولُ الله ﷺ على قومِه وعلى من أسلمَ من تلكَ القبائل، وكانَ عدةُ السبي الذي أطلقَه ستةَ آلافٍ، ثم قسمَ الأموالَ، وكانت عدةُ الإبلِ أربعةً وعشرينَ ألفَ بعيرٍ، والغنمِ أكثرَ من أربعين ألفَ شاة، ومن الفضةِ أربعة آلافِ أوقيةٍ، وأعطى المؤلَفة قلوبُهم مثلَ أبي سفيان، وابنيه يزيدَ ومعاويةَ، وسهلِ بنِ عمرٍو، وعكرمةَ بنِ أبي جهلٍ، والحارثِ بنِ هشامٍ أخي أبي جهلٍ، وصفوانَ بنِ أميةَ، وهؤلاء من قريش، وأعطى الأقرعَ بنَ حابسٍ التميميَّ، وعُيَيْنَةَ بنَ حصنٍ، ومالكَ بنَ عوفٍ مقدَّمَ هوازنَ وأمثالَهم، فأعطى لكلِّ واحدٍ من الأشراف مئةً من الإبل، وأعطى الآخرين لكلِّ واحدٍ أربعينَ، وأعطَى العباسَ بنَ مِرْداسَ السلميَّ أباعر لم يرضَها، فقالَ في ذلكَ من أبياتٍ :

فَـأَصْبَـحَ نهبـي وَنَهْـب الْعُبَيْـ ـــدِ بَيْـنَ عُيَيْنَـة وَالأَقْـرَعِ
وَمَـا كَـانَ حِصْـنٌ وَلاَ حَـابِـسٌ يَفُـوقَـانِ مِـرْدَاسَ فِـي مَجْمَـعِ
وَمَـا كُنْـتُ دُونَ امْـرِىءٍ مِنْهُمـا وَمَـنْ تَضَـعِ الْيَـوْمَ لَـمْ يُـرْفَـعِ

فرُوي أن رسول الله ﷺ قال: «اقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ»، فَأُعطيَ حتى رضي[1].

وفرقَ رسولُ الله ﷺ الغنائمَ، ولم يعطِ الأنصارَ شيئاً، فوَجَدُوا في أنفسِهم، فدعاهم رسولُ الله ﷺ فقال: «إِنَّ قُرَيْشاً حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ إِلى بُيُوتِكُمْ؟»، قالوا: بلى، قال: «لَوْ سَلَكَتِ النَّاسِ وَادِياً وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْباً، لَسَلَكْتُ وَادِي الأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ»[2].

وقد اتفق الأئمةُ على جوازِ اجتهادِه ﷺ في أمرِ الدنيا ووقعَ إجماعاً، واختلفوا في المجتهدينَ بعدَه، فقال أبو حنيفةَ: كلُّ مجتهدٍ مصيبٌ، والحقُّ واحدٌ عندَ الله، وقال الثلاثةُ: المسألةُ الظنيةُ: الحقُّ فيها واحدٌ عندَ الله، وعليه دليلٌ، وعلى المجتهدِ طلبُه، فمن أصابَ فمصيبٌ، وإلا، فَمُخْطِئٌ مثابٌ، والجزئيَّةُ التي فيها نصٌّ قاطعٌ: المصيبُ فيها واحدٌ وفاقاً، ولا يأثمُ مجتهدٌ في حكمٍ شرعيٍّ اجتهاديٍّ، ويُثابُ بالاتفاق.

ثم بعدَ الفراغِ من أمرِ هوازن، اعتمرَ رسولُ الله ﷺ، وعادَ إلى المدينة، واستخلفَ على مكةَ عتَّابَ بنَ أسيدٍ، وهو شابٌّ لم يبلغْ عشرينَ سنةً، وتركَ

---

(١) رواه مسلم (١٠٦٠)، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبر من قوي إيمانه، عن رافع بن خديج ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٣٥٦٧)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب الأنصار، ومسلم (١٠٥٩)، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبر من قوي إيمانه، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

معه مُعاذَ بنَ جبلٍ يُفقِّهُ الناسَ، وحجَّ بالناسِ في هذهِ السنةِ عتابٌ على ما كانتِ العربُ تحجُّ، وأنزلَ اللهُ في قصةِ حنينٍ: و﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ أي: واذكرْ يومَ حنينٍ.

﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ حتى قلتم: لن نُغلبَ اليومَ من قلةٍ.

﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ ﴾ كثرتُكم ﴿ شَيْـًٔا ﴾ من الإغناءِ.

﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ الباء بمعنى مع؛ أي: مع رحبها؛ أي: مع سَعَتِها ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ منهزمين.

***

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٦) ﴾.

[٢٦] ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ بعدَ الهزيمة ﴿ سَكِينَتَهُۥ ﴾ طُمأْنينتَهُ ﴿ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ ﷺ ﴿ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: أنزل عليهم من يُسكِّنُهم ويُذهِبُ خوْفهم.

﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ الملائكةَ لتحييزِ الكفارِ وتشجيعِ المسلمين، وقد تقدَّمَ في سورةِ الأنفالِ أن الملائكةَ لم يقاتلوا إلا في يوم بدر، وفيما سواه كانوا عدداً ومَدَداً.

﴿ وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ بالقتلِ والأسرِ والسبيِ.

﴿ وَذَٰلِكَ ﴾ الذي فُعِلَ بهم ﴿ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ في الدنيا، وفي الآخرةِ النارُ.

***

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعدِ القتلِ والهزيمةِ.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ فيهديه للإسلامِ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يتفضَّل عليهم.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾.

[٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ قَذَرٌ، والمرادُ: نجاسةُ الحكم، لا نجاسةُ العين، سموا نجساً على الذمِّ؛ لتركهم غسلَ الجنابةِ والوضوءَ.

﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ والمرادُ: جميعُ الحرمِ؛ لأنهم إذا دخلوا الحرم، فقد قربوا من المسجدِ الحرام، فيمُنع كلُّ مَنْ كان على غير الإسلام من دخولِ حرمِ مكةَ شرفها الله تعالى، وهو ما أطاف بمكةَ وأحاطَ بها من جوانبها، جعلَ الله عز وجل له حكمَها في الحرمة؛ تشريفاً لها.

وَحَدُّ الحرمِ من طريقِ المدينةِ دونَ التنعيمِ ثلاثةُ أميالٍ عندَ بيوتِ السُّقيا، ومن اليمنِ سبعةٌ عند أضاةِ لين، ومن العراقِ كذلكَ على ثنية زُحَل جبلٍ بالمنقطع، ومن الطائفِ وعرفاتٍ وبطنِ نمرة كذلك عند طرفِ عرفةَ، ومن الجعرانةِ تسعةٌ في شعبِ عبدِ اللهِ بنِ خالد، ومِنْ جُدَّةَ عشرةٌ عندَ منقطعِ الأعشاش، ومن بطن عُرَنَة أحدَ عشرَ.

وأولُ من نصبَ حدودَ الحرمِ إبراهيمُ عليه السلام، ثم جَدَّدها قصيٌّ، ثم جَدَّدَها رسولُ اللهِ ﷺ عامَ الفتحِ، ثم جَدَّدَها عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه، ثم جَدَّدَها معاويةُ رضي الله عنه.

وتقدم ذكرُ حدودِ الأرضِ المقدسةِ في سورةِ المائدة، ويأتي ذكرُ حدودِ حرمِ المدينةِ في سورةِ الأحزابِ إن شاء الله تعالى.

فإن قدمَ رسولٌ من الكفارِ إلى الحرم، لا بدَّ له من لقاءِ الإمامِ، خرجَ إليه إلى الحلِّ، ولم يأذنْ له، فإنْ دخلَ عالماً بالمنع، عُزِّر، فإن مرضَ بالحرم، أو ماتَ، أُخرجَ، وإن دُفِنَ نُبِشَ وأُخرجَ، فليس لهم الاستيطانُ ولا الاجتيازُ به، وبهذا قالَ مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ، وقال أبو حنيفة: لهم دخولُ الحرمِ كالحجازِ كُلِّه، ولا يستوطنونه، والمنعُ من الاستيطانِ لا يمنعُ الدخولَ والتصرُّفَ كالحجازِ.

واتفقوا على أن الكفارَ يُمنعون من استيطانِ الحجازِ كلِّهِ كالمدينةِ ومكةَ واليمامةَ وخَيبر والينبع وقُراها، قالَ مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ: فإن دخلوا للتجارة، لم يقيموا في موضعٍ أكثرَ من ثلاثةِ أيام، وعند الشافعيِّ وأحمدَ: لا يدخلون إلا بإذنِ الإمامِ، وسُمِّيَ الحجازُ حجازاً؛ لأنه حجزَ بينَ تهامَةَ ونجدٍ، وتقدَّم اختلافُهم في دخولِ أهلِ الذمَّة إلى المسجدِ الحرامِ وغيرِه من مساجدِ الحِلِّ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: ١١٤].

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ هو عامُ تسعةٍ من الهجرة الذي حجَّ فيه أبو بكرٍ بالناس، وفيه أَذَّنَ عليٌّ ببراءةَ.

ولما مُنِعَ المشركون من دخولِ الحرم، خاف المسلمون الفقراءُ لانقطاعِ

الميرةِ عنهم، فنزل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[1] فقراً ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ كرمِه وعطائِه ﴿إِن شَآءَ﴾ إذْ لا مُكْرِهَ له على فعلِه، فجاءهم المطرُ، وأخصبَتْ بلادهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بأحوالِكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يُعطي ويمنعُ. وتقدَّم التنبيهُ على اختلاف القراء في قوله: (أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا)، وكذلك اختلافُهم في (إِنْ شَاءَ إِنَّ الله).

***

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ﴾ لا يعتقدونَ ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ الإسلامَ.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهودِ والنصارى.

﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ هي: الخراجُ المضروبُ على رقابهم على وجهِ الصَّغارِ بدلاً عن قتلِهم وإقامتِهم بدارنا، مشتقةٌ من الجزاء، إما جزاءً على كفرِهم؛ لأخذها منهم صغاراً، أو جزاءً على أماننا لهم؛ لأخذِها منهم رفقاً.

﴿عَن يَدٍ﴾ قهرٍ وذلٍّ ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أذلاءُ مقهورونَ، فيعطونَها من قيامٍ والآخذُ جالسٌ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٦٨).

واتفق الأئمةُ على أن الجزيةَ تُضْرَبُ على أهلِ الكتابِ، وهم اليهودُ والنصارى ومَنْ يوافقهم في التديُّنِ بالتوراةِ والإنجيل؛ كالسامرةِ، والفرنج، ومن له شُبْهَةُ كتابٍ، وهم المجوسُ. واختلفوا في عبدةِ الأوثانِ، فقال أبو حنيفة: تُؤْخذُ من أهل العجم منهم دونَ العربِ، وقال مالك: تؤخذُ من عبدة الأوثانِ ونصارى العرب وكلِّ كافرٍ يصحُّ سباهُ سوى قريشٍ، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: لا تؤخذ من عبدةِ الأوثانِ مطلقاً.

واتفقوا على عدمِ قبولِها من المرتدِّ، وأنه لا يُقَرُّ على الردة.

واتفقوا على عدمِ وجوبِها على النساءِ والصبيانِ والعبيدِ.

واختلفوا في الراهبِ والشيخِ والهرمِ والزَّمِنِ والأعمى والفقير الغير معتملٍ، فقال الشافعيُّ: تجبُ عليهم، وتستقرُّ في ذمةِ الفقيرِ حتى يوسرَ، وقال الثلاثةُ: لا تجبُ عليهم.

واختلفوا في قدرِها، فقال أبو حنيفةَ: هي ضربان: أحدُهما: ما يوضَعُ بالتراضي، فلا يتعدَّى عنها، والثاني: يضعُها الإمام إذا غلبَ على الكفارِ، وأقرَّهم على ملكِهم، فيضعُ على الغنيِّ في كل سنةٍ ثمانيةً وأربعين درهماً، وعلى المتوسطِ نصفها، وعلى الفقير المعتمل ربعها، وتجبُ في أول الحول، وتؤخذ في كلِّ شهرٍ بقسطِه، وافقه أحمدُ في تقديرها بذلكَ، وقال: تؤخذ في آخركلِّ حولٍ، وقالَ مالكٌ: قدرُها أربعون درهماً على أهلِ الوَرَقِ، وأربعةُ دنانيرَ على أهلِ الذَّهَبِ في آخرِ الحول، وقال الشافعيُّ: أقلُّها دينارٌ، ويستحب للإمام مماكَسَتُه حتى يأخذَ من المتوسِّط دينارين، ومن الغنيِّ أربعةً في آخر الحول.

واختلفوا في نصارى بني تغلبَ، وهم قوم ذوو شوكةٍ من العرب، انتقلوا في الجاهليةِ إلى النصرانية، فطلب عمرُ رضي الله عنه منهم الجزية، فأبوا، وطلبوا أن يؤخذ منهم كالزكاةِ من المسلمين، فأبى عمرُ، ثم خاف أن يلحقوا بالرومِ، فصالحهم على أن يضاعفَ عليهم مثلَ زكاةِ المسلمين بمحضرٍ من الصحابةِ، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: يؤخذ منهم مثلَ ما يؤخَذُ من زكاةِ المسلمين، والمأخوذُ منهم واجبٌ بشرط الزكاةِ وأسبابِها، فلا تؤخذُ من فقير، ولا ممَّنْ مالُه غيرُ زكويٍّ، ومصرفُه مصرفُ الجزيةِ، فأبو حنيفةَ خصَّ الأخذَ بالرجالِ منهم والنساءِ دونَ الصبيانِ، وأحمدُ قال: يؤخذ من نسائِهم ومن صبيانِهم أيضاً، ومجانينِهم، وكذا الحكمُ عنده في نصارى العرب ويهودِهم ومجوسِهم، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يؤخذ من نسائِهم وصبيانِهم، وحكمُهم كغيرِهم في ذلك.

واختلفوا في سقوطِ الجزيةِ بالإسلام والموتِ بعدَ وجوبها، فقال أبو حنيفةَ: تسقطُ بهما، وقال مالكٌ وأحمدُ: تسقطُ بالإسلامِ دونَ الموتِ، وقال الشافعي: لا تسقطُ بهما.

***

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قرأ عاصمٌ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (عُزَيْرٌ) بالتنوين، وكسرِهِ حالةَ الوصل، ولا يجوز ضمُّه في مذهبِ الكسائيِّ، لأن الضمةَ في (ابن) ضمةُ إعرابٍ، فهيَ غيرُ لازمةٍ

لانتقالها، وقرأ الباقون: بغير تنوين[1]؛ لأنه اسمٌ أعجميٌّ، ويشبه اسماً مصغَّراً، ومَنْ نوَّنَ قالَ: لأنه اسمٌ خفيفٌ فوجهُه أن ينصرفَ وإنْ كانَ أعجمياً مثل (نوحٍ وهودٍ وصالحٍ)، واسمُ عزيرٍ بالعبرانيةِ عَزْرا، وهو من ذريةِ هارونَ بنِ عمرانَ، وهو من أنبياءِ بني إسرائيلَ، فلما ظهر بُخْتَ نَصَّر على بني إسرائيل، وقتلَ من قتلَ، وأسرَ من أسرَ، وكان العزيرُ من جملةِ الأسرى وهو صغير، فلما رجعَ بنو إسرائيل من العراقِ إلى القدسِ، رجع العزيرُ من جملتِهم، وقدمَ معه من بني إسرائيل ما يزيدُ على الألفين من العلماءِ وغيرِهم، وتربى مع العزير في القدس مئةٌ وعشرون شيخاً من علماءِ بني إسرائيلَ، وكانت التوراةُ قد عدمت منهم، فمثَّلَها اللهُ تعالى في صدرِ العزيرِ، ووضعَها لبني إسرائيلَ يعرفونها بحلالها وحرامِها، فأحبوه حُباً شديداً، وقالوا: إن اللهَ لم يقذفِ التوراةَ في قلبِ رجلٍ إلا أنه ابنُه، فعندَ ذلكَ قالتِ اليهود: عُزيرٌ ابنُ الله، والذي قالَ هذه المقالةَ رجلٌ من اليهودِ اسمُه فنخاصُ بنُ عازورا الذي قال: إن اللهَ فقيرٌ ونحنُ أغنياءُ، ورُوي أنه لم يبقَ يهوديٌّ يقولها، بل انقرضوا، قالَ ابنُ عطيةَ: فإذا قالها واحدٌ، فيتوجه أن يلزم الجماعة شنعة المقالة لأجلِ نباهةِ القائل فيهم، وأقوالُ النبهاءِ أبداً مشهودة في الناس يُحتجُّ بها[2]، وأقامَ العزيرُ في بيتِ المقدس يدبِّرُ أمرَ بني إسرائيل حتى تُوفي بعدَ مضيِّ أربعينَ سنة لعمارةِ بيتِ المقدسِ، فتكونُ وفاتُه سنةَ ثلاثين ومئةٍ لابتداءِ ولايةِ بُخْتَ نَصَّرَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٧١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤ـ١٥).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٢٣).

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قالوا: لأنه لا أبَ له، ولم يكن لهذا القول برهانٌ، ولا معنى له ولا تأثير في القلب.

﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يقولونه بألسنتِهم من غيرِ علمٍ.

﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ قرأ عاصمٌ: (يُضَاهِئُونَ) بهمزة مضمومةٍ بينَ الهاءِ والواو مع كسرِ الهاء، والباقون: بضم الهاء غير مهموز، وهما لغتان معناهما واحدٌ[1]؛ أي: يشابهون.

﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي: يشابه قولُ اليهودِ والنصارى الذين في زمانِكَ في الشركِ قولَ المشركين قبلَه.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكَهم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: من أين يُصْرَفون عن الحقِّ بعدَ قيامِ البرهان؟!

* * *

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾.

[٣١] ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟﴾ أي: أهلُ الكتابين ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ علماءَ اليهودِ ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ أصحابَ الصوامعِ من النصارى.

﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: هم عندَهُم كالأربابِ؛ لطاعتِهم إياهم في معصيةِ اللهِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥).

﴿ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ أي: اتخذوه رباً ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ وهو اللهُ ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ صفةٌ ثابتةٌ.

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ تنزيهٌ له عن أن يكونَ له شريكٌ.

* * *

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ ﴾ أي: يُعْدِموا القرآنَ؛ أي: وما فيه من الأحكامِ أو نبوةِ محمدٍ ﷺ. قرأ أبو جعفرٍ: (يُطْفُوا) بضمِّ الواوِ بغيرِ همزٍ، والباقون: بكسر الفاء والهمز[1] ﴿ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ بباطلِهم وتكذيبِهم.

﴿ وَيَأْبَى ﴾ ولم يُرِدِ ﴿ ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ يُعْلي دينَه، ويتمَّ الحقَّ الذي بعث به محمداً ﷺ ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ذلكَ.

* * *

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ ﴾ يعني: الذي يأبى إلا إتمامَ دينه.

﴿ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ ﴾ محمداً ﷺ ﴿ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ بالقرآنِ وما فيه من التوحيدِ وغيرِه ﴿ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ الإسلامِ.

﴿ لِيُظْهِرَهُۥ ﴾ أي: ليعليَهُ ﴿ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ على جميعِ الأديانِ فينسخَها.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٤٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦).

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ وخَصَّ المشركين هنا بالذكرِ لما كانت الكراهيةُ مختصةً بظهورِ محمدٍ ﷺ، فذكر المعظمَ الأولَ ممن كرهَ ذلكَ وصدَّ فيه، وذكرَ الكافرين في الآية قبلُ؛ لأنها كراهيةُ إتمامِ نورِ اللهِ في قديمِ الدهرِ وفي باقيه، فعمَّ الكفرةَ من لَدُنْ خَلْقِ الدنيا إلى انقراضِها، وقد وقعتِ الكراهيةُ والإتمامُ مراراً.

* * *

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾ هم علماءُ اليهودِ.

﴿وَٱلرُّهْبَانِ﴾ مجتهدو النصارى في العبادةِ بالباطلِ.

﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ أي: يأخذونها بالرُّشا في الحكم.

﴿وَيَصُدُّونَ﴾ يصرفون الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ﴾ دينِه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ يجمعونَ ﴿ٱلذَّهَبَ﴾ سُمِّي ذهباً؛ لأنه يذهبُ ولا يبقى ﴿وَٱلْفِضَّةَ﴾ لأنها تنفضُّ؛ أي: تتفرَّقُ ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي: الكنوزَ.

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ عن ابن عباسٍ وابنِ عمرَ: «كُلُّ

مَالٍ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ، وَإِنْ كَانَ مُدَّخراً، وكُلُّ مَالٍ لاَ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ، فَهُوَ كَنْزٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَدْفُوناً»(١).

* * *

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا ﴾ أي: واذكرْ يومَ تُحمى النارُ على الأموالِ، فيوقدُ عليها؛ يعني: الكنوزَ.

﴿ فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ ﴾ فَتُحْرَقُ ﴿ بِهَا جِبَاهُهُمْ ﴾ يعني: كانِزيها.

﴿ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ ويقالُ لهم: ﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ أي: تمنعونَ من حقوقِ الله تعالى.

سُئل أبو بكرٍ الوَرَّاقُ: لِمَ خَصَّ الجباهَ والجنوبَ والظهورَ بالكيِّ؟ قال: «لأنَّ الغنيَّ صاحبَ الكنزِ إذا رأى الفقيرَ، قبضَ جبهتَه، وزوى ما بينَ عينيه، وولاَّهُ ظهره، وأعرضَ عنه بكشحِه»(٢).

* * *

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟

---

(١) رواه الإمام الشافعي في «مسنده» (ص: ٨٧)، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. ورواه ابن المنذر في «تفسيره» عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ، كما عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٧٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٧٨).

﴿فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ عددَ الشهور، جمعُ شهرٍ.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في حكمِ اللهِ من غير زيادةٍ ولا نُقْصانٍ.

﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ قرأ أبو جعفرٍ: بمدِّ ألفِ (اثنا)، وإسكانِ العين، ورُويَ عنه أيضاً: بحذفِ الألف، والباقون: بفتح العين بغير مدٍّ[1]، وهي أشهرُ العربِ المعروفةُ، أولُها المحرَّمُ، وآخرُها ذو الحجة، وخُصَّت باثني عشرَ؛ لأنهم كانوا ربما جعلوها ثلاثةَ عشرَ وأربعةَ عشرَ؛ ليتسعَ لهم الوقت.

﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوحِ المحفوظِ ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: هذا أمرٌ ثابتٌ مذ خلقَ اللهُ الأجرامَ والأزمنةَ، والمرادُ: الشهورُ الهلاليةُ، وهي التي يعتدُّ بها المسلمون في أمورِهم، وبالشهورِ الشمسيةِ تكونُ السنةُ ثلاثَ مئةٍ وخمسةً وستينَ يوماً وربعَ يومٍ، والهلاليةُ تنقصُ عن ثلاثِ مئةٍ وستينَ بنقصانِ الأهلَّةِ، والغالبُ أنها تكونُ ثلاثَ مئةٍ وأربعةً وخمسينَ يوماً.

﴿مِنْهَآ﴾ أي: من الشهورِ.

﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ﴾ وهي: رجبٌ، وذو القعدةِ، وذو الحجةِ، والمحرَّمُ، واحدٌ فردٌ، وثلاثةٌ سردٌ، سُميتْ بذلك؛ لتحريمِ القتالِ فيها؛ المعنى: إن الشهورَ قد رجعتْ إلى وضعِها، وبطل النَّسيءُ، وعاد الحجُّ إلى ذي

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧).

الحجة، قالَ ﷺ في حجةِ الوداع: «أَلاَ إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ: السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ»(١).

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: الحسابُ المستقيمُ ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ﴾ في الأشهرِ الحرمِ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تجعلوا حرامَها حلالاً، والجمهورُ على أنَّ حرمةَ المقاتلةِ فيها منسوخةٌ بقوله:

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ مصدرُ كفَّ عن الشيء في موضعِ الحالِ؛ أي: مجتمعينَ في جميعِ الشهور.

﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ جميعاً.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بشارةٌ لهم بالنصرِ بسببِ تقْواهم.

* * *

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ هو تأخيرُ تحريمِ المحرَّمِ إلى صَفَرَ؛ لحاجتِهم إلى القتالِ فيه، ومنه النسيئةُ في البيع، يقال: أَنْسَأَ اللهُ أجلَه؛ أي: أَخَّرَ. قرأ ورشٌ عن نافعٍ، وأبو جعفرٍ: بتشديدِ الياءِ بغير همزٍ، فعيلٌ من أنسأْتُه أَخَّرْتُه، قُلبت الهمزةُ ياءً، وأُدغمتْ فيها الياء، وقرأ الباقون: بالهمزِ والمدِّ،

---

(١) رواه البخاري (٣٠٢٥)، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، ومسلم (١٦٧٩)، كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ.

وإذا وقفَ حمزةُ وهشامٌ، وافقا وَرْشاً وأبا جعفرٍ[1]، وأولُ من نَسَّى النَّسِيَّ بنو كنانةَ.

﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ لأن الكافرَ كلما عملَ معصيةً، ازدادَ كفراً.

﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ، عن عاصمٍ: (يُضَلُّ) بضمِّ الياء وفتح الضاد مجهولاً، **وقرأ** يعقوبُ: بضمِّ الياءِ وكسرِ الضادِ؛ أي: (يُضِلُّ) الكافرونَ أتباعَهم، والباقونَ: بفتح الياءِ وكسرِ الضاد[2]؛ لأنهم هم الضالون؛ لقوله:

﴿يُحِلُّونَهُۥ﴾ أي: النسيءَ من الأشهرِ الحرم ﴿عَامًا﴾ ويحرِّمون مكانَه شهراً آخرَ ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ فيتركونه على[3] حُرمتِهِ.

﴿لِّيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ﴾ أي: ليوافقوا عددَ[4] ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ من الأشهرِ الحرمِ؛ أي: لم يُحِلُّوا شهراً إلا حَرَّموا مكانَه من الحلال، والمواطأةُ: الموافقة. **قرأ** أبو جعفرٍ: (لِيُواطُوا) بضمِّ الطاءِ بغير همزٍ، والباقون: بكسرِ الطاء والهمز[5].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩).

(٣) في «ت»: «في».

(٤) «أي: ليوافقوا عدد» سقط من «ت».

(٥) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠).

﴿فَيُحِلُّواْ﴾ بتحليلِهم القتالَ في الأشهرِ الحرم ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ فيها.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْۗ﴾ قالَ ابنُ عباسٍ: يُريد: زَيَّنَ لهم الشيطانُ[1]. واختلافُ القراء في الهمزتين من (سُوءُ أَعْمَالِهِمْ) كاختلافِهم فيهما من (السُّفَهَاءُ أَلَا) في سورة البقرة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا يرشدُهم.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ولما رجعَ رسولُ اللهِ ﷺ من الطائفِ، أمرَ بالجهادِ لغزوِ الرومِ، وهي غزوةُ تبوكَ، وذلك في زمنِ عُسْرَةٍ من الناسِ، والشدَّةِ، من الحرِّ حينَ طابتِ الثمارُ والظلالُ، ولم يكنْ رسولُ الله ﷺ يريدُ غزوةً إلا وَرَّى بغيرِها حتى كانت تلكَ الغزوةُ، غزاها في حَرٍّ شديدٍ، واستقبلَ سفراً بعيداً، جَلَّى للمسلمين أمرَهم ليتأهَّبوا أُهْبَةَ غزوِهم، فشقَّ عليهم الخروجُ، وتثاقلوا، فأنزل الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾[2] أي: قالَ لكم رسولُ الله ﷺ: ﴿ٱنفِرُواْ﴾ اخرُجوا ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ تباطَأْتُم ومِلْتُم عن الجهادِ ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِۚ﴾ أي: لزمْتُمْ مساكِنَكم.

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٧٩٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٨١).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٢٧٨٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٨).

﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ ولذاتِها بدلاً ﴿مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ ونعيمِها.

﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: فما التمتُّعُ بها ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

* * *

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾.

[٣٩] ثم أوعدَهم على تركِ الجهادِ فقال: ﴿إِلَّآ﴾ أي: إن لم ﴿تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ﴾ في الآخرةِ ﴿عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ وقيلَ: هو احتباسُ المطرِ عنهم في الدنيا.

﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ﴾ بكم ﴿قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ خيراً منكم وأطوعَ؛ كأهلِ اليمنِ وأبناءِ فارس.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ﴾ أي: لا يقدحْ تثاقُلُكم في نصرِ دينه؛ فإنه الغنيُّ عن كلِّ شيءٍ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ فيقدرُ على النصرةِ بلا مَدَدٍ.

* * *

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ بالنفيرِ معه.

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ هذا إعلامٌ من اللهِ أنه المتكفِّلُ بنصرِه كما نصرَه.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من مكةَ حينَ مكروا به، وهَمُّوا بقتلِه.

﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أحدَ اثنينِ، والمرادُ: النبيُّ ﷺ، وأبو بكرٍ رضي الله عنه.

﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ نقبٍ في جبلِ ثورٍ بمكةَ، مكثا فيه ثلاثاً. قرأ أبو عمرٍو، وورشٌ عن نافعٍ: (الغَارِ) بالإمالة، بخلافٍ عن الدوريِّ وابنِ ذكوان، ورُوي عن قالونَ: الإمالةُ بينَ بينَ[1]، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ في الأنفالِ.

عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأبي بكرٍ: «أَنْتَ صَاحِبِي فِي الْغَارِ وَصَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ»[2].

قال الحسينُ بنُ الفضلِ: مَنْ قالَ إن أبا بكرٍ لم يكنْ صاحبَ رسولِ اللهِ ﷺ؛ فهو كافرٌ؛ لإنكارِه نصَّ القرآنِ، وفي سائرِ الصحابةِ إذا أنكرَ يكونُ مبتدِعاً، ولا يكونُ كافراً[3].

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ هو أبو بكرٍ.

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ أي: بالرعايةِ والحفظِ، رُوي أن المشركين طلعوا فوقَ الغارِ، فأشفقَ أبو بكرٍ رضي الله عنه على رسولِ الله ﷺ، وقال:

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٤ـ٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٧٠)، كتاب: المناقب، باب: في مناقب أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، عن ابن عمر، وقال: حسن صحيح غريب.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٨٣).

إنْ أُقتلْ فأنا[1] رجلٌ واحدٌ، وإنْ قُتلت، هَلَكَتِ الأمةُ، فقال: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟!»[2]، وأرسلَ اللهُ زوجاً من حمامٍ حتى باضا في أسفل النَّقْبِ، والعنكبوتَ حتى نسجَتْ بيتاً.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طُمأنينتَهُ ﴿عَلَيْهِ﴾ على أبي بكرٍ.

﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أي: قَوَّى النبيَّ ﷺ.

﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ همُ الملائكةُ صرفوا الكفارَ عن رؤيتِهما في الغارِ، وألقوا الرعبَ في قلوبِ الكفارِ يومَ بدرٍ والأحزابِ وحنينٍ.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هي دعوتُهم إلى الكفرِ.

﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾ المنخفضةَ المغلوبةَ.

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ دعوتُه إلى الإيمانِ. قراءة العامة: (وَكَلِمَةُ اللهِ) بالرفعِ مبتدأٌ، خبرُه ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ العالية. وقرأ يعقوبُ: (وَكَلِمَةَ اللهِ) بالنصبِ عطفاً على (كَلِمَةَ)[3].

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ في أمرِه وتدبيرِه.

* * *

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

---

(١) في «ت»: «فلأنا».
(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.
(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١).

[٤١] ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أي: خَفَّ عليكم ذلك أو ثَقُلَ؛ أي: لا تَنْأَوْا عن الغزوِ.

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وصفٌ لأكملِ ما يكونُ من الجهادِ وأنفعِه عند الله، فحضَّ على كمالِ الأوصافِ، وقُدِّمتِ الأموالُ في الذكرِ؛ إذ هي أولُ مصرَّفٍ[1] وقتَ التجهيزِ، فَرُتِّبَ الأمرُ كما هو في نفسِه.

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ للفوزِ برضوانِ الله، وغلبةِ العدوِّ، ووراثةِ الأرضِ.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تنبيهٌ وهزٌّ للنفوس، قال السديُّ: هذه الآية منسوخةٌ بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ الآية [التوبة: ٩١][2]، وقال القرطبيُّ: الصحيحُ أنها ليستْ بمنسوخةٍ[3].

واتفق الأئمةُ على أن الجهادَ فرضٌ على الكفايةِ، إذا قامَ به قومٌ من المسلمين، سقطَ عن الباقين، فإذا هجمَ العدوُّ، صارَ فرضَ عينٍ بغير خلافٍ.

***

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)﴾.

---

(١) «مصرف» ساقطة من «ت».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٣).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ١٥١).

[٤٢] ونزل في المنافقين الذين تخلَّفوا عن غزوةِ تبوكَ:

﴿لَوۡ كَانَ﴾ ما تدعوهم إليه يا محمدُ.

﴿عَرَضٗا قَرِيبٗا﴾ نفعاً دنيوياً سهلَ المأخذِ.

﴿وَسَفَرٗا قَاصِدٗا﴾ سهلاً غيرَ شاقٍّ.

﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ فخرجوا معك ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ المسافةُ.

﴿وَسَيَحۡلِفُونَ﴾ أي: المخلَّفون.

﴿بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا﴾ لو كانَ لنا استطاعةُ العدَّةِ والبدَنِ.

﴿لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾ باليمينِ الكاذبة.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ لأنهم كانوا مستطيعين.

* * *

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾.

[٤٣] فأذنَ ﷺ لجماعةٍ من المنافقينَ بالتخلُّفِ، فقالَ تعالى مقدِّماً العفوَ على العتْبِ تأنياً وتطيباً لقلبه ﷺ:

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ أي: دامَ لكَ العفوُ، وهو افتتاحُ كلامٍ بمنزلةِ: أصلحَكَ اللهُ وأعزَّكَ الله، أخبرَه بالعفوِ قبلَ أن يخبرَهُ بالذنبِ، ولو بدأه ﷺ بقولِه ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ لخيفَ عليه أن ينشقَّ قلبُه من هَيبةِ هذا الكلام، لكنَّ الله تعالى برحمته أخبرَه بالعفوِ حتى سكنَ قلبُه، ثم قالَ له: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ بالتخلُّفِ؟ وهَلاَّ أخرتهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في اعتذارِهم ﴿وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أي: تعلمَ مَنْ لا عذرَ له، قال ابنُ

عباسٍ: لم يكنْ رسولُ اللهِ ﷺ يعرفُ المنافقين يومئذٍ[1].

* * *

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ في التخلُّفِ.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ أي: لا يُوقفونه على الإذنِ، فَضْلاً أن يستأذنوك في التخلُّفِ كراهةَ أن يجاهدوا.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ عِدَةٌ لهم بثوابه.

* * *

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ شَكَّتْ.

﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ﴾ في شَكِّهِم ونفاقِهِم ﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ يتحيرون.

* * *

﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾ في الغزوِ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٨٩).

﴿لَأَعَدُّوا لَهُۥ عُدَّةً﴾ أهبةً ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ انطلاقهم بسرعة.

﴿فَثَبَّطَهُمۡ﴾ خذلَهم، وقيل: أي: قال لهم النبي ﷺ: ﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ أي: مع أُولي الضررِ من النساءِ والصبيانِ والمرضى.

***

﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾.

[٤٧] ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ﴾ شيئاً.

﴿إِلَّا خَبَالٗا﴾ فساداً؛ بإيقاعِهم الفشلَ بينَ المؤمنين بتهويلِ الأمرِ.

﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ﴾ لأسرَعوا بينَكم بالنمائمِ؛ ليوقعوا الشرَّ بينكم، وكُتِبَ (وَلاَ أَوْضَعُوا) في المصحفِ بزيادةِ ألفٍ[1]، قالوا: وكانتِ الفتحةُ تكتبُ قبلَ الخطِّ العربيِّ ألفاً، والخطُّ العربيُّ اخْتُرِعَ قريباً من نزولِ القرآنِ، وقد بقيَ من ذلكَ الألف أثرٌ في الطباعِ، فكتبوا الهمزةَ ألفاً، وفتحتَها ألفاً أخرى؛ نحو: (لَأَاْذْبَحَنَّهُ).

﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ أي: يطلبون لكم ما تُفْتَنون به[2].

﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ أي: مطيعون، أو متجسِّسون.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيعلمُ ضمائرَهم.

وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ من الأمثالِ الدائرةِ على ألسُنِ الناسِ: للحيطانِ آذانٌ.

---

(١) انظر: «كتاب المصاحف» لابن أبي داود (١/ ٤٣٤).

(٢) «به» ساقطة من «ش».

﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٤٨﴾.

[٤٨] ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبلِ غزوةِ تبوكَ وهيَ: تفريقُ شملِكَ بتخذيلِ الناسِ، وردِّهم إلى الكفرِ.

﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ أي: دبَّرُوا لكَ الحيلَ.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ النصرُ.

﴿وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ دينُه ﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ أي: على رغمٍ منهم.

* * *

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٩﴾.

[٤٩] ونزل في الجَدِّ بنِ قيسٍ المنافقِ حينَ قالَ له النبيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الأَصْفَرِ؟»، فقالَ: إني مُغْرَمٌ بالنساءِ، وأخشى أني إن رأيتُ بناتِ الأصفرِ ألاَّ أصبرَ عنهن، فَأْذَنْ لي بالقعودِ، وأُعينكُ بمالي، ولم تكنْ له علةٌ إلا النفاق، فأعرضَ عنه النبيُّ ﷺ، وقال: «قَدْ أَذِنْتُ لَكَ» فأنزلَ اللهُ عز وجل:

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي﴾[1] في التخلُّفِ عن الجهادِ.

﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾ تُوقِعْني في الإثمِ.

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٨٠٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢١٣).

﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ أي: في الإثم وقعوا بنفاقِهم وخلافِهم أمرَ اللهِ ورسولِه.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ جامعةٌ لهم فيها.

***

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ نصرٌ وغنيمةٌ في بعضِ الغزوات ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تُحْزِنْهم.

﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدةٌ وهزيمةٌ في بعضِها.

﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ بالحزمِ والاحتياطِ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلَ هذهِ المصيبة.

﴿وَيَتَوَلَّوا۟﴾ يُدْبِروا ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورونَ بمُصابِ النبيِّ ﷺ بأُحُدٍ.

***

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿قُل﴾ لهم يا محمدُ: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ﴾ لن يصلَ إلينا.

﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إلا ما اختصَّنا اللهُ به مما كُتِبَ علينا في اللوحِ المحفوظِ.

﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ متولِّي أمرِنا.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لأن حقَّهم ألاَّ يتوكلوا على غيره.

***

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ تنتظرونَ ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ تثنيةُ الحسنى، إما النصرُ، أو الشهادةُ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وهشامٌ عن ابنِ عامرٍ، والبزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (هَل تَّرَبَّصُونَ) بإدغام اللام في التاء، والباقون: بالإظهار[1].

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السوءتين، إما ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ هو الصواعقُ والموتُ ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ كقتلِنا إياكم إنْ أظهرتُمْ ما في قلوبِكم.

﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟﴾ بمواعيدِ الشيطانِ.

﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ بمواعيدِ الرحمنِ بالنصرِ عليكم.

***

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٤٠٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤).

[٥٣] ونزل في الجدِّ بنِ قيسٍ حينَ استأذنَ في القعودِ وقالَ: أُعينُكم بمالي: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟﴾ في طاعةِ اللهِ تعالى.

﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أمرٌ بمعنَى الخبر؛ أي: إن أنفقتُم طوعاً أو كرهاً. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (كُرْهاً) بضمِّ الكاف، والباقون: بالفتح(1).

﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ﴾ أي: لأنكم.

﴿كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ تعليلٌ به على سبيلِ الاستئنافِ، وما بعدَه بيانٌ وتقريرٌ له.

* * *

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يُقْبَلَ) بالتذكير؛ لتقديم الفعل، والباقون: بالتأنيث(2) ﴿نَفَقَٰتُهُمْ﴾ صدقاتُهم، المعنى: وما منعَ قبولَ صدقاتِهم.

﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إذا اضطُرُّوا إلى إتيانِها.

---

(1) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥).

(2) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥).

﴿ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ متثاقلون؛ لأنهم لا يرجونَ بها ثواباً، ولا يخافون على تركِها عقاباً.

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ لأنهم يعدُّونَها مغرماً، ومنعَها مغنماً.

* * *

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ ﴾ أصلُ الإعجابِ: السرورُ بالشيءِ سرورَ متعجِّبٍ من حسنِه، راضٍ به؛ أي: لا تَمِلْ إليهم، ولا تَحْسُنْ في عينيكَ.

﴿ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ ﴾ فإن ذلكَ استدراجٌ ووبالٌ لهم؛ كما قال:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بسببِ ما يكابِدون لجمعِها وحفظِها من المتاعبِ، وما يجدون فيها من الشدائدِ والمصائبِ.

﴿ وَتَزْهَقَ ﴾ تخرجَ ﴿ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ أي: يموتون على الكفر.

* * *

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ على دينِكم.

﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ لكفرِ قلوبِهم.

﴿ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ يفزعون أن تفعلوا بهم ما تفعلونَ بالمشركين.

* * *

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً ﴾ مكاناً يتحصَّنونَ فيه.

﴿ أَوْ مَغَٰرَٰتٍ ﴾ وهي الغارُ يَغورون فيه.

﴿ أَوْ مُدَّخَلًا ﴾ سَرَباً تحتَ الأرضِ يدخلون فيه. قرأ يعقوبُ: (مَدْخَلاً) بفتح الميم وإسكان الدال المخففة، والباقون: بضمِّ الميم وفتحِ الدال مشدَّدَة[١].

﴿ لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ ﴾ إليه هَرَباً منكم.

﴿ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ يُسرعون في إباءٍ، ومنهُ الفرسُ الجموحُ.

* * *

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ يَعيبُك في قِسمَتِها. قرأ يعقوبُ: (يَلْمُزُكَ) بضم الميم، والباقون: بكسرها، ورُوي عن ابنِ كثيرٍ: (يلامِزُكَ)[٢].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧).

﴿ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ نزلتْ في ذي الخُوَيْصِرَةِ التميميِّ، واسمُه حرقوصُ بنُ زهير أصلُ الخوارج، كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقسمُ غنائمَ حُنين، فاستعطفَ قلوبَ أهلِ مكَّةَ بتوفيرِ الغنائمِ عليهم، فقال: اعدلْ يا رسولَ الله، فقال: «وَيْلَكَ! إنْ لَمْ أَعْدِلْ فَمَنْ يَعْدِلُ؟!»[1] و[2] قيل: نزلتْ في أبي الجواظِ المنافقِ، قال: ألا ترونَ إلى صاحبكم، إنما لقيتُم صدقاتِكم في رُعاةِ الغنمِ، ويزعمُ أنه يعدلُ[3]، (وإذا) للمفاجأةِ جُعِلَتْ جواباً للشرط، وهي هنا ظرفُ مكانٍ، التقديرُ: إن لم يُعْطَوا، فاجؤوا السَّخط.

***

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ ما أعطاهم الرسولُ من الغنيمةِ والصدقةِ، وذكرُ اللهِ للتعظيم.

﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ كفانا فضلُه.

﴿ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ صدقةً أو غنيمةً أخرى.

﴿ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ فيؤتينا أكثرَ مما آتانا.

---

(١) رواه البخاري (٣٤١٤)، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (١٠٦٤)، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) في «ن»: «أو».

(٣) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٧٨ ـ ٧٩): غريب.

﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ في أن يوسِّعَ علينا من فضلِه، وجوابُ (لو) محذوفٌ، تقديره: لكانَ خيراً لهم.

* * *

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) ﴾.

[٦٠] ثم بيَّنَ اللهُ مصارِفَ الصدقات، رُوِيَ عن زيادِ بنِ الحارثِ الصُّدائيِّ قال: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ، فبايعتُه، فأتاه رجل فقال: أَعْطِني من الصدقةِ، فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ[١] لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيٍّ، وَلاَ غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حَكَمَ فِيهَا، فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الأَجْزَاءِ، أَعْطَيْتُكَ حَقَّكَ»[٢].

قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ ﴾ أي: الزكوات، و(إنما) للحصرِ تُثْبِتُ المذكورَ، وتَنْفي ما عداه.

﴿ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ مذهبُ أبي حنيفةَ ومالكٍ: الفقيرُ: مَنْ له بعضُ ما يكفيهِ، والمسكينُ: مَنْ لا شيءَ لهُ، فالفقيرُ عندَهما أحسنُ حالاً من المسكينِ، ومذهبُ الشافعيِّ وأحمدَ بعكسِه، وأبو حنيفةَ يمنعُ من الصدقةِ مَنْ يملكُ نِصاباً، فإذا لمن يملكه، جازَ أن يُعطى نصاباً وأكثرَ، ومالكٌ

---

(١) «إن الله» ليست في «ن».

(٢) رواه أبو داود (١٦٣٠)، كتاب: الزكاة، باب: من يعطى من الصدقة، وحد الغني.

يُجَوِّزُ دفعَها لمن له نصابٌ لا كفايةَ له فيه، فيُعطى نِصاباً وما فوقَه، وعندَ الشافعيِّ وأحمدَ: مَنْ ملكَ ما لا يقومُ بكفايتِهِ مُطْلقاً، فليس بغنيٍّ، فيعطى الفقيرُ والمسكينُ عندَ الشافعيِّ كفايةَ العمرِ الغالبِ، فيشتري بهِ عقاراً يستغلُّه، وعندَ أحمدَ: يُعطى لهما ولعائلتِهما تمامُ كفايتِهم سنةً.

﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ هم الجباةُ لها ومُفَرِّقوها، يعطَون على قدرِ عَمالتِهم معَ غِناهم بالاتفاقِ.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهمْ من يُتَأَلَّفُ قلبُه ليخلصَ إيمانه، أو يُرجى بعطيتهِ إسلامُ نظيرِه، أو جبايةُ الزكاةِ ممن لا يُعطيها، أو الدفعُ عن المسلمين، أو من يُتَّقى شرُّه من الكفار، أو يُرْجى إسلامُه. قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (وَالْمُوَلَّفَةِ) بفتح الواو بغير همزٍ، والباقون: بالهمز، وحكمُهم غيرُ منسوخ، وسهمُهم ثابتٌ عندَ أحمدَ، وعندَ الشافعيِّ أَن حكمَ المؤلفةِ من المسلمينَ باقٍ، وأَن الكافرَ لا يُعطى تألفاً بحالٍ، وعندَ أبي حنيفةَ ومالكٍ حكمُهم منسوخٌ، وسهمُهم ساقطٌ، إلا أن مالكاً قال: إنِ احتيجَ إليهم، جازَ الدفعُ لهم.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ هم المكاتَبُون، يُعْطَون منها عندَ أبي حنيفة ما يُعانونَ به في فَكِّ رقبتِهم، وعندَ الشافعي قدرَ دَيْنهم، وقالَ مالكٌ: لا يُعطى المكاتَبون، وإنما يشتري الإمامُ رقاباً ويعتقُهم، والولاءُ للمسلمين بشرطِ الإسلامِ على المشهور، وقال أحمد بجوازِ الأمرين، ووافق الشافعيَّ في إعطائِهم قدرَ دَيْنهم، وقال أيضاً: يجوزُ أن يَفْديَ بها أسيراً مسلماً، ورُوي مثلُه عن مالكٍ، والمشهورُ عنه خلافُه.

﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ هُم الذين عَلَتْهم الديونُ لغيرِ معصيةٍ، فمن غرمَ لإصلاحِ

نفسِه في مُباحٍ، أُعطي إذا لم يكنْ له من المالِ ما يفي بدينِه بالاتفاق، وإن غرمَ لإصلاحِ ذاتِ البَيْنِ، أُعطي مع غِناهُ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، خلافاً لأبي حنيفةَ ومالكٍ فإنهما يشترطانِ أن يكونَ فقيراً.

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ همُ الغزاةُ الذين لا ديوانَ لهم، فَيُعْطَون مع غناهم عندَ الثلاثة، وقال أبو حنيفةَ: هو مخصوصٌ بالفقير منهم، وقال أحمدُ: الحجُّ من سبيلِ اللهِ، فيُعطى الفقيرُ ما يحجُّ به الفرضَ، أو يستعينُ به فيه، وافقه محمدُ بنُ الحسنِ، وخالفَ أبو يوسف.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو المسافرُ المنقطعُ دونَ بلدِه، فَيُعطى ما يقطعُ به سفرَهُ عندَ الثلاثة، وعندَ الشافعي لا فرقَ بينَ مُنْشِيء السفرِ والمجتازِ إذا لم يكنْ معه ما يحتاجُ إليه في سفره، ويُشترط في السفر أن يكونَ مباحاً عندَ الثلاثة؛ خلافاً لأبي حنيفة.

﴿فَرِيضَةً﴾ أي: واجبةً.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ؛ أي: فرضَ الصدقاتِ فريضةً.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يضعُ الأشياءَ في مواضِعها.

واختلفَ الأئمةُ في جوازِ صرفِها إلى بعضِ الأصنافِ الثمانيةِ، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: يجوزُ صرفُها إلى صنفٍ واحدٍ، وقال الشافعيُّ: لا يجوزُ صرفُها إلى بعضِهم معَ وجودِ سائرِهم، وقال مالكٌ: يُتَحَرَّى في موضعِ الحاجةِ منهم، ويُقَدَّمُ الأَوْلى فالأولى من أهل الخُلَّةِ والحاجةِ، ومعنى الخلةِ: الفقيرُ.

واتفقَ الأئمةُ رضي الله عنهم على وجوبِ الزكاةِ في أربعةِ أصنافٍ من المالِ: السائمةُ من بهيمةِ الأنعام، وهي التي تَرْعى في أكثرِ الحولِ،

والخارجُ من الأرض، والنقدُ، وعروضُ التجارة.

ولا تجبُ إلا بشروطٍ خمسة: الإسلام، والحرية، وملك النصاب، وتمام الملك، فلا تجبُ على مكاتَبٍ، ومضيُّ الحولِ إلا في الخارجِ من الأرضِ، وتقدَّمَ الكلامُ عليه في سورةِ الأنعام عندَ تفسيرِ قولِه: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الآية: ١٤١] وهل يُشترَطُ البلوغُ والعقلُ؟ قال الثلاثةُ: لا يُشترط، بل تجبُ في مالِ الصبيِّ والمجنونِ، وقال أبو حنيفة: يُشترط، فلا تجبُ عليهما.

والزكاةُ في اللغة: الزيادةُ، يقال: زكا المالُ: إذا نما وزادَ، وفي الشرعِ: حَقٌّ واجبٌ في مالٍ خاصٍّ لطائفةٍ مخصوصةٍ في وقتٍ مخصوصٍ.

ولا يجوزُ أداؤُها إلا بالنية بالاتفاق.

ويجوز تعجيلُها عندَ أبي حنيفةَ لسنةٍ أو أكثرَ، وعندَ الشافعيِّ لحولٍ واحدٍ، وعندَ أحمدَ لحولينِ، وقال مالكٌ: لا يجوزُ إخراجُ الزكاةِ قبلَ وجوبها.

واتفقوا على أن نصابَ الإبلِ خمسٌ، ففي كُلِّ خمسٍ شاةٌ إلى أربعٍ وعشرينَ، وفي خمسٍ وعشرينَ بنتُ مخاضٍ لها سنةٌ، ثم في سِتٍّ وثلاثينَ بنتُ لَبونٍ لها سنتان، ثم في سِتٍّ وأربعينَ حُقَّةٌ لها ثلاثُ سنينَ، ثم في إحدى وستينَ جَذَعَةٌ لها أربعُ سنين، ثم في سِتٍّ وسبعينَ بِنْتا لَبون، ثم في إحدى وتسعين حُقَّتانِ إلى مئةٍ وعشرين، فإن زادتْ واحدةً، فقال أبو حنيفة: يستأنفُ الفريضةَ، ففي كلِّ خمسٍ شاةٌ كالأول إلى مئةٍ وخمسٍ وأربعين، ففيها حُقَّتان وبنتُ مخاضٍ إلى مئةٍ وخمسين، ففيها ثلاثُ حقاقٍ، ثم في الخمسِ شاةٌ كالأولى إلى مئةٍ وخمسٍ وسبعين، ففيها ثلاثُ حقاقٍ،

وبنتُ مخاضٍ، وفي مئةٍ وستٍّ وثمانين ثلاثُ حقاقٍ وبنتُ لبون، في كلِّ أربعينَ بنتُ لَبون، وفي كلِّ خمسين حقةٌ، وعن مالكٍ إذا زادت واحدةً، روايتان: أشهرُهما أن الساعيَ بالخِيار بينَ حُقَّتين أو ثلاثِ بناتِ لبون. وفي مئةٍ وستٍّ وتسعينَ أربعُ حقاقٍ إلى مئتين، ثم تستأنف أبداً كما استأنفت بعدَ المئةِ وخمسين، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: إن الزيادةَ الواحدةَ تغير الفرضَ، فيكونُ في مئةٍ وإحدى وعشرين ثلاثُ بناتِ لبون، ثم في كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة، وعن مالك إذا زادت واحدة روايتان؛ أشهرهما أن الساعي بالخيار بين حقتين أو ثلاث بنات لبون. والروايةُ الأخرى: ليس فيها إلا حُقَّتانِ حتى تبلغَ ثلاثينَ ومئةً، فإذا صارتْ كذلك، أُخِذَ من كلِّ خمسينَ حقةٌ، ومن كل ثمانين بنتا لبون.

واتفقوا على أن نصابَ البقرِ ثلاثون، ففيها تَبيعٌ أو تَبيعةٌ، وهي التي لها سنةٌ عندَ الثلاثةِ، وعندَ مالكٍ التي لها سنتانِ، وفي الأربعينَ مُسِنَّةٌ، وهي التي لها سنتانِ عندَ الثلاثةِ، وعندَ مالكٍ التي لها أربعُ سنينَ إلى تسعٍ وخمسينَ، فإذا بلغتْ ستين، ففيها تَبيعان إلى تسعٍ وستين، فإذا بلغتْ سبعين، ففيها تبيعٌ ومسنةٌ، فإذا بلغت ثمانين، ففيها مُسِنَّتانِ، وفي تسعينَ ثلاثةُ أتبعةٍ، وفي مئةٍ تبيعانِ ومسنةٌ، وعلى هذا أبداً يعتبر الفرضُ، ففي كلِّ ثلاثين تبيعٌ، وفي كل أربعين مسنَّةٌ.

والجواميسُ نوعٌ منه بالاتفاق. واتفقوا على أن نصابَ الغنمِ أربعونَ، وفيها شاةٌ إلى مئةٍ وعشرين، فإذا زادت واحدةً، ففيها شاتان، ثم في مئتين وواحدةٍ ثلاثُ شياه إلى أربعِ مئةٍ ففيها أربعُ شياهٍ، ثم في كل مئةٍ شاةٌ.

والمعزُ والضأنُ سواءُ بالاتفاق.

واختلفوا فيما يؤخذ من الزكاة، فقال أبو حنيفةَ: أدنى ما تتعلَّقُ به الزكاةُ

ويؤخَذُ في الصدقة الثَّنِيُّ، وهو ما تَمَّتْ له السنةُ، ولا يجزيءُ الجَذَعُ، وهو عندَه الذي أتى عليه أكثرُ السنةِ، وقالَ الثلاثةُ: يؤخذُ الجذعُ من الضأنِ، وهو ما لَهُ سنةٌ عندَ مالكٍ والشافعيِّ، وستةُ أشهرٍ عندَ أحمدَ، والثنيُّ من المعزِ، وهو ما له ثلاثُ سنينَ عندَ مالكٍ، وسنتانِ عندَ الشافعيِّ، وسنةٌ عندَ أحمدَ.

واختلَفوا في الخيلِ إذا لم تكنْ معدَّةً للتجارةِ، فقالَ الثلاثة: لا زكاةَ فيها، وقال أبو حنيفةَ: فيها الزكاةُ إن كانتْ سائمةً ذكوراً وإناثاً، أو إناثاً، فإن شاءَ أعطى عن كل فرسٍ ديناراً، وإن شاءَ قوَّمها وأعطى عن كلِّ مئتي درهمٍ خمسةَ دراهمَ، وخالفه صاحباه، فوافقا الجماعةَ.

واختلفوا فيما إذا كانتِ الغنمُ ذُكوراً، أو إناثاً، أو من الصنفينِ، فقال أبو حنيفةَ: يجزيء أخذُ الذكرِ من كلٍّ، وقالَ الثلاثةُ: إن كانتْ كلُّها ذكوراً، أجزأَ الذكرُ، وإن كانتْ إناثاً، أو من الصنفين، فلا يجزيء فيها إلا الأنثى.

واتفقوا على أن نصابَ الفضةِ مئتا درهمٍ، وأما نصابُ الذهبِ، فقال مالكٌ: هو عشرون ديناراً، وقال الثلاثةُ: هو عشرون مثقالاً، فإذا حالَ الحولُ، ففي كلٍّ منهما ربعُ العشرِ بالاتفاق. واختلفوا[1] في الحليِّ المباحِ مما يُلْبَسُ ويُعار، فقال أبو حنيفة: فيه الزكاةُ، وقال الثلاثة: لا زكاةَ فيه، وأما المحرَّمُ والمعدُّ للتجارةِ، ففيهما الزكاةُ بغير خلافٍ.

واختلفوا في زكاةِ المعدنِ، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: تجبُ في كلِّ ما يُستخرَجُ من الأرض من ذهبٍ وفضةٍ وحديدٍ ونحوِها، واختلفا، فقال أبو حنيفةَ: لا يُعتبر فيه النصابُ، بل يجبُ في قليلِه وكثيرِه الخمسُ، وهو فيءٌ، والباقي لمستخرجِه، وقال أحمدُ: يعتبر النصابُ، وفيه ربعُ العشر

---

(١) في «ش»: «اتفقوا»، وهو خطأ.

زكاةً في الحال، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يتعلَّق بشيء[1] إلا بالذهبِ والفضةِ، ووافقا أحمدَ في اعتبارِ النصابِ ووجوبِ ربعِ العشرِ زكاةً في الحال.

ولا زكاةَ فيما يخرجُ من البحرِ من اللؤلؤ والمرجانِ بالاتفاق.

واختلفوا في الرِّكازِ، وهو دفنُ الجاهليةِ، فقال الثلاثةُ: فيه الخمسُ في الحال، قلَّ أو كثرَ من أيِّ نوعٍ كان، والواجدُ كالغانمِ له أربعةُ أخماسٍ، ومصرفُه مصرفُ الفيء، وقال الشافعيُّ: شرطُه النصابُ والنقدُ، لا الحولُ، وفيه الخمسُ يصرَفُ مصرفَ الزكاةِ.

واتفقوا على وجوبِ الزكاة في عُروضِ التجارة إذا بلغَتْ قيمتُها نصاباً من الذهبِ أو[2] الوَرِقِ ففيها ربعُ العشر.

ثم اختلفوا في استقرارِ وجوبِها بالحولِ، فقال الثلاثةُ: إذا حالَ عليها الحولُ، قَوَّمَها، فإذا بلغتْ نِصاباً، زَكَّاها، وقال مالكٌ: لا تجبُ الزكاةُ حتى يبيعَ، فإنْ أقامَ أحوالاً، فلا شيءَ عليه مادامَ عرضاً، ولا تُقَوَّمُ في كلِّ سنة، فإذا باعَ، زكَّى لسنةٍ واحدةٍ.

واتفقوا على وجوبِ زكاةِ الفطرِ على الأحرارِ المسلمينَ، وتلزمُ عندَ الثلاثة مَنْ ملكَ فاضلاً عن قوتِه وقوتِ عياله يومَ العيدِ وليلَتَه ما يُخرجُه فيها، وقال أبو حنيفة: لا تجبُ إلا على من ملكَ نصاباً، ووقتُ وجوبِها عندَ أبي حنيفةَ طلوعُ الفجرِ يومَ الفطرِ، وعندَ الثلاثةِ غروبُ الشمسِ ليلةَ الفطرِ، ويجوزُ تعجيلُها عند أبي حنيفةَ قبلَ رمضانَ، وعنه خلافٌ، وعندَ

---

(١) «بشيء» زيادة من «ش».

(٢) في «ش»: «و».

مالكٍ وأحمدَ يجوزُ تعجيلُها قبلَ العيدِ بيومٍ ويومينِ، وعندَ الشافعيِّ من أولِ الشهرِ، ويُستحبُّ إخراجُها يومَ الفطرِ قبلَ الخروجِ إلى المصلَّى بالاتفاق.

واتفقوا على جوازِ إخراجِها من خمسةِ أصنافٍ: البُرِّ، والشعيرِ، والتمرِ، والزبيبِ، والأَقِطِ، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: يجزىءُ الدقيقُ والسَّويقُ أيضاً، وقال مالكٌ: يجوزُ إخراجُها من الحَبِّ من سائرِ الأقواتِ؛ كالأرزِّ، والذرةِ، والدخنِ.

واتفقوا على أن الواجبَ صاعٌ من كلِّ جنسٍ، سوى أبي حنيفةَ؛ فإنَّه قالَ: يجزىء من البُرِّ خاصَّةً نصفُ صاعٍ.

واختلفوا في قدرِ الصاعِ، فقال أبو حنيفة: ثمانيةُ أرطالٍ بالعراقيِّ، وقال الثلاثةُ وأبو يوسفَ: خمسةُ أرطالٍ وثلثٌ بالعراقيِّ، وهو أربعةُ أرطالٍ وخمسةُ أسباعِ رطلٍ وثلثُ سُبْعِ رطلٍ مصريٍّ، ورطلٌ وسبعُ رطلٍ دمشقيٍّ، وإحدى عشرةَ أوقيةً وثلاثةُ أسباعِ أوقيةٍ حلبيةٍ، وعشرُ أواقٍ وسُبْعا أوقيةٍ قدسيةٍ، وستُّ مئةٍ وخمسةٌ وثمانونَ درهماً، وخمسةُ أسباعِ درهمٍ، وأربعُ مئةٍ وثمانون مثقالاً.

وتقدَّمَ ذكرُ المدِّ مستوفًى في سورةِ المائدةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ﴾ [الآية: ٨٩].

واختلفوا في جوازِ إخراجِ القيمة، فقالَ أبو حنيفةَ: يجوزُ، وخالفَهُ الثلاثةُ.

واختلفوا في الأفضلِ، فقال مالكٌ وأحمدُ: التمرُ أفضلُ، ثم الزبيبُ، وقال الشافعيُّ: البُرُّ أفضلُ، وقالَ أبو حنيفةَ: أفضلُ ذلك أكثرُه نماءً، والله أعلم.

***

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ونزل فيمن كان يؤذي النَّبي ﷺ من المنافقين، ويقولُ: نأتيه ونُنْكِر ما قلنا، ونحلفُ فيصدِّقُنا؛ فإنَّهُ أُذُنٌ.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ﴾[1] أي: يسمعُ كلَّ ما قيلَ له ويقبلُه.

﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي: إذا كان كما تقولون، فهو خيرٌ لكم. قرأ نافعٌ: (أُذْنٌ) بإسكان الذال فيهما، والباقون: بالرفع[2].

﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يصدِّقهم، إلا المنافقين.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ قرأ حمزةُ: (وَرَحْمَةٍ) بالخفض على معنى (أُذُنِ) خيرٍ و(رحمةٍ)، والباقون: بالرفع؛ أي: هو أذنُ خيرٍ، وهو رحمةٌ[3].

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ﴾ لأنه كان هو سببَ إيمانهم ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩).

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ونزلَ فيمن تخلَّف عن غزوةِ تبوكَ واعتذرَ ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ ولما كان رضا الله تعالى رضا نبيه، وبالعكسِ، وَحَّدَ الضمير في (أَنْ يُرْضُوهُ).

﴿ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ صدقاً.

* * *

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ يُعاديهما.

﴿ فَأَنَّ لَهُۥ ﴾ فتحاً خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: فجزاؤه أنَّ له.

﴿ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ أي: الفضيحةُ العظيمةُ.

* * *

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ثم خَبَّرَ بحالِ المنافقين فقالَ: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ أي: يخشون.

﴿ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على المؤمنينَ ﴿ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم ﴾ أي: تنبىءُ المؤمنينَ.

﴿ بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾؛ أي: قلوبِ المنافقين، المعنى: المنافقونَ يحذَرون

من نزولِ سورةٍ على المؤمنين تخبرُ بما يُضمرونَ من النفاق، فَيُفْتَضحون، وهم مع ذلكَ يستهزئون.

﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ من إنزالِ السورةِ فيكم. قرأ أبو جعفرٍ: (اسْتَهْزُوا) بضم الزاي بغيرِ همزٍ، وكذلك في (يَسْتَهْزُؤنَ) في الحرف الآتي، والباقون: بالهمزِ فيهما[1].

***

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] وكان جماعةٌ يستهزئون برسولِ الله ﷺ لما كانَ في غزوةِ تبوكَ، فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريدُ أن يفتحَ قصورَ الشامِ وحصونَه، هيهاتَ هيهاتَ! فأخبرَ اللهُ نبيَّهُ، فدعاهم فقال: «قُلْتُمْ كَذَا؟»، فأنكروا واعتذروا، وقالوا: إنما كنا نخوضُ ونلعبُ، فنزلَ:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾[2] في الكلام.

﴿وَنَلْعَبُ﴾ كما يفعلُ الركبُ نقطعُ الطريقَ بالحديثِ واللعِب.

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ﴾ كتابه.

﴿وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ توبيخاً على استهزائِهم بمن لا يصحُّ الاستهزاءُ به.

***

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٠).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠١).

﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ ﴾ لا تُظهروا عُذرَكم ﴿ قَدْ كَفَرْتُم ﴾ باستهزائِكم.

﴿ بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ بعدَ إظهارِكم الإيمانَ.

﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ أي: إن نرحم طائفةً منكم بتوبتِهم وإخلاصِهم.

﴿ نُعَذِّبْ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ مصرين على النفاق. قرأ عاصمٌ: (نَعْفُ) بالنونِ وفتحِها، وضمِّ الفاء (نُعَذِّبْ) بالنون وكسر الذال (طَائِفَةً) نصبٌ، وقرأ الباقون: (يُعْفَ) بالياءِ وضمِّها وفتح الفاء (تُعَذَّبْ) بالتاءِ وفتح الذال (طائفةٌ) رفعٌ على غيرِ تسميةِ الفاعل(١).

* * *

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾ في النفاقِ والدِّين.

﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾ بالكفرِ والمعصيةِ.

﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ الإيمانِ والطاعةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨ـ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٠ـ٣١).

﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ يُمْسِكون عن الصدقاتِ.

﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ تركوا أمرَهُ ﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ فتركَهم من رحمتِهِ.

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الكاملون في التمرد والفسوق.

* * *

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ ﴾ كافِيَتُهم جزاءً على كفرهم.

﴿ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ ﴾ أبعدَهُم من رحمتِهِ.

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ دائمٌ لا ينقطعُ.

* * *

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ كَٱلَّذِينَ ﴾ خبرُ مبتدأ؛ أي: أنتمْ مثلُ الذين.

﴿ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ ﴾ أي: انتفعوا بنصِيبهم من الدنيا باتِّباع الشهواتِ.

﴿ فَٱسْتَمْتَعْتُم ﴾ أيُّها المنافقونَ.

﴿بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ وسلكتم مسلكهم.

﴿وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ أي كما خاضوا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ لم يستحقُّوا عليها ثواباً.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ الذين خسروا الدارَيْن.

* * *

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾ يعني: المنافقين ﴿نَبَأُ﴾ خبرُ.

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ حينَ عَصَوا رُسُلَنا، وخالفوا أَمْرَنا كيفَ عَذَّبناهم وأَهْلَكْناهم، ثم ذكرَهم فقالَ:

﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ أُهلكوا بالطوفانِ ﴿وَعَادٍ﴾ أُهلكوا بالريحِ ﴿وَثَمُودَ﴾ بالرجفةِ ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بسلبِ النعمةِ وهلاكِ نمرودَ.

﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ قومِ شعيبٍ أُهلكوا بالنارِ يومَ الظُّلَّةِ.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ مدائنِ قومِ لوطٍ ائتفكت؛ أي: انقلبتْ بهم فصارت عاليَها سافلَها. قرأ قالونُ عن نافعٍ بخلافٍ عنه: (وَالْمُوتَفِكَاتِ) بإسكانِ الواوِ بغيرِ همزٍ(١).

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠-٣٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢).

﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ فكذَّبوهم وعَصَوْهُم كما فعلْتُم.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي: ليهلِكَهم حتى يبعثَ إليهم الأنبياءَ.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيثُ عرَّضوها للعقابِ بالكفر.

***

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾.

[٧١] ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ في الدِّينِ واتفاقِ الكلمةِ.

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالإيمانِ والطاعةِ.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ﴾ الشركِ والمعصيةِ، والمعروفُ: هو ما عرفَهُ العقلُ والشرعُ بالحُسْنِ، والمنكَرُ: ما أنكَرَه أحدُهما لقبحه، فالأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر فرضُ كفايةٍ باتفاقِ الأئمةِ وإجماعِ الأمة، وهو من أعظمِ قواعدِ الإسلامِ، والنهيُ: هو استدعاءُ تركِ الفعلِ، وهو أمرٌ بضدِّه، وحقيقتهُ للتحريمِ، وحقيقةَ الأمرِ للإيجابِ والقبولِ.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ﴾ في سائرِ الأمورِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ لا محالةَ؛ فإن السينَ مؤكِّدةٌ للوقوع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يمتنعُ عليهِ ما يريدُه ﴿حَكِيمٌ﴾ يضعُ الأشياءَ في محلِّها.

***

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً ﴾ تستطيبُها النفسُ ﴿ فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ بساتينِ خلدٍ.

﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: شيءٌ من رضا الله ﴿ أَكْبَرُ ﴾ من ذلكَ كله.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الرضوانُ.

﴿ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ وحدَهُ دونَ ما يعدُّهُ الناسُ فوزاً.

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ عز وجل لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا! وَمَالَنَا لاَ نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَفَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا فَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً»(١).

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ ﴾ بالسيفِ ﴿ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ بالحجَّةِ.

---

(١) رواه البخاري (٦١٨٣)، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٨٢٩)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة، فلا يسخط عليهم أبداً.

﴿ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ في الجهادَين.

﴿ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ ﴾ في الآخرة ﴿ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ مصيرُهم، قال عطاءُ: نسخَتْ هذه الآيةُ كلَّ شيءٍ من العفوِ والصَّفْحِ[1].

* * *

﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ (٧٤) ﴾.

[٧٤] ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ ﴾ رُوي أنه عليه السلام أقامَ في غزوةِ تبوكَ شهرين ينزلُ القرآنُ، ويعيبُ المنافقين[2] المتخلِّفين، فقالَ الجلاَّسُ بن سُوَيْدٍ: لئنْ كانَ محمدٌ صادِقاً، لنحنُ شَرٌّ من الحميرِ، فبلغَ رسولَ الله ﷺ، فاستحضَرَهُ، فحلفَ بالله ما قالَه، فنزلت، فتابَ الجلاسُ وحَسُنَتْ توبتُه[3].

﴿ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ سَبُّهم رسولَ الله ﷺ.

﴿ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ ﴾ أظهروا الكفرَ بعدَ إظهارِهم الإيمانَ.

﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ ﴾ وهو الفتكُ برسولِ الله ﷺ حينَ وقفوا له بالعقبةِ عندَ عودِهِ من تبوكَ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٠٥).

(٢) «المنافقين» زيادة من «ش».

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٣٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٦).

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾ أنكروا وعابوا على المؤمنينَ.

﴿إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾ وذلكَ أنَّ أهلَ المدينةِ كانوا قبلَ قدومِ النبيِّ ﷺ في ضَنْكٍ من العيش، فلما قدم النبيُّ ﷺ استغْنَوا بالغنائمِ، وقيلَ للحسينِ بنِ الفضلِ: هل تجدُ في القرآنِ قولَ الناسِ احذَرْ شَرَّ مَنْ أحسنتَ إليه؟ فقال: نعم، قولهُ تعالى في قصةِ المنافقينَ في التوبة: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾(1).

﴿فَإِن يَتُوبُواْ﴾ من كفرهم ﴿يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ﴾ من نفاقِهم وهو الذي حمل الجلاسَ على التوبةِ، فقُتِلَ مولى له، فأمرَ له النبيُّ ﷺ بديتِهِ اثني عشرَ ألفَ درهمٍ، فاستغنى.

﴿وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ﴾ يُعْرِضوا عن الإيمان.

﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بالخزيِ ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ بالنارِ.

﴿وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ فينجيهم من العذابِ.

* * *

﴿۞وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾.

[75] ﴿۞وَمِنۡهُم﴾ يعني: المنافقين.

﴿مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ ولنؤدينَّ حقَّ اللهِ منه.

﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ نعملُ بعملِ أهلِ الصلاحِ فيه، نزلَتْ في ثعلبةَ بنِ حاطبِ الأنصاريِّ، أتى النبيَّ ﷺ وقالَ: ادعُ اللهَ أن يَرْزقني مالاً،

(1) انظر: «تفسير القرطبي» (8/208).

فقال عليه السلام: «قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لاَ تُطِيقُهُ»، فراجعَهُ وقال: والذي بعثَكَ بالحق! لئنْ رزَقني مالاً؛ لأعطينَّ كلَّ ذي حَقٍّ حقَّهُ، فدعا لهُ فاتخذَ غنماً، فنمَتْ كما ينمى الدودُ، حتى ضاقَتْ بها المدينةُ، فنزلَ وادياً، وانقطعَ عن الجمعةِ والجماعةِ، فسألَ عنه ﷺ، فقيل: كثرَ مالهُ حتى لا يسعُه وادٍ، فقال: «يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ!»، فبعث مُصَدِّقَينِ لأخذِ الصدقاتِ، فاستقبلَهما الناسُ بصدقاتِهم، ومرَّا بثعلبةَ فسألاهُ الصدقةَ، وأقرآه الكتابَ الذي فيه الفرائضُ، فقال: ما هذهِ إلا جزيةٌ، ما هذهِ إلا أختُ الجزيةِ، فارجعا حتى أرى رأيي، فنزلتْ، فجاءَ ثعلبةُ بالصدقةِ فقالَ: «إنَّ اللهَ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ»، فجعلَ يحثو على رأسه الترابَ، فقالَ: «هَذَا عَمَلُكَ؛ فَقَدْ أَمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِي»، فَقُبضَ رسولُ الله ﷺ، فجاءَ بها إلى أبي بكرٍ في خلافتهِ، فلم يقبلْها، ثم جاءَ بها إلى عمرَ في خلافتِه، فلم يقبلْها، ثم جاء بها إلى عثمانَ فلم يقبلْها، وهلك في خلافتِه[1].

***

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ منعوا حق الله منه ﴿وَتَوَلَّواْ﴾ عن طاعة الله ﴿وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ وهم قومٌ عادتُهم الإعراضُ عنها.

***

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ٢٥٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٤٣)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٧)، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ ﴾ أي: جعلَ اللهُ عاقبةَ ذلك ﴿ نِفَاقًا ﴾ ثابتاً.

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ فلا يؤمنون ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ هو يومُ القيامةِ.

﴿ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴾ من التصدُّقِ والصلاحِ.

﴿ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ في يمينِهم.

قالَ ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[1].

* * *

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ﴾ ما أَسروه في أنفسهم من النفاق.

﴿ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ حديثَهم فيما كان بينَهم.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ فلا يخفى عليه ذلك. قرأ حمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (الْغِيُوبِ) بكسر الغين، والباقون: بالضم[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٣)، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، ومسلم (٥٩)، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣).

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ﴾ قرأ يعقوبُ: (يَلْمُزُونَ) بضمِّ الميم، والباقون: بالكسر(١)؛ أي: يَعيبون ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتبرِّعِين.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ والمرادُ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ، تصدَّقَ بأربعةِ آلافِ درهمٍ، وكانَ مالُهُ ثمانيةَ آلافٍ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيمَا أَعْطَيْتَ وَفِيمَا أَمْسَكْتَ»، فباركَ اللهُ له، حتى أنه خلفَ امرأتينِ يومَ ماتَ، فبلغ ثُمْنُ مالِه لهما مئةً وستينَ ألفاً، وتصدَّقَ عاصمُ بنُ عديٍّ بمئةِ وسقِ تمرٍ، وجاء أبو عقيلٍ الأنصاريُّ بصاعِ تمرٍ، فقالَ: يا رسولَ الله! بِتُّ ليلتي أجرُّ بالجريدِ الماءَ حتى نلتُ صاعَيْنِ، فتركْتُ صاعاً لعيالي، وجئتُ بصاعٍ، فأمرَهُ رسولُ الله ﷺ أن ينثُرَهُ على الصدقاتِ، فلمزَهم المنافقونَ وقالوا: ما أَعطَى عبدُ الرحمنِ وعاصمٌ إلا رياءً، وإن اللهَ ورسولَه لَغَنِيَّانِ عن صاعِ أبي عقيلٍ، ولكنه أحبَّ أن يذكِّرَ بنفسه ليُعطى من الصدقاتِ، فنزلَتْ:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾(٢) بضمِّ الجيم: طاقَتهم، وبالفتح:

---

(١) انظر: القراءة عند تفسير الآية (٥٨) من هذه السورة.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٨٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٤٩).

المشقةَ، والتلاوةُ بالأول، والمرادُ بالمطَّوعين: عبدُ الرحمنِ وعاصمٌ، والذين لا يجدون إلا جهدَهم: أبو عقيلٍ.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ يستهزئون بهم.

﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهُم على سُخريتِهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على كفرهم.

* * *

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ لفظهُ أمرٌ، ومعناهُ خبرٌ، تقديُره: استغفرْتَ لهم أم لم تستغفرْ لهم لنْ يغفرَ اللهُ لهم.

﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ وذكرَ عددَ السبعين قَطْعاً لأطماعِهم عن المغفرةِ على عادةِ العربِ، لأنها عندَهم مَثَلٌ لغايةِ الاستقصاء في العدد، فلما نزلَتْ، قالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ قد رَخَّصَ لِي، فَلأَزِيدَنَّ عَلَى السَّبْعِينَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ»، فأنزل الله على رسوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٣٩٣)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ومسلم (٢٤٠٠)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر ـ رضي الله عنه ـ، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ المتمرِّدينَ في كفرهم.

* * *

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ المتروكون عن غزوةِ تبوكَ.

﴿ بِمَقْعَدِهِمْ ﴾ بقعودِهم ﴿ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ أي: من بعدِه.

﴿ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وكراهتُهم لما ذكر هي شحٌّ؛ إذ لا يؤمنونَ بالثوابِ في سبيلِ الله.

﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ﴾ أي: الجهاد؛ لأن غزوةَ تبوكَ كانت في أشدِّ الحرِّ.

﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ من غزوة تبوكَ ﴿ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ أي: يعلمون، وكذلك هو في مصحفِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ.

* * *

﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ثم قالَ تهديداً بصيغةِ الأمر: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ ﴾ في الدنيا ﴿ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ ﴾ في الآخرة.

﴿ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ نصٌّ في أنَّ التكسُّبَ هو الذي يتعلَّقُ به الثوابُ والعقاب.

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣ ﴾.

[٨٣] ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ ﴾ ردَّكَ يا محمدُ من غزوتك هذهِ.

﴿ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ يعني: من المخلَّفين، وإنما قال: طائفةٍ منهم؛ لأنه ليس كلُّ من تخلَّف عن غزوةِ تبوكَ كانَ منافقاً.

﴿ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ ﴾ معكَ إلى غزوةٍ أخرى.

﴿ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا ﴾ في سَفْرَةٍ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (مَعِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1].

﴿ وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ ﴾ قراءةُ العامةِ: (معي) بإسكانِ الياءِ في هذا الحرف، وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: بفتح الياء[2].

﴿ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾ في غزوةِ تبوكَ ﴿ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴾ أي: المتخلفين من النساءِ والصبيانِ وأهلِ الأعذار.

* * *

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٣).

(٢) المصادر السابقة.

[٨٤] ولما حضرَ عبدَ اللهِ بنَ أُبَيَّ ابنَ سلولَ المنافقَ الموتُ، بعثَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فدخلَ عليه، فقال: «أَهْلَكَكَ حُبُّ اليهود»، فقالَ: لم أبعثْ إليكَ لتؤنِّبني، بلْ لتستغفرَ لي، وطلبَ منه أن يُكَفِّنَهُ بثوبهِ الذي يلي جسدَه، فكَفَّنه ﷺ دفعاً لِمنَّتِهِ؛ لأنه كانَ قد كسا العباسَ لما أُسِرَ يومَ بدرٍ قَميصاً؛ لأنه لم يكنْ بقدرِه قميصٌ سِوى ثوبِ ابنِ أُبَيٍّ، وصلَّى عليه، فَكُلِّمَ ﷺ في ذلك، فقالَ: «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ قَمِيصِي وَصَلاَتي مِنَ اللهِ؟ وَاللهِ إنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يُسْلِمَ بِهِ أَلْفُ رَجُلٍ لِمَا يَرَوْنَ مِن تبَرُّكِهِ»، فَرُوِي أنه أسلمَ ألفٌ من قومِه لما رأوه يتبرَّكُ بقميصِ النبيِّ ﷺ، فنزلَ:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾[1] لا تقفْ عليهِ للدفن، و(مَاتَ) ماضياً معناه الاستقبالُ؛ لأنه كائنٌ لا محالةَ.

﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ فما صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ بعدَها على منافقٍ، ولا قامَ على قبرِهِ حتى قُبِضَ.

***

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ الخطابُ للنبيِّ ﷺ، والمرادُ: أُمَّتُهُ، إذ هو بإجماعٍ مِمَّنْ لا تفتنهُ زخارفُ الدنيا، ووجهُ تكريرِها تأكيدُ هذا المعنى، وأيضاً لأنَّ الناسَ كانوا يُفتنون بصلاحِ حالِ المنافقين في دنياهم.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٩٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٥٩).

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ ذو الغِنى والسَّعة ﴿ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ الزَّمْنى وأهلِ العذرِ.

***

﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ النساءِ، جمعُ خالفةٍ.

﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ما في الجهادِ وموافقةِ الرسولِ من السعادة، وما في التخلُّف عنه من الشقاوة.

***

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ ﴾ أي: إن تخلَّفَ هؤلاء ولم يجاهدوا، فقد جاهدَ مَنْ هو خيرٌ منهم.

﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ ﴾ منافعُ الدارينِ: الغنيمةُ[١] في الدنيا، والجنةُ في الآخرةِ.

---

(١) في «ت»: «القيمة».

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزونَ بالمطالبِ.

* * *

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ بيانٌ لما لهم من الخيراتِ الأُخرويَّةِ.

* * *

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾.

[٩٠] ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ قراءة العامة: بفتح العين وتشديدِ الذال؛ أي: الآتونَ بصورةِ العذرِ ولا عذرَ لهم، وقرأ يعقوبُ: بإسكان العين وتخفيف الذال؛ يعني: الذين أتوا بالعذر، وبالغوا فيه[1]، وهم قوم ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ استأذنوا في التخلُّفِ متعذرين بالجهدِ وكثرةِ العيال، قال ابنُ عباسٍ وقومٌ معه منهم مجاهدٌ: كانوا مؤمنين، وكانت أعذارهم صادقةً، وقالَ قَتادةُ وفرقةٌ معه: بل هم قومٌ كفرةٌ، وقولُهُم وعذرُهم كذبٌ[2].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٥).

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٨٦٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٦٠).

﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يعني: المنافقين، كذبوا اللهَ ورسولَه في ادِّعاءِ الإيمان، ولم يجيئوا، ولم يعتذروا.

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ من الأعرابِ.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا بالقتلِ، وفي الآخرةِ بالنارِ.

***

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾.

[٩١] ثم عذرَ الله تعالى ذوي الأعذارِ فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الهَرْمَى والزَّمْنَى.

﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ لفقرِهم.

﴿حَرَجٌ﴾ إثمٌ ﴿إِذَا نَصَحُوا۟﴾ أخلصوا ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالإيمانِ والطاعةِ.

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في إيمانِهم ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ طريقِ عتابٍ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهم.

***

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معكَ إلى الغزوِ.

﴿ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ المعنى: لا سبيلَ على الأوَّلين، ولا على هؤلاءِ، وهم الذين أتوكَ، وهم سبعةُ نفرٍ سُمُّوا البَكَّائِين: مَعْقِلُ بنُ يَسارٍ، وصخرُ بنُ خنساء، وعبدُ اللهِ بن كعبٍ الأنصاريُّ، وعليَّةُ بنُ زيدٍ الأنصاريُّ، وسالمُ بنُ عُمَيْرٍ، وثعلبةُ بنُ غنمةَ، وعبدُ اللهِ بنُ مُغَفَّلٍ المزنيُّ، أتوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسولَ اللهِ! إنَّ اللهَ قد ندبَنا للخروجِ، فاحملْنا على الخفافِ المرقوعةِ والنعالِ المخصوفة نغزو معكَ، فقالَ: «لاَ أَجِدُ»، فتولَّوا وهم يَبْكون، فذلك قولُه:

﴿ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ ﴾[1] تسيلُ.

﴿ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ في الجهادِ، تلخيصُه: ليسَ إلى عقوبةِ هؤلاءِ سبيلٌ.

***

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ ﴾ بالمعاتبةِ.

﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ﴾ واجِدُونَ الأُهْبَةَ.

﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ النساءِ والصبيانِ.

﴿ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ تقدمَ تفسيرُ نظيرِ هذهِ الآيةِ قريباً.

***

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣١٥).

﴿ ۞ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) ﴾.

[٩٤] ﴿ ۞ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ ﴾ في التخلُّفِ.

﴿ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ من هذهِ السَّفْرَةِ.

﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ ﴾ بالمعاذيرِ الكاذبةِ؛ لأنه[1]:

﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ لن نصدِّقكم؛ لأنَّه ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ وهو ما في ضميرِكم بالوحيِ إلى نبيِّهِ.

﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أَتُنيبونَ أم تثْبتونَ على كفرِكُم.

﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ المطَّلعِ عليكم.

﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالتوبيخِ والعقابِ عليه.

* * *

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٩٥) ﴾.

[٩٥] ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ إذا انصرَفْتُم من غزوِكم.

---

(١) «لأنه» ساقطة من «ت».

﴿ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ ﴾ لتصفَحوا، فلا تعاتبوهم.

﴿ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ ﴾ ولا تُوبِّخوهم.

﴿ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ ﴾ نجسٌ لا ينفعُ فيهم التأنيبُ.

﴿ وَمَأۡوَىٰهُمۡ ﴾ في الآخرةِ ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ فتكفيهم عِتاباً ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾.

***

﴿ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] حلفَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ألاَّ يتخلَّفَ عن رسولِ الله ﷺ بعدَ ذلك، وطلبَ أن يرضى عنه، فنزلَ: ﴿ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ ﴾(١) بحلفِهم.

﴿ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ أي: فإنَّ رضاكم لا يستلزمُ رضا اللهِ، ورضاكم وحدَكُم لا ينفعُهم إذا كانوا في سخطِ الله وبصدَدِ عقابه.

***

﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ ﴾ أهلُ البدو ﴿ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا ﴾ من أهل الحضر؛ لتوحُّشِهم، وعدمِ مخالطتِهم لأهلِ العلمِ، وبعدِهم عن سماعِ القرآنِ ومعرفةِ السُّنَن.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٣١٦ـ٣١٧).

﴿ وَأَجْـدَرُ ﴾ أحقُّ ﴿ أَلَّا ﴾ أي: بأن لا ﴿ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ من الشرائعِ.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بما في قلوبِ خلقِه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ بما يصيبُ به مسيئَهم ومحسنَهم عقاباً وثواباً.

وأما إمامةُ الأعرابيِّ للحضريِّين، فهي جائزةٌ بالاتفاقِ إذا أقامَ حدودَ الصلاة، إلا أن أبا حنيفةَ يكرهُ تقديمَهُ على غيره، ومالكٌ يكرَهُ إمامَتَهُ، وإن كانَ أقرأَهم.

واختلفوا في شهادةِ البدويِّ على القَرَويِّ، فقال مالكٌ: لا تُقبل في الحضرِ؛ لما في ذلك من تحقُّقِ التهمةِ، وأجازهَا في السفرِ في المالِ وغيرِه؛ لعدمِ الرِّيبةِ، وقالَ الثلاثةُ: تقبل مطلقاً إذا كانَ عدلاً مَرْضِيّاً.

* * *

﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْـرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْـرَمًا ﴾ غرامةً، فلا يرجو على إعطائِه ثواباً، إنما يعطي خوفاً ورياءً.

﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ﴾ دولَ الزمانِ وما يدورُ من آفاتِه لينقلبَ الأمرُ عليكم، ويظهرَ المشركونَ.

﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ عليهم يدورُ البلاءُ والحزنُ، ولا يرونَ في محمدٍ ودينِه إلا ما يسوؤهم. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (السُّوءِ) بضمِّ السين؛

يعني: الضررَ والبلاءَ، وقرأ الباقون: بالفتح؛ يعني: الفسادَ[1].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُضمِرون، نزلَتْ في أعرابِ أسدٍ وغَطَفانَ وتميمٍ.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٩)﴾.

[٩٩] ثم استثنى فقال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ هم بنو مُقَرِّنٍ من مُزينةَ، وغفارٍ وجُهينةَ.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ﴾ جمعُ قُرْبَةٍ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: يطلبُ القربةَ إلى اللهِ.

﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أدعيته؛ أي: يرغبونَ في دعاءِ النبيِّ ﷺ.

﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ شهادةٌ من اللهِ لصحَّةِ مُعْتَقَدِهم، وتصديقٌ لرجائِهم. قرأ ورشٌ عن نافعٍ: (قُرُبَةٌ) بضمِّ الراء، والباقون بسكونها[2]، والقربةُ: ما يتقرَّبُ بهِ العبدُ إلى الله تعالى من صومٍ أو صدقةٍ أو غيرِهما؛ كبناءِ المساجدِ ونحوِها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦-٣٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧-٣٨).

﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ وعدٌ لهم بإحاطةِ الرحمةِ عليهم، والسينُ لتحقيقِه، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لتقديرِه.

* * *

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

[١٠٠] ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ الذين صَلَّوا إلى القبلتينِ، وهم الذين هَجَروا قومَهم، وفارقوا أوطانَهم.

﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ أهلِ بيعةِ العقبةِ الأولى وكانوا سبعةً، وأهلِ بيعةِ العقبةِ الثانيةِ وكانوا سبعين، والذين آمنوا حينَ قدمَ عليهم أَبو زُرارةَ مصعبُ بنُ عُميرٍ يعلِّمُهم القرآنَ، فأسلمَ معه خلقٌ كثيرٌ وجماعةٌ من النساءِ والصِّبيانِ. قرأ يعقوبُ: (وَالأَنْصَارُ) برفع[1] الراءِ عطفاً على قولِهِ: (وَالسَّابِقُونَ)[2]، والأنصارُ: همُ الذين نَصَروا رسولَ الله ﷺ على أعدائِه، وآوَوْا أصحابَهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ﴾ هم بقيةُ المهاجرينَ والأنصارِ، أو مَن استنَّ بهم إلى يومِ القيامة.

﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لطاعتِهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ لإفاضَتِهِ عليهِمُ الخيرَ.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ قرأ ابنُ كثير: (مِنْ تَحْتِهَا)

---

(١) في «ش»: «بضم».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨).

بزيادةِ كلمة (مِنْ)، وخفضِ: (تَحْتِهَا)، وكذلكَ هي في المصاحفِ المكية، وقرأ الباقونَ بحذفِ لفظةِ (من)، وكذلك هي في مصاحِفهم، واتفقوا على إثبات (من) قبلَ (تَحْتَهَا) في سائرِ القرآنِ[1]، قال ابنُ الجزريِّ في «النَّشْرِ»: ويحتملُ أنه إنما لم يكتبْ (من) في هذا الموضع؛ لأن المعنى: ينبعُ الماءُ من تحتِ أشجارِها، لا أنه يأتي من موضِعٍ ويجري تحتَ هذهِ الأشجارِ، فلاختلافِ المعنى خُولف في الخطِّ، وتكون هذه الجناتُ معدَّةً لمن ذُكر تعظيماً لأمرِهم، وتنويهاً بفضلِهم، وإظهاراً لمنزلتهم لمبادرتِهم لتصديقِ هذا النبيِّ الكريمِ عليهِ من اللهِ تعالى أفضلُ الصَّلاةِ وأكملُ التسليمِ، ولمن تبعَهم بالإحسانِ والتكريمِ، والله أعلمُ، انتهى.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ومعنى هذهِ الآيةِ الحكمُ بالرضا عنهم بإدخالِهم الجنةَ، وغفرِ ذنوبِهم، والحكمُ برضاهم عنهُ في شكرِهم وحمدِهم على نعمِه، جعلَنا اللهُ منهم برحمتِه.

واختلِفَ في أولِ مَنْ آمنَ برسولِ الله ﷺ بعدَ امرأتِه خديجةَ رضي الله عنها، مع اتفاقِهم على أنها أولُ من آمنَ به، فقيل: عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وهو ابنُ عشرِ سنينَ، وقيلَ: أبو بكرٍ، وقيل: زيدُ بنُ حارثةَ، وكان إسحقُ بنُ إبراهيمَ الحنظليُّ يجمعُ بينَ هذهِ الأخبارِ فيقولُ: أولُ مَنْ أسلمَ من الرجالِ أبو بكرٍ الصديقُ، ومن النساءِ خديجةُ، ومن الصبيانِ عليٌّ، ومن العبيدِ زيدُ بنُ حارثةَ رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨-٣٩).

وأكبرُ التابِعينَ: الفقهاءُ السبعةُ من أهلِ المدينة، وهم: عُبيدُ اللهِ بن عتبةَ بنِ مسعودٍ، وهو ابنُ أخي عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ الصحابيِّ، وعروةُ بنُ الزبيرِ بنِ العوامِ أخو عبدِ الله بنِ الزبيرِ الذي تولَّى الخلافةَ، وقاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبي بكرٍ الصديقِ، وكانَ من أفضلِ أهلِ زمانه، وسعيدُ بنُ المسيِّبِ القرشيُّ، قالَ عنهُ الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه: إنه أفضلُ التابعينَ، وسليمانُ بنُ سلمةَ، وأبو بكرٍ بنُ عبدِ الرحمنِ بن عبدِ الحارثِ المخزوميُّ القرشيُّ، وخارجةُ بنُ زيدِ بنِ ثابتٍ الأنصاريُّ، وأبوه زيدُ بنُ ثابتٍ من أكابرِ الصحابةِ، وهؤلاءِ السبعةُ هم الذين انتشرَ عنهمُ الفقهُ والفُتْيا، وقد نظمَ بعضُ الفضلاءِ أسماءهم في بيتٍ واحدٍ فقال:

أَلاَ كُلُّ مَنْ لاَ يَقْتَدِي بِأَئِمَّةٍ فَقِسْمَتُهُ ضِيزَى عَنِ الْحَقِّ خَارِجَهْ
فَخُذْهُمْ عُبَيْدُ اللهِ عُرْوَةُ قَاسِمٌ سَعِيدٌ سُلَيْمَانٌ أَبُو بَكْرٍ خَارِجَهْ

***

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم ﴾ أي: حولَ بلدِكم، وهي المدينةُ ﴿ مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ﴾ وهم مُزَيْنَةُ وجُهَيْنَةُ، وأَشْجَعُ وأَسْلَمُ، وَغِفارٌ كانوا نازلينَ حولَ المدينة.

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ قومٌ منافقون ﴿ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ مَرَنوا وتَمَهَّروا فيه، وهم من الأوسِ والخزرجِ ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴾ أنتَ يا محمدُ.

﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ الأُولى: فضيحتُهم في الدنيا؛ لأنه ﷺ قامَ يومَ جمعةٍ خطيباً فقال: «اخْرُجْ يَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ؛ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ»، فأخرجَ جماعةً من المسجد[1]، الثانية: عذابُهم في الآخرةِ، وقيل: هما القتلُ وعذابُ القبرِ.

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ بأن يخلَّدوا في جهنمَ.

***

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

[١٠٢] ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ مبتدأٌ ﴿ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ صفتُه، وخبرُه:

﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو إقرارُهم وتوبتُهم.

﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ هو تخلُّفُهم، وضعَ الواوَ موضعَ الباءِ كما يقالُ: خلطتُ الماءَ واللبنَ؛ أي: باللبنِ.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ يقبلَ توبتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوزُ عن التائب.

***

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

[١٠٣] فجاؤوا النبيَّ ﷺ وقالوا: خذْ أموالَنا التي تخلَّفْنا عنكَ بسببِها،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٩٢)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٩٦ـ٩٧).

فتصدَّقْ بها، واستغفرْ لنا فقال: «لَمْ أُؤْمَرْ بِذَلِكَ» فأنزلَ اللهُ تعالى:

﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ ﴾(1) من ذنوبِهِم.

﴿ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ أي: تنمِّي حسناتِهم، وترفعُهم من منازلِ المنافقين إلى منازلِ المخلصين.

﴿ وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ أي: ادعُ لهم واستغفرْ.

﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (إِنَّ صَلاَتَكَ) على التوحيد، وفتحِ التاءِ، والباقون: بالجمعِ وكسرِ التاء(2) ﴿ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ ﴾ طُمَأْنينةٌ ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لاعترافِهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بندامَتِهم.

* * *

﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤) ﴾.

[١٠٤] فلما نزلتْ توبةُ هؤلاءِ، قال الذين لم يتوبوا من المتخلِّفين: هؤلاء كانوا معنا بالأمسِ لا يُكلَّمون ولا يُجالَسون، فما لهم؟! فقال الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ إذا صحَّتْ.

﴿ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي: يقبلُها ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وأنَّ من شأنِه قبولَ توبةِ التائبينَ، قالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْ عَبْدٍ يَتَصَدَّقُ

---

(1) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢١)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٩٧).

(2) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٩ـ٤٠).

بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ طَيِّباً، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ طَيِّبٌ، إِلاَّ كَأَنَّمَا يَضَعُهَا فِي يَدِ الرَّحْمَنِ، فَيُرَبِّيهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهَا مِثْلُ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ»[1] قال البغويُّ رحمه الله في «شرح السنة»: كلُّ ما جاء به الكتابُ والسنَّةُ من هذا القَبيلِ من صفاتِ الباري تعالى؛ كالنَّفْسِ والوجهِ واليدِ والرِّجْلِ، والإتيانِ والمجيءِ والنزولِ إلى السَّماءِ الدنيا، والاستواءِ على العرشِ، والضحكِ والفرحِ، فهذه ونظائرُها صفاتُ الله تعالى وردَ بها[2] الشرعُ يجبُ الإيمانُ بها وإمرارُها على ظاهرِها مُعْرِضاً فيها عن التأويلِ، مُجْتَنِباً عن التشبيهِ، مُعْتَقِداً أن الباريَ لا يشبهُ شيءٌ من صفاتِه صفاتِ الخَلْقِ، كما لا تُشبهُ ذاتُه ذاتَ الخلقِ، قالَ الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وعلى هذا مضى سلفُ الأمةِ وعلماءُ السنَّة، تلَقَّوها جميعَها بالإيمانِ والقبولِ، وتجنَّبوا فيها من التمثيلِ والتأويلِ، ووَكَلُوا العلمَ فيها إلى الله تعالى كما أخبرَ عن الراسخينَ في العلمِ فقال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧] انتهى[3].

***

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٤)، كتاب: الزكاة، باب: لا يقبل الله صدقة من غلول، ولا يقبل إلا من كسب طيب، ومسلم (١٠١٤)، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) في «ت»: «به».

(٣) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١/ ١٦٨).

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ ﴾ ما شئتُمْ ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ فإنَّه لا يخفى على اللهِ، خيراً كانَ أو شراً.

﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالمجازاةِ عليه.

* * *

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ وَءَاخَرُونَ ﴾ من المتخلِّفينَ التائبينَ ﴿ مُرْجَوْنَ ﴾ مُؤَخَّرون.

﴿ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ فيهم بما يشاءُ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (مُرْجَؤُونَ) بالهمز، والباقون: بالواو بغير همز[1]، والمرجَؤُون هم الثلاثةُ الذين تأتي قصَّتُهم، وهم كعبُ بنُ مالكٍ، وهلالُ بنُ أميةَ، ومرارةُ بنُ الربيع، لم يبالِغوا في التوبةِ والاعتذار كما فعلَ أبو لُبابةَ، فتوقَّفَ رسولُ الله ﷺ في توبتِهم.

﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ﴾ إنْ لم يتوبوا ﴿ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ ﴾ إنْ تابوا.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤١).

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فيما يفعلُ بهم، فنزلتْ توبتُهم بعدَ خمسينَ ليلةً.

***

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

[١٠٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (الَّذينَ) بغيرِ واوٍ قبلَ الذين، وكذلكَ هو في مصاحِفهم، والباقون: بالواو.

﴿ مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ أي: مضارَّةً، نزلتْ في جماعةٍ من المنافقين بَنَوا مسجداً يضارُّونَ به مسجدَ قُباء، وكانوا اثني عشرَ رجلاً، فعلوا ذلكَ مضارَّة للمؤمنين.

﴿ وَكُفْرًا ﴾ باللهِ ورسولِه.

﴿ وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذين كانوا يجتمعونَ للصلاةِ في مسجدِ قُباء، فلما فرغوا، أتوا الرسولَ ﷺ وهو يتجهَّزُ إلى تبوكَ، وقالوا: يا رسولَ الله! إنا قد بنينا مسجداً لذي العِلَّةِ والحاجَةِ والليلةِ المَطِيرَةِ، وإنَّا نحبُّ أن تأتِيَنا وتصلِّي لنا فيه، وتدعوَ بالبركة، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «إنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، وَإِنْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ صَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ»، وكان أبو عامرٍ الراهبُ رَجُلاً منهم قد تنَصَّرَ في الجاهليةِ، وترَهَّبَ، ولم يزلْ يقاتلُ النبيَّ ﷺ حتى هُزِمَ يومَ حُنين، وسماهُ: أبا عامرٍ الفاسقَ، كان قال لهم:

ابنوا مسجداً، فإني ذاهبٌ إلى قيصرَ، فآتي بجنودٍ فأُخرجُ محمداً وأصحابَه من المدينة، فهذا معنى قوله تعالى:

﴿وَإِرۡصَادٗا﴾[1] أي: إعداداً.

﴿لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: لأجلِ هذا المنافقِ الذي حاربَ.

﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ أي: من قبلِ بناءِ مسجدِ الضِّرارِ إلى جنبِ مسجدِ قُباء، ولما خرجَ إلى الشامِ ليأتيَ من قَيْصَرٍ بجنودٍ يحاربُ بهم رسولَ الله ﷺ، هَلَكَ بقِنَّسْرينَ طَريداً وحيداً.

﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ﴾ أي: ما أردْنا ﴿إِلَّا﴾ الفعلَةَ ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ ببناءِ هذا المسجد، وهي الرفقُ بالمسكينِ والضعيفِ في الليلةِ الشاتيةِ وشدَّةِ الحرِّ، والسَّعَة على المسلمينَ.

﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ في حلفِهم.

* * *

﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾.

[١٠٨] فلما خرجَ ﷺ إلى تبوكَ، سألوهُ إتيانَ مسجدِهم ليصلِّي فيهِ، فنزلَ: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ﴾ لا تصلِّ في مسجدِ الضِّرارِ، وأُخبر بحالِهم فأرسل وَحْشياً بجماعةٍ، فحرقوهُ وهدموهُ، وتفرَّقَ أهلُه فجُعل مكانَه كُناسةٌ تُلْقى فيها[2] الجِيَفُ.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٨٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٠٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٨٦).

(٢) في «ظ»: «فيه».

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ أي: بني أصلُه ﴿عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ واللامُ للابتداء.

﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وُضِعَ أساسُه.

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ مصلِّياً، خبرُ الابتداء، والمسجدُ المؤسَّسُ على التقوى هو مسجدُ رسولِ الله ﷺ، وردَ بهِ الحديثُ عنه عليه السلام، وقيل: مسجدُ قُباء؛ لأنه ﷺ أَسَّسَه وصلَّى فيهِ أيامَ مُقامِه بقُباء من الاثنينِ إلى الجمعةِ.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ﴾ بالتوبةِ من المعاصي، وقيلَ: بالماءِ من الأحداث.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ يَرْضى عنهم.

* * *

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

[١٠٩] ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: (أُسِّسَ) بضم الهمزة وكسر السين (بُنْيَانُهُ) رفعٌ فيه جميعاً على غير تسميةِ الفاعلِ، والباقون بفتح الهمزةِ والسينِ والنونِ على تسميةِ الفاعلِ(١)، والمرادُ: قواعدُ البنيانِ.

﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ أي: على طلب التقوى، ورضا الله.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٢).

﴿ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ طرفِ وادٍ مُنْحفِرٍ أصلهُ بالماء. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (جُرْفٍ) ساكنة الراء، والباقون: بضم الراء، وهما لغتان[1].

﴿ هَارٍ ﴾ أي: أشرفَ على السقوط. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (هَارٍ) بالإمالة، واختلِفَ عن قالونَ وابنِ ذكوانَ، ورُوِي عن يعقوبَ، وقنبلٍ الوقفُ بالياءِ على (هَارِي)[2].

﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ أي: سقطَ بالباني.

﴿ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ يريدُ: بناءُ هَذا المسجدِ الضِّرارِ كالبناءِ على شفيرِ جهنَّمَ يتهوَّرُ بأهلِها فيها.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ إلى ما فيه نجاتُهم، المعنى: أفمنْ أَسَّسَ دينَه على أثبتِ القواعدِ، وهو الإيمانُ خيرٌ، أم مَنْ أَسَّسه على أضعفِ القواعدِ، وهو الكفرُ، فيسقطُ صاحبُه في النار؟ ورُوِي أنه حُفِرَتْ بقعةٌ في مسجدِ الضرار، فرئي الدخانُ يخرجُ منها[3].

* * *

---

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٣).

(2) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٥-٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٣-٤٤).

(3) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٢)، عن قتادة.

﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ﴾ يعني: المنافقينَ البانينَ للمسجدِ، ومَنْ شركَهم في غرضِهم، وقوله: ﴿ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ ﴾ تأكيدٌ وتصريحٌ بأمرِ المسجدِ ورفع الإشكالِ.

﴿ رِيبَةً ﴾ شَكّاً ونفاقاً ﴿ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ يحسبون أنهم كانوا في بنائِه مُحسنينَ، ولما هدمَهُ ﷺ، ازدادوا تصميماً على النفاقِ.

﴿ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: لا تفارقُهم الريبةُ حتى تُقَطَّعَ قلوبُهم بحيثُ لا يبقى لها قابليةُ الإدراكِ والإضمار. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، وخلفٌ: (إلا) بتشديدِ اللامِ على أنه حرفُ استثناء (تُقَطَّعَ) بضم التاءِ وبناءِ الفعل للمفعول، وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وعاصمٌ بروايةِ حفصٍ، وأبو جعفرٍ: (إلا) بالتشديد كما تقدَّم (تَقَطَّعَ) بفتحِ التاء؛ أي: تتقطع، وقرأ يعقوبُ: (إلَى) بتخفيفِ اللام، فجعلَه حرفَ جر (تَقَطَّعَ) بفتح التاء كابنِ عامرٍ ومَنْ وافقَهُ، ورُوي عنه أيضاً: بضمِّ التاءِ خفيف من القطع(١).

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بنيَّاتِهم ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما أَمَرَ بهدمِ بنائهم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٤ـ٤٥).

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾.

[١١١] ولما بايعَ رسولُ الله ﷺ الأنصارَ ليلةَ العقبةِ أن يعبدوا اللهَ، ولا يُشركوا به شيئاً، وأن يمنعوه ما يمنعونَ منه أنفسَهم وأموالَهم، ولهم إن وفَوا بذلك الجنةُ، فقبلوا وقالوا: لا نقيلُ ولا نستقيلُ، نزل:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ﴾(1) قرأ حمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَيُقْتَلُونَ) بتقديمِ المفعولِ على الفاعلِ على معنى قُتِلَ بعضُهم، وقاتلَ الباقون منهم، وقرأ الآخرونَ بتقديمِ الفاعلِ(2).

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ ﴿حَقًّا﴾ صفتُه، المعنى ما وُعِدوا به حقٌّ ثابت ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ فيه دليلٌ على أن الجهادَ كان في شريعةِ مَنْ تقَدَّمنا.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ استفهامٌ على جهةِ التقرير؛ أي: لا أحدَ أوفى بعهدِهِ من الله.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٣٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٨٨٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٦-٤٧).

﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ فافرَحوا ﴿بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ فإنه أوجبَ لكم عظائمَ المطالب ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: إنه الحصولُ على الحظِّ الأغبط.

* * *

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

[١١٢] ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ رفعٌ على المدحِ؛ أي: هم التائبون، والمرادُ بهم: المؤمنونَ المذكورون الذين تابوا من الشرك.

﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ المخلِصونَ العبادةَ للهِ تعالى.

﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ في السَّراءِ والضَّراءِ.

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصائمونَ؛ سُمُّوا بذلك لتركِهم اللذاتِ؛ المطعمَ والمشربَ والمنكحَ، في الحديثِ: «سِيَاحَةُ أُمَّتِي الصَّوْمُ»(١).

﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ في الصلاةِ.

﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ الإيمانِ.

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ الشركِ، وتقدَّمَ تفسيرُ المعروفِ والمنكرِ في السورةِ.

﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ القائمونَ بأوامره.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: هؤلاء الموصوفينَ بتلكَ الفضائل.

---

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٧٠٥): لم أقف عليه.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾.

[١١٣] رُوي أن أبا طالبٍ لما حضرَتْهُ الوفاةُ، جاءَهُ رسولُ الله ﷺ، فوجدَ عندَه أبا جهلٍ، وعبدَ اللهِ بنَ أبي أميةَ بنِ المغيرةِ، فقال: «أَيْ عَمِّ قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»، فقالَ أبو جهلٍ وعبدُ اللهِ بنُ أبي أميةَ: أَتَرْغَبُ عن ملَّةِ عبدِ المطَّلب؟! فلم يزلْ رسولُ اللهِ ﷺ يعرِضُها عليه، ويعيدانِه بتلكَ المقالةِ حتى قالَ أبو طالبٍ آخرَ ما كلَّمَهُمْ: هو على ملَّةِ عبدِ المطلبِ، وأبى أن يقولَ: لا إلهَ إلا اللهُ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فأنزلَ الله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ معه[1].

﴿ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[2] بأنْ ماتوا كفار.

***

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾.

[١١٤] ثم بينَ عذرَ إبراهيمَ في الاستغفارِ لأبيهِ فقال: ﴿ وَمَا كَانَ

---

(١) «معه» زيادة من «ت».

(٢) رواه البخاري (١٢٩٤)، كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، ومسلم (٢٤)، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه.

﴿ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (أَبْرَاهَامَ) بالألفِ[1].

﴿لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ بقوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] لأطلبنَّ مغفرتَكَ بالتوفيقِ للإيمانِ.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ﴾ أي: ظهرَ لإبراهيمَ بطريقِ الوحي أن آزرَ.

﴿عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ لموتِه على الكفرِ ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ أضربَ عن الاستغفارِ لأبيه في الدنيا.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ مُتأَوِّهٌ تضرُّعاً ﴿حَلِيمٌ﴾ صفوحٌ عمَّنْ نالَه بسوءٍ.

* * *

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا﴾ أي: ليسمِّيَهم ضُلَّالاً، ويؤاخذَهم مؤاخذَتَهم ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ للإسلامِ.

﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ﴾ خطرَ ما يجبُ اتقاؤه، المعنى: ما كانَ ليحكمَ بضلالِ من استغفرَ للمشركينَ قبلَ النهيِ حتى يتبيَّنَ لهم ما يأتون، فإذا بيَّنَ، ولم يأخذوا به بعدَ ذلكَ يستحقُّون الضلال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلمُ أمرَهم في الحالين.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٨).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾.

[١١٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يحكمُ ما يشاء ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه في السورةِ.

* * *

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾.

[١١٧] ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ أي: تجاوزَ وصفحَ.

﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ مِنْ إذنهِ للمنافقينَ في التخلُّف.

﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ فيما ندموا على الخروج؛ لما قاسَوا. قرأ أبو جعفر: (العُسُرَةِ) بضمِّ السينِ، والباقون: بالإسكان(١)، والمرادُ: وقتَ العسرة، وليس المراد ساعةً بعينها، والمرادُ: الذين اتبعوه في غزوةِ تبوكَ، ويسمَّى جيشَ العسرةِ؛ لقلة الظَّهْر، كان العشرةُ يَعْتَقِبون على البعير الواحد، والزاد والماء وشدة الحر، حتى كادتْ أعناقُهم تنقطع عطشاً، ومنهم من نحرَ بعيرَه واعتصرَ ماءَ فرثِه، وجعلَ فرثَهُ على صدرِه.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ﴾ همَّ ﴿يَزِيغُ﴾ تميلُ.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٩).

﴿ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ عن الثباتِ على الإيمانِ، أو اتباع الرسول. قرأ حمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يَزِيغُ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث[١].

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ تكريرٌ لتأكيدِ التوبة ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (رَؤُوفٌ) بالإشباعِ حيثُ وقعَ على وزن فَعُول، والباقونَ: بالاختلاسِ على وزن فَعُل[٢]، والرأفةُ: أشدُّ الرحمةِ.

***

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ عن غزوةِ تبوكَ هم: كعبُ بنُ مالكٍ الشاعرُ، ومُرارةُ بنُ الرَّبيعِ، وهلالُ بنُ أميةَ، وملخَّصُ القِصَّةِ: أنَّ غزوةَ تبوكَ تسمَّى: غزوةَ العُسْرَةِ؛ لوقوعِها في زمنِ الحرِّ، والبلادُ مجدبةٌ، والناس في عسرةٍ، وكانت في السنةِ التاسعةِ من الهجرةِ، فأنفقَ أبو بكرٍ جميعَ مالِه، وأنفقَ عثمانُ نفقةً عظيمةً، وسارَ النبيُّ ﷺ إلى تبوكَ، واستخلَفَ علياً رضي الله عنه، فقال عليٌّ: أتخلفني في الصبيانِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٠).

والنساءِ؟! قالَ: «أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟! إِلاَّ أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»[١]، وتخلَّفَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ المنافقُ، ومن تبعَه من أهلِ النفاقِ، وتخلَّفَ ثلاثةٌ من الصحابة[٢]، وهم: كعبٌ ومرارةُ وهلالٌ، ولم يكن لهم عذرٌ، ثم رجعَ النبيُّ ﷺ إلى المدينة بعدَ أن قامَ بتبوكَ بضعَ عشرةَ ليلةً لم يجاوزْها، وكانَ إذا قدمَ من سفرٍ، بدأَ بالمسجدِ، فركعَ فيه ركعتينِ، ثم جلس للناسِ، فلما فعلَ ذلكَ، جاءه المخلَّفون، فطفِقوا يعتذرون إليه، ويحلفون، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فقبلَ منهم رسولُ الله ﷺ علانيتَهم، وبايعَهم واستغفرَ لهم، ووَكَل سرائرَهم إلى الله، ثم جاءه كعبٌ، وكانَ تقدَّمَهُ مرارةُ وهلالٌ، فسألَهم عن سببِ تخلُّفِهم، فاعترفوا أن لا عذرَ لهم، فأمرَهُم بالمضيِّ حتى يقضيَ اللهُ فيهم، ونهى النبيُّ ﷺ المسلمينَ عن كلامِهم من بينِ مَنْ تخلَّف عنهُ، فاجتنبَهم الناسُ، فلبثوا على ذلك خمسينَ ليلةً، قال كعبٌ: فبينا أنا أسير في سوقِ المدينة، إذا نبطيٌّ من أنباطِ الشام ممَّنْ قدمَ بالطعامِ يبيعُه بالمدينةِ يقولُ: مَنْ يدلُّ على كعبِ بنِ مالكٍ؟ فطفقَ الناسُ يُشيرونَ له إليَّ، حتى إذا جاءني، دفعَ إليَّ كتاباً من ملكِ غَسَّانَ، فإذا فيه: أَمَّا بعدُ: فإنه قد بلغَني أن صاحبكَ قد جفاكَ وأقصاكَ، ولستَ بدارِ هوانٍ ولا مضيعةٍ، فالحقْ بنا نُواسِكَ، فقلتُ: هذا أيضاً من البلاءِ والشرِّ، فسجرتُ التنورَ وأحرقْتُه، ولما مضت أربعونَ من الخمسين، أمرَهم

---

(١) رواه البخاري (٤١٥٤)، كتاب: المغازي، باب: غزوة تبوك، ومسلم (٢٤٠٤)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) في «ش»: «الأصحاب».

النبيُّ ﷺ باعتزالِ نسائِهم، وجاءت امرأةُ هلالٍ رسولَ اللهِ ﷺ تستأذنُه في خدمتِه، فأذنَ لها من غيرِ أن يَقْرَبَها، فلما كملَتْ لهم خمسونَ ليلةً من حين نَهى رسولُ الله ﷺ عن كلامِهم، آذَنَ رسولُ اللهِ ﷺ بتوبةِ اللهِ عليهم، وذهبَ الناسُ يبشرونهم، وجاء كعبٌ إلى النبيِّ ﷺ، فسلَّمَ عليه، فقال لهُ وهو يبرُق وجهُه من السرورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قالَ: أمِنْ عِندِكَ يا رسولَ الله، أمْ من عندِ الله؟ قالَ: «لاَ بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ»، وأنزل الله على رسوله عليه السلام:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾[1] أي: برَحْبِها وسَعَتِها.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: قلوبُهم من فرطِ الوحشةِ والغمِّ. قرأ حمزة: (ضَاقَتْ) بالإمالة[2].

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا.

﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من سَخَطِهِ ﴿إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ إلا إلى الاستغفارِه.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ ليدوموا على التوبةِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ لمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ متفضلٌ عليهم بالنعم.

***

---

(١) روى قصة كعب بن مالك وصاحبيه: البخاري (٤١٥٦)، كتاب: المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، ومسلم (٢٧٦٩)، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

[١١٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ فيما لا يرضاهُ ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ الذين صَدَقوا في إيمانهم، وصدقوا اللهَ نيةً وقولاً وعملاً، قال كعبٌ: «فو اللهِ! ما أنعمَ اللهُ عليَّ نعمةً قَطُّ بعدَ إذ هداني للإسلام أعظمَ في نفسي من صدقي لرسولِ الله ﷺ ألاَّ أكون كذبت فأهلك كما هلك الذين كذبوا؛ فإنَّ اللهَ قالَ للذين كذَبوا حينَ أنزلَ الوحيَ شَرَّ ما قالَ لأحدٍ، فقال تبارك وتعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾».

* * *

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

[١٢٠] ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ نهيٌ عُبِّرَ عنه بصيغةِ النفيِ للتأكيدِ.

﴿ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ ﷺ إذا غزا ﴿ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ أي: لا يصونوا أنفسَهم عَمَّا يصيبُ نفسَه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ في سفرِهم ﴿ظَمَأٌ﴾ عطشٌ.

﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعبٌ ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ مجاعةٌ.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ يدوسونَ موضِعاً.

﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ يُغْضِبُهم. قرأ أبو جعفرٍ: (يَطُونَ) بإسكان الواو (مَوْطِياً) بنصب الياء بغير همز فيهما وشبهِه حيثُ وقع[1].

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ أَسْراً وقتلاً وهزيمةً.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ إلا استوجبوا به الثوابَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانِهم.

***

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

[١٢١] ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ تمرة ونحوها ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ كنفقةِ عثمانَ في جيشِ العسرةِ.

﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في مسيرِهم في الغزوِ في الذهابِ والمجيءِ.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ بذلكَ.

﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لام قسم تأكيد، تقديُره: واللهِ لَيَجْزِيَنَّهُمُ اللهُ،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٩٦-٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٢).

فحذفتِ النونُ استخفافاً، وكسرت اللامُ وكانت مفتوحة، فأشبهت في اللفظ لامَ (كي) فنصبوا بها[1] كلامِ (كي).

* * *

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

[١٢٢] ولما أنزل الله عز وجل عيوبَ المنافقين في غزوةِ تبوكَ، كان النبيُّ ﷺ يبعثُ السرايا، فكان المسلمون ينفرون إلى الغزِو ويتركون النبيَّ ﷺ وحدَه، فأنزل الله عز وجل:

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ ﴾[2] نفيٌ بمعنى النهيِ.

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ أي: فحينَ لم يكنْ نفيرٌ للكافةِ، فهلاَّ نفرَ من كلِّ فرقةٍ بعضُها، ويبقى مع النبيِّ جماعةٌ.

﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾ أي: الباقونَ مع رسولِ الله ﷺ.

﴿ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ ﴾ النافرينَ ويعلِّموهم القرآنَ.

﴿ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ وفيه دليلٌ على أن التفقُّهَ والتذكيرَ من فروضِ الكفايةِ.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ولا يعملون بخلافِه.

قال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[3].

---

(١) في «ت»: «به».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (١٥٠).

(٣) رواه البخاري (٧١)، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، =

وقال ﷺ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»(١).

وقالَ ﷺ: «فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ»(٢).

***

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

[١٢٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ وهو عامٌّ في قتالِ الأقربِ فالأقربِ.

﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شِدَّةً عليهم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالنصرِ.

***

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾ أي: المنافقينَ ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ بعضُهم لبعضٍ ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ يقيناً وتصديقاً.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ بزيادةِ العلمِ الحاصلِ.

= ومسلم (١٠٣٧)، كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة، عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ.

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ، وقال: غريب.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وقال: غريب، وابن ماجه (٢٢٢) في المقدمة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ يفرحون؛ لأنه سببٌ لزيادةِ كمالِهم.

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

[١٢٥] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ شكٌّ ونفاقٌ.

﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ كُفْراً إلى كفرِهم، فعندَ نزولِ كلِّ سورةٍ ينكرونها، فيزدادُ كفرُهم.

﴿ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ واستحكمَ ذلكَ فيهم حتى ماتوا عليه.

* * *

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾.

[١٢٦] ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ ﴾ قرأ حمزةُ، ويعقوبُ: (تَرَوْنَ) بالتاء والخطاب للمؤمنين، والباقون: بالغيب على خبر المنافقين[(١)].

﴿ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ ﴾ يُبْتَلَون ﴿ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾ بالمرضِ وغيرِه.

﴿ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ ﴾ من نفاقِهم ﴿ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ يتَّعِظون.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٤٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٣).

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها عيبُ المنافقين ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ عندَ تعريضِ النبيِّ ﷺ بنفاقهم يريدونَ الهربَ يقولونَ:

﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ من المؤمنين إنْ قمتُم من المسجد.

﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ عن مكانِهم خارجين ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الهدى، وهو يحتملُ الإخبارَ والدعاءَ، ذلك:

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسببِ أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لسوءِ فهمِهم، والفقهُ لغةً: الفهمُ، وهو إدراكُ معنى الكلامِ، وشرعاً: معرفةُ الأحكامِ الشرعيةِ المتعلقةِ بأفعالِ العبادِ.

قالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «لا تقولوا إذا صليتُم: انصرفْنا من الصلاةِ، فإنَّ قوماً انصرفوا، فصرفَ اللهُ قلوبهم، ولكنْ قولوا: قد قَضَينا الصلاةَ»(١).

* * *

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

[١٢٨] عن أُبيٍّ ـ رضي الله عنه ـ أن آخرَ ما نزل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسِكم عربيٌّ مثلُكم نسباً وصهراً وحسباً، ليس في آبائِه من لَدُنْ آدمَ سِفاحٌ، كلُّهم نكاحٌ. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٧٥).

والكسائيُّ، وخلفٌ وهشامٌ: (لَقَد جَّاءَكُمْ) بإدغامِ الدالِ في الجيم، والباقونَ: بالإظهار[1]، وتقدَّم في سورة البقرة.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ شديدٌ عليه عَنَتُكم؛ أي: مَشَقَّتكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ حتى لا يخرجَ أحدٌ منكم عن اتباعِه.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ومعنى رؤوف: مبالغٌ في الشفقةِ[2]، وتقدم اختلافُ القراءِ في رؤوف عندَ قولِه: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

***

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾.

[١٢٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمانِ.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كافيَّ وناصرِي.

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ واعتمدْتُ، فلا أرجو غيرَه.

﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ وخُصَّ العرشُ بالذكرِ إذْ هو أعظمُ المخلوقاتِ، فيدخلُ فيه ما دونَهُ إذا ذكره، وهاتان الآيتان لم توجدا حينَ جمعِ المصاحفِ إلا في حفظِ خزيمةَ بن ثابتٍ، فلمَّا جاءَ بهما، تَذَكَّرَهما كثيرٌ من الصحابةِ، وقد كانَ زيدٌ يعرفُهما، ولذلكَ قالَ: «فقدتُ آيتينِ من

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٦)، وتقدم في البقرة الآية (٩٢).

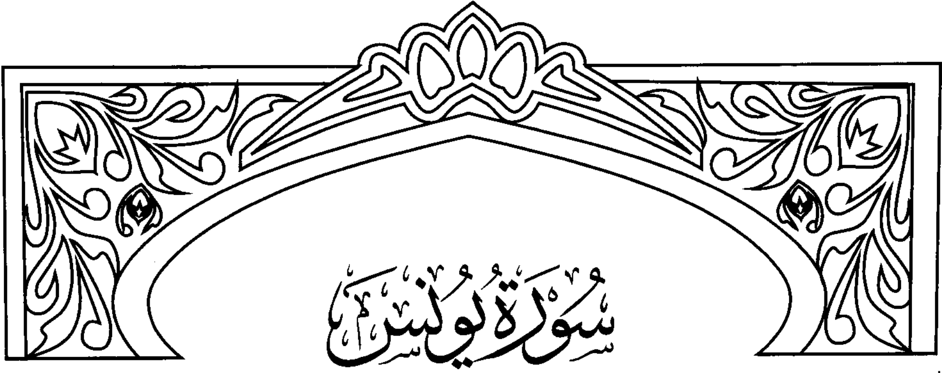
(٢) عند تفسير الآية (١١٧) من هذه السورة.

آخرِ سورة التوبةِ»[1]، ولو لم يعرفْهما، لم يدرِ هل فقدَ شيئاً أم لا، فإنما أُثبتتِ الآيتانِ بالإجماعِ لا بخزيمةَ وحدَه.

ورويَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ عاشَ بعدَ نزولها خمسةً وثلاثين يوماً، واللهُ أعلمُ.

* * *

(١) انظر القصة في: «صحيح البخاري» (٤٤٠٢)، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾.



سورة يونس

مكيةٌ إلا ثلاثَ آياتٍ من قولهِ ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾، وآيُها مئةٌ وتسعُ آياتٍ، وحروفُها سبعةُ آلافٍ وخمسُ مئةٍ وسبعةٌ وستونَ حرفاً، وكلمُها ألفٌ وثمانُ مئةٍ واثنتانِ وثلاثونَ كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾.

[١] ﴿الٓر﴾ قالَ ابنُ عباسٍ والضحَّاكُ: معناهُ: أنا اللهُ أَرى(١)، وتقدَّم الكلامُ في حروفِ الهجاءِ أولَ سورةِ البقرةِ. قرأ أبو جعفرٍ بتقطيعِ الحروفِ على أصلِه، وأمالَ الراءَ هنا وفي سورةِ هودٍ ويوسفَ والرعدِ وإبراهيمَ والحِجْرِ، أبو عمرٍو، وابن عامر، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، ورواها الأزرقُ عن ورشٍ بينَ اللفظينِ، والباقون: بالفتح(٢).

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الكتبِ المتقدمة؛ أي إنها في القرآنِ معنى ﴿ءَايَٰتُ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٧٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٤١-٢٤٢، ٢/ ٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٧).

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآنِ ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ المحكمِ بالحلالِ والحرامِ والحدودِ والأحكامِ.

***

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾.

[٢] لما بعثَ الله محمداً ﷺ، أنكر المشركون نبوتَهُ، وتعجَّبوا من ذلك، وقالوا: اللهُ أعظمُ من أن يكونَ رسولهُ بشراً، فنزل:

﴿أَكَانَ﴾[(١)] استفهامٌ إنكاريٌّ ﴿لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ العَجَبُ: حالةٌ تعتري الإنسانَ من رؤيةِ شيءٍ على خلافِ العادة، و(عجباً) خبرُ كانَ، واسمها:

﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ المعنى: أَعَجِبَ أهلُ مكةَ من إيحائِنا؟

﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أَعْلِمْهم مع التخويفِ.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ عملٌ صالحٌ قدَّموه.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وأُضيفَ القدمُ إلى كذا في الأصل، والصواب: عملاً صالحاً الصدقِ وهو نعتُه؛ كقولِهم: مسجدُ الجامعِ، و(حب الحَصِيدِ)، قالَ أبو عبيدةَ: كل سابقٍ من خيرٍ أو شرٍّ فهو عندَ العربِ (قَدَمٌ) يقال: لفلانٍ قدمٌ في الإسلامِ[(٢)].

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ،

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٠).

والكسائيُّ، وخلفٌ: (لَسَاحِرٌ) بألفٍ بعد السين، وكسرِ الحاء، والمراد: النبيُّ ﷺ، وقرأ الباقون: بكسر السين وإسكانِ الحاء من غيرِ ألف، والمراد: القرآن(١).

***

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ التي هي أصولُ الممكنات.

﴿ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ بلا كيفٍ، تقدَّمَ الكلامُ فيه في سورةِ الأعرافِ.

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ يقضي أمرَ الخلائق برزقِهم في الدنيا، وحسابِهم في الأخرى.

﴿ مَا مِن شَفِيعٍ ﴾ يشفعُ لأحدٍ.

﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ ردَّ على من زعمَ أن الآلهةَ تشفعُ لهم عندَ اللهِ، وإثباتُ الشفاعةِ لمن أذنَ له.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الموصوفُ بتلك الصفاتِ ﴿ رَبُّكُمْ ﴾ لا شريكَ له.

﴿ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ وَحِّدُوه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٨).

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ تتَّعِظون. قرأ حمزةُ، والكسائِّي، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال حيثُ وقعَ، والباقون بالتشديدِ[1].

***

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ لا إلى غيره ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴾ صدقاً، لا خلفَ فيه، نُصِبَ على المصدر؛ أي: وَعْداً حقاً.

﴿ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ﴾ أي: يخلقُه ابتداءً.

﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ مَيْتاً ثم حَيّاً للجزاء. قرأ أبو جعفرٍ: (أَنَّه) بالفتح على معنى لأنه، والباقون: بكسر الألفِ على الاستئناف[2].

﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدلِ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ ماءٍ حارٍّ قد بلغَ نهايةَ الحرِّ.

﴿ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ بسببِ كفرِهم.

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢).

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ بالنهارِ، وقرأ قنبلٌ عن ابنِ كثيرٍ (ضِئَاءً) بهمزتين بينَهما ألفٌ، والباقون بياء مفتوحة بعدَ الضاد(١).

﴿ وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ بالليل؛ أي: خلق الشمسَ ذاتَ ضياءٍ، والقمرَ ذا نورٍ، والضياءُ أقوى من النورِ.

﴿ وَقَدَّرَهُۥ ﴾ أي: القمرَ، قدَّرَ سيرَه.

﴿ مَنَازِلَ ﴾ لأن بالقمرِ يُعرف انقضاءُ الشهورِ والسنين، لا بالشمس، ومنازلُ القمرِ ثمانيةٌ وعشرونَ منزلاً، وأسماؤها: الشُّرُطَيْن، والبُطَين، والثُّرَيَّا، والدَّبَران، والهَقْعَة، والهَنْعَة، والذِّراع، والنَّثْرَة، والطَّرْف، والجَبْهَة، والزَّبْرَة، والصَّرْفة، والعَوَّاء، والسِّماك، والغَفْر، والزَّباني، والإكليل، والقلب، والشَّولة، والنَّعائم، والبَلْدَة، وسعدُ الذَّابح، وسعدُ بَلَع، وسعدُ السعود، وسعدُ الأخبية، وفرعُ الدلو المقدَّم، وفرع الدلو المؤخَّر، وبطنُ الحوتِ ويسمَّى الرشاء، وهذه المنازلُ مقسومةٌ على البروجِ، وهي اثنا عشرَ برجاً: الحملُ، والثورُ، والجوزاءُ، والسرطانُ، والأسدُ، والسنبلةُ، والميزانُ، والعقربُ، والقوسُ، والجديُ، والدلوُ،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٩).

ويسمى: الدالي، والحوتُ فكلُّ برجٍ منزلانِ وثلثٌ، ينزلُ القمرُ كلَّ ليلةٍ منزِلاً منها، ويستترُ ليلتين إنْ كانَ الشهرُ ثلاثين، وإن كان تسعاً وعشرين، فليلةً واحدةً، فيكونُ انقضاءُ السنةِ مع انقضائِها.

﴿لِتَعْلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ حسابَ الأشهرِ والأيامِ.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ المذكورَ.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: بالحكمةِ البالغةِ، ولم يخلقْه عبثاً.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنهم المنتفعون بالتأمل فيها. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمروٍ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ (يُفَصِّلُ) بالياء؛ لقولهِ (ما خَلَقَ الله)، وقرأ الباقون: بالنون على التعظيم[1].

***

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)﴾.

[٦] ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من أنواع الكائنات ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ لأن المتقينَ هم المنتفعونَ بالتفكرِ في خلقِ الله تعالى.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٠).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ لا يتوقعونه لإنكارهم البعثَ .

﴿ وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فاختاروها .

﴿ وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا ﴾ سكنوا إليها سكونَ مَنْ لا يُزعَجُ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا ﴾ أدِلّتِنا ﴿ غَٰفِلُونَ ﴾ لا يتفكرون فيها .

***

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ من الكفرِ والتكذيبِ .

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ ﴾ أي : يسدِّدُهم بسبب إيمانِهم إلى سلوكِ سبيلٍ يؤدِّي إلى الجنة .

﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ أي : بينَ أيديهم ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ .

***

﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا ﴾ أي : دعاؤهم ؛ لأن (اللَّهُمَّ) دعاءٌ .

﴿ سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ عمّا لا يليق بعظمتِك وجلالِك .

﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ أي: يُحَيِّي بعضهم بعضاً بالسلام.

﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ بعدَ التسبيحِ.

﴿ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يريدُ: يفتحون كلامهم بالتسبيح، ويختمونه بالتحميد.

* * *

﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ولما استعجلَ المشركون العذابَ، نزل: ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم ﴾ أي: تعجيلاً مثلَ استعجالِهم.

﴿ بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (لَقَضَى) بفتح القاف والضاد وقلب الياء ألفاً (أَجَلَهُمْ) نصب، المعنى: لأماتهم الله، وقرأ الباقون: بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء (أَجَلُهُمْ) بالرفع مجهولاً(١)؛ أي: وعجَّلنا لهم ما دَعَوا به من الشر كما نعجِّلُ لهم ما طلبوا من الخير، لهلكوا، تلخيصُه: لا يفعلُ إلا ما يريد.

﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ لا يخافون البعث.

﴿ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ إمهالاً لهم واستِدْراجاً.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٣-٣٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦١).

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ ﴾ الشدَّةُ ﴿ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾ أي: على جنبه.

﴿ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ المعنى: دعانا في جميعِ حالاتِه، لأن الإنسانَ لا بدَّ لهُ من اضطجاعٍ أو قيامٍ أو قعودٍ.

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا ﴾ دفعْنا ﴿ عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ ﴾ مَضَى ونسيَ ما كانَ فيه من البلاءِ.

﴿ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ واستمرَّ على طريقتِه الأولى قبلَ أن يمسَّه الضرُّ.

﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من الدعاءِ عندَ البلاء، وتركِ الشكرِ عندَ الرخاء.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يا أهلَ مكةَ.

﴿ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ﴾ بالتكذيبِ.

﴿ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالشواهدِ الدالَّةِ على صدقِهم. قرأ أبو عمرٍو: (رُسْلُهُمْ) بإسكان السين، وكذلك (رُسْلُنا) حيثُ وقعَ، والباقون: بضم السين(١).

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ عطفٌ على (ظَلَمُوا) ﴿ كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أهلكناهم بكفرهم ﴿ نَجْزِى ﴾ نُهْلِكُ ﴿ ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الكافرينَ بتكذيبهم محمداً ﷺ.

* * *

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ ﴾ أي: خلفاً ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خطابٌ للذين بُعث إليهم ﷺ ﴿ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعدِ المهلَكينَ.

﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فنعامِلَكم على مقتضى أعمالِكم.

* * *

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ولما كانَ القرآنُ ينزلُ بذمِّ الأصنامِ وعابديها، قالوا للنبيِّ ﷺ: إن كنتَ تريدُ أن نؤمنَ بكَ، فأتِ بقرآنٍ غير هذا لا تُذَمُّ فيه آلهتُنا، فنزل: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾(١) يعني: المشركين.

= (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٢).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥)

﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ ﴾ بكتابٍ آخرَ ليسَ فيه ما نكرهُ من معايبِ آلهتنا . قرأ ابن كثيرٍ (بِقُرَانٍ) و(القُرَان) كيفَ أتى بالنَّقل[1] .

﴿ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ غيِّرْهُ فاجعلَ مكانَ آيةِ رحمةٍ آيةَ عذابٍ ، وبالعكس .

﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمدُ : ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ ﴾ ما ينبغي لي ولا يجوزُ .

﴿ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ﴾ أي : من عندِها .

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ فيما آمُركم به ، وأَنهاكُم عنه .

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴾ بالتبديلِ ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هو يومُ القيامة . قرأ الكوفيونَ ، وابنُ عامر ، ويعقوبُ : (لي أَن) (نَفْسِي إِنْ) (إِنيِّ أَخَافُ) بإسكانِ الياءِ في الثلاثةِ ، ووافقَهم ابنُ كثيرٍ في (نَفْسِي) ، والباقونَ ، وهم نافعٌ ، وأبو جعفرٍ ، وأبو عمروٍ : بالفتح ، وافقَهم ابنُ كثيرٍ في (لِيَ) و(إِنيِّ)[2] .

* * *

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني : لو شاءَ ، ما أنزلَ القرآنَ عليَّ .

---

(١) تقدمت هذه القراءة عند تفسير الآية (١٨٥) من سورة البقرة .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٣٠) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٢٣ـ١٢٤) ، و«الكشف» لمكي (١/ ٥٢٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٢) .

﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ بروايةِ قنبلٍ: (ولأَدْرَاكُمْ) بالقصرِ على الإيجاب؛ أي: ولأَعْلَمَكم به على لسان غيري، ولكنَّه مَنَّ عليَّ بالرسالة، وقرأ الباقون: بإثباتِ الألفِ على أنها (لا) النافية[1]؛ أي: ولا أعلمَكم به على لساني، ولترَكَكم على كفْركم، المعنى: إن الأمرَ بمشيئةِ الله لا بمشيئتي حتى أجعله على نحوِ ما تشتهونه، وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وورشٌ عن نافعٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (أَدْرَاكُمْ) (أَدْرَاكَ) بالإمالة حيثُ وقعَ، واختلفَ عن ابنِ ذكوانَ راوي ابنِ عامرٍ.

﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا﴾ ظرفٌ؛ أي: مقدارَ عمر، وهو أربعونَ سنةً.

﴿مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ من قبلِ نزولِ القرآن، لا أتلوه، ولا أعلمُه.

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أنه ليسَ من قِبَلي.

ولبثَ النبيُّ ﷺ فيهم قبلَ الوحي أربعين سنةً، ثم أُوحِيَ إليه، فأقام بعدَ الوحيِ ثلاثَ عشرةَ سنةً، ثم هاجرَ فأقامَ بالمدينة عشرَ سنينَ، وتُوفِّيَ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنةً، وكانتْ وفاتُه يومَ الاثنينِ، وفُرِغَ من جهازِه يومَ الثلاثاء، ودُفن في ليلةِ الأربعاءِ في شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ إحدى عشرةَ من الهجرةِ الشريفةِ، وكان مرضُه ثلاثَ عشرةَ ليلةً ﷺ.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٤). والذي عند البغوي: «ولأدراكم» برواية البزي عن ابن كثير.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فزعمَ أنَّ له شريكاً أَو ولداً.

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ﴾ بنبوةِ محمدٍ ﷺ.

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ لا يَنْجو المشركون.

* * *

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ﴾ إنْ عَصَوه.

﴿ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ إن عَبَدوه؛ يعني: الأصنامَ؛ فإنها جمادٌ لا تقدرُ على نفعٍ ولا ضرٍّ.

﴿ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ الأوثانُ ﴿ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ تشفعُ لنا فيما يهمُّنا من أمورِ الدنيا والآخرةِ إن يكنْ بعثٌ.

﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ ﴾ أتخبرونه ﴿ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ أي: أتخبرونَ الله أنَّ له شريكاً أو عندَهُ شفيعاً بغيرِ إذنِه، وفيه تقريعٌ وتَهَكُّم بهم، والله ُلا يعلمُ لنفسِه شريكاً ﴿ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ثم نَزَّهَ نفسَه وقَدَّسَها عن الشركِ فقال:

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تُشْرِكُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[1].

***

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على دينِ الإسلامِ.

﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ تفرَّقوا أدياناً مختلفةً.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ أنه لا يقضي بينَهم دونَ القيامةِ.

﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ عاجلاً ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بإهلاكِ المبطِلِ وإبقاء المحِقِّ.

***

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني: أهلَ مكةَ ﴿لَوْلَآ﴾ هلاَّ.

﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ من الآيات التي نقترحُها.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ هو المحيطُ بعلمِه.

﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ نزولَها ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لِما يفعلُ اللهُ بِكُم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٥).

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ ﴾ كفارَ مكةَ ﴿ رَحْمَةً ﴾ راحةً .

﴿ مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ ﴾ شدَّةٍ .

﴿ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ﴾ بالطعنِ عليها ، والاحتيالِ في دفعها . قرأ أبو عمرٍو : (مِنْ بَعْد ضَّرَّاءَ) بإدغام الدالِ في الضادِ[1] .

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ أي : مجازاةً ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا ﴾ الحفظةَ .

﴿ يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ قرأ روحٌ عن يعقوبَ : (يَمْكُرُونَ) بالغيب ، والباقون : بالخطاب[2] .

* * *

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ ﴾ يحمِلُكم ﴿ فِى ٱلْبَرِّ ﴾ على الظهورِ ﴿ وَٱلْبَحْرِ ﴾ على السفنِ . قرأ أبو جعفرٍ ، وابنُ عامرٍ : (يَنْشُرُكُمْ) بفتح الياء ونون ساكنة

---

(١) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٢٤٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٦) .

(٢) انظر : «تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٦) .

بعدَها وشين معجمة مضمومة، من النَّشْرِ، وكذلك هي في مصاحفِ أهلِ الشامِ وغيرِها، وقرأ الباقون: بضمِّ الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياءٌ مكسورة مشدَّدة من التسيير، وكذلك هي في مصاحفهم(١).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ السفنِ، الواحدُ والجمعُ سواءٌ ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ أي: السفنُ بالناس ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ لينةِ الهبوبِ ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ بتلكَ الريحِ.

﴿جَآءَتۡهَا﴾ أي: السفنَ ﴿رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ شديدةُ الهبوبِ.

﴿وَجَآءَهُمُ﴾ يعني: ركبانَ السفينةِ ﴿ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ وهو حركةُ الماءِ واختلاطُه.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ أُهْلِكوا، جعلَ إحاطةَ العدوِّ بالحيِّ مثلاً في الهلاكِ.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ دونَ أوثانهم يقولون: ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الشدَّةِ ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لكَ بالإيمان.

***

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ﴾ إجابةً لدعائِهم ﴿إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ﴾ يُفْسِدون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦-٦٧).

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ مبطِلين فيه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ أي: وَبالُه راجعٌ عليكم، ثم ابتدأ فقال:

﴿ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قراءة العامة: (مَتَاعُ) بالرفع خبرُ ابتداءٍ مضمرٍ، أي: هذا متاعٌ، المعنى: إنما بغيُكم على أمثالِكم، منفعةُ الحياةِ الدنيا لا بقاءَ لها، وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ (مَتَاعَ) بالنصب[1]؛ أي: تتمتعون متاعَ الحياةِ الدنيا في فنائِها وزوالِها.

﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالجزاءِ عليه.

***

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ في زوالِها.

﴿ كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: التفَّ واشتبكَ بسببه حتَّى خالطَ بعضُه بعضاً؛ أي: نبتَ بالماءِ من كلِّ لون.

﴿ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ ﴾ من الحبوبِ والثمارِ ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ من الحشيشِ.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ زينتَها بالنباتِ ﴿ وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ بالزهرِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٧).

﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾ متمكِّنونَ من منفعتِها ﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا ﴾ قضاؤنا ﴿ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا ﴾ شَبيهاً بما يُحْصَدُ من الزرعِ.

﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ أي: كأنْ لم تعمرْ بالزمانِ الماضي، والمغاني: المنازلُ.

﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فإنهم هم المنتفعون بها.

* * *

﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ الجنةِ لسلامتِهم فيها.

﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ هو الإسلامُ، وتقدَّم اختلافُ القراء في حكم الهمزتين من كلمتين في قوله: (يَشَاءُ إِلَىَ صراطٍ مستقيمٍ) في سورة البقرة [الآية: ١١٥].

* * *

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ﴾ العملَ في الدنيا ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنةُ.

﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ النظرُ إلى وجهِ الله الكريمِ.

﴿ وَلَا يَرْهَقُ ﴾ يغشى ﴿ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾ غبارٌ، جمعُ قَتَرَةٍ ﴿ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ هوانٌ.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ دائمونَ.

* * *

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) ﴾.

[٢٧] ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ مبتدأ، خبرُه: ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾ أي: لهم مثلُها.

﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ مانعٍ.

﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ ﴾ أُلْبِسَتْ.

﴿ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ حالٌ، العاملُ فيها (أُغشيت). قرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (قِطْعاً) بإسكان الطاء؛ أي: جزءاً واحداً، والباقون: بالفتح، جمع قِطْعة[1] ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

* * *

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) ﴾.

[٢٨] ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ يعني: الفريقين ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ ﴾ أي: اثبتوا مكانكم ﴿ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ﴾ أي: آلهتكم، لا تبرحوا حتى نرى ما يُفعل بكم.

﴿ فَزَيَّلْنَا ﴾ فرَّقنا ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ بعدَ اجتماعِهم في الموقفِ، وقطعنا ما كانَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٠-٧١).

بينهم من التواصُلِ في الدنيا، وذلك حينَ تبرَّأ كلُّ معبودٍ من دون الله ممن عبدَه.

﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾ يعني: الأصنامَ.

﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ بطِلبتنا، فيقولون: بلى، كنا نعبدُكم، فتقولُ الأصنامُ:

* * *

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ﴾ إيانا.

﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ ما كنا نسمعُ ولا نبصرُ ولا نعقلُ.

* * *

﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلكَ اليومِ ﴿تَبْلُوا۟﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (تتْلُو) بتاءين، من التلاوة؛ أي: تقرأُ كلُّ نفسٍ صَحيفتَها، وقرأ الباقون: بالتاء والباء[1]، من البلوى؛ أي: تختبرُ، ومعناه: ظهورُ أثرِ العملِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٢).

﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ قدَّمَتْ من العمل.

﴿ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلى حكمِه، فينفردُ فيهم بالحكمِ.

﴿ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ ربِّهم حقيقةً، والمتولِّي جزاءَهم.

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ ضاعَ عنهم ما كانوا يدَّعون أنهم شركاءُ لله.

* * *

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) ﴾.

[٣١] ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ بالمطرِ ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بالنباتِ.

﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ من يستطيعُ خَلْقَها.

﴿ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ الإنسانَ من النطفةِ، والمؤمنَ من الكافرِ.

﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ عكسُه. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (الْمَيِّتَ) بتشديد الياء، والباقون: بالتخفيف[1].

﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ يقدِّرُه ويقضيه.

﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ هو الذي يفعلُ هذهِ الأشياءَ إذ لا يقدرون على العنادِ في ذلك.

﴿ فَقُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ عقابَه فتسلمونَ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٣).

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ فَذَٰلِكُمُ ﴾ أي: الفعَّالُ لهذهِ الأشياءِ.

﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ الذي لا ريبَ في صِحَّته.

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ لا واسطةَ بينَهما.

﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ عن الحقِّ إلى الباطلِ.

* * *

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ ذلك الحقِّ حقَّتْ.

﴿ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي: ثَبَتَتْ ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ ﴾ تمرَّدوا في كفرِهم.

﴿ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: حقَّ عليهم انتفاءُ الإيمان. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (كَلِمَاتُ) بالألف على الجمع، والباقون: بغير ألفٍ على التوحيد(١).

* * *

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ أي: معبودِيكم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٣-٧٥).

﴿مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ يُنْشِئُهُ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ من بعدِ الموتِ، فإن أجابوك، وإلا ﴿قُلِ﴾ أنت: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ تُصْرَفون عن الهدى.

* * *

﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٥﴾.

[٣٥] ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ﴾ يرشدُ ﴿إِلَى ٱلۡحَقِّۚ﴾، فإذا قالوا: لا، ولا بدَّ لهم من ذلك.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ﴾ يقالُ: هديتُه للحقِّ وإلى الحقِّ، واستُعمل هنا اللغتان.

﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ أي: يهتدي. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وأبو جعفرٍ كذلك، إلا أنه بإسكانِ الهاء، من اهتدى يهتدي، أدغموا التاء في الدال بعدَ نقلِ حركتِها مفتوحة إلى الهاء. **وقرأ** أبو عمرٍو، وقالونُ عن نافعٍ: باختلاسِ فتحة الهاء تخفيفاً، والتعليلُ فيه كالذي قبله، **وقرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال، من هدى يهدي غيرَه، **وقرأ** يعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، مبالغة؛ لأنه أدغم التاء في الدال، ولم يُلْقِ حركتَها على الهاء، فاجتمع ساكنان، فكسرت الهاء لالتقاء الساكنين، وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: بكسر الياء إتباعاً للهاء مع التشديد، والتعليلُ فيه كالذي قبله، ومعنى القراءات كلِّها واحدٌ.

﴿ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ ﴾ المعنى: اللهُ الذي يهدي إلى الحقِّ أحقُّ بالاتباع، أم الصنم الذي لا يهتدي بنفسِه إلى مكانٍ ينتقل إليه (إلاَّ أَنْ يُهْدَى)؛ أي: يُنقل؟! ﴿ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾ بما يقتضي صريحُ العقلِ بطلانَه.

* * *

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ ﴾ فيما يعتقدون ﴿ إِلَّا ظَنًّاۚ ﴾ أي: تقليدَ آبائهم، والمرادُ بالأكثر: جميعُ من يقولُ ذلك.

﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ ﴾ أي: لا يعملُ عملَه، المعنى: لا يقوم الظنُّ مقامَ التحقيق ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾ وعيدٌ على اتباعِهم للظنِّ.

* * *

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: وما كانَ هذا القرآنُ افتراءً من الخلق.

﴿ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ أي: قبلَه من الكتبِ المتقدمةِ.

﴿ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي: تبيينَ أحكامِه.

﴿ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ لا شكَّ في نزولِه من قِبَلِ اللهِ تعالى.

* * *

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ أي: بل أيقولونَ اختلقَ محمدٌ ﷺ القرآنَ، ومعنى الهمزةِ فيه الإنكارُ.

﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ شبهِ القرآنِ في الفصاحةِ والإعجازِ على وجهِ الافتراء؛ لأنكم عربٌ مثلي ﴿ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾ من(1) تعبدون.

﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ليعينوكم على ذلكَ ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنَّ محمداً اختلقَهُ.

* * *

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ثم بيَّنَ عجزَهم بقوله: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ أي: سارعوا إلى تكذيبِ القرآنِ قبلَ أن يتدبَّروه ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ أي: ولم يأتهم حقيقةُ عاقبةِ التكذيبِ من نزولِ العذابِ بهم.

﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من كفارِ الأممِ الخاليةِ.

﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: آخرُ أمرِهم بالهلاكُ.

وفي معنى قوله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ من الأمثالِ الدائرةِ على ألسنِ الناس: مَنْ جَهِلَ شيئاً عاداهُ.

---

(1) في «ت»: «ممن».

﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَمِنْهُم ﴾ أي: المكذّبين ﴿ مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ سيؤمنُ بالقرآن.

﴿ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ أبداً.

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: من يصرُّ على الكفرِ، وهو تهديدٌ له.

* * *

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ ﴾ يا محمدُ ﴿ فَقُل ﴾ تحذيراً: ﴿ لِّي عَمَلِي ﴾ أي: ثوابُ عملي في التبليغ والإنذارِ والطاعةِ لله تعالى.

﴿ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ ﴾ أي: جزاؤه من الشِّرْكِ.

﴿ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: لا يؤاخَذُ أحدٌ بذنب أحد، فمن حملَها على ظاهرِها، نسخَها بآيةِ السيفِ، ومن تأوَّلها بالجزاء، فثابتة؛ لأن الجزاءَ ثَمَّ يكونُ.

* * *

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ ﴾ بظواهرِهم، وقلوبُهم لا تعي شيئاً مما تقولُه وتتلوهُ من القرآن، ولهذا قالَ:

﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ﴾ يريدُ: سمعَ القلبِ.

﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ظاهرُه الاستفهامُ، ومعناه النفيُ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ﴾ تعجُّباً منكَ بأبصارِهم دونَ بصائرِهم، قيل: نزلت في المستهزئين.

﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْىَ﴾ أي: عَمى القلب ﴿وَلَوْ كَانُواْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قرنَ عدمَ العقلِ بعدمِ السمعِ، وبعدمِ البصرِ عدمَ الإدراكِ تفضيلاً لحكمِ الباطنِ على الظاهرِ.

* * *

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ لأنه في جميعِ أفعاله متفضلٌ وعادلٌ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بمخالفةِ أمرِ خالقِهم. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَكِنِ) مخفَّفاً (الناسُ) رفعاً، والباقون: بالتشديدِ والنصبِ[١].

* * *

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكرْ يومَ ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ وعيدٌ بالحشرِ وخزيِهم. قرأ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٦-٧٧).

حفصٌ عن عاصمٍ: (يَحْشُرُهُمْ) بالياء، والباقون: بالنون[1].

﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ يستقصرون مدةَ لبثِهم في قبورِهم.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يعرفُ بعضُهم بعضاً عندَ خروجِهم من القبورِ.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ أي: بالعرضِ على اللهِ.

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ في علمِ اللهِ.

* * *

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (٤٦)﴾.

[٤٦] ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يا محمدُ ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من العذابِ.

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ تعذيبِهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرةِ.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجزيهم به، و(ثم) بمعنى الواو، والمعنى: إن لم ترَ في أعدائك ما يسرُّكَ هنا، فستراه ثَمَّ.

* * *

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧)﴾.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ منَ الأممِ الماضيةِ ﴿رَّسُولٌ﴾ يُبعثُ إليهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٧).

﴿ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ ﴾ فكذَّبوه ﴿ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدلِ.

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ لا يُعذبون بغيرِ حُجَّةٍ تلزمُهم.

***

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعني: المشركينَ استهزاءً: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ بقيامِ الساعةِ.

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ خطابٌ منهم للنبيِّ ﷺ والمؤمنينَ.

***

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ﴾ لا أقدرُ لها على شيءٍ.

﴿ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ أي: دفعَ ضرٍّ، ولا جلبَ نفعٍ ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أنْ أملكَهُ.

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ مدةٌ معلومةٌ ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ وقتُ فناءِ أعمارِهم.

﴿ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ فلا تستعجلوا، فَسَيحينُ وقتُكم، واختلافُ القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَجَلُهُمْ) كاختلافِهم فيهما من ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ في سورة النساء [الآية: ٥].

***

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٠﴾.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ حينَ اشتغالِكم بطلبِ معاشِكم.

﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ استفهامٌ معناهُ التهويلُ[1]؛ أي: ما أعظمَ ما تستعجلونَ بهِ! وستندمون على الاستعجالِ وتعرفونَ خطأَهُ.

***

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝٥١﴾.

[٥١] ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ يعني: إن أتاكُم عذابُه ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ أي: باللهِ حينَ لا ينفعُكم الإيمانُ ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ تؤمنون؟ استفهامُ توبيخٍ.

﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاءً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (آلاَنَ) بفتحِ اللامِ من غيرِ همزٍ، والباقونَ: بإسكانِ اللامِ وهمزةٍ بعدَها، وأجمعوا على مدِّ (آلان) لأنها همزةُ استفهامٍ دخلت على همزةِ الوصلِ لتفرِّقَ بينَ الاستفهامِ والخبرِ، وأجمعوا على عدمِ تحقيقِها لكونِها همزةَ وصلٍ، وهمزةُ الوصلِ لا تثبتُ إلا ابتداءً، وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كيفيته، فقال كثيرٌ منهم: تُبدل ألفاً خالصةً، وقال آخرون: تُسَهَّلَ بينَ بينَ، وكذا الحكمُ في (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ) وفي: (قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ)[2].

---

(١) «التهويل» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر»=

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بالشركِ توبيخاً لهم: ﴿ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ ﴾ المؤلمَ على الدَّوامِ ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ ﴾ يستخبرونَكَ.

﴿ أَحَقٌّ هُوَ ﴾ العذابُ أو البعثُ، استفهام استهزاءٍ.

﴿ قُلْ إِى ﴾ أي: نعم ﴿ وَرَبِّىٓ ﴾ توكيدٌ للقسم. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (وَرَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

﴿ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ لا شكَّ فيه ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتينَ من العذابِ.

* * *

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴾ أشركَتْ.

= للدمياطي (ص: ٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٨).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٠).

﴿ مَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ جميعاً.

﴿ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦٓ ﴾ بَذَلَتْهُ في مقابلةِ نَجاتها.

﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ أَخْفَوها عن أتباعِهم خوفاً من ملامَتِهم، وقيل: معناه: أظهروها؛ لأنه ليسَ بيومِ تصبُّرٍ.

﴿ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ وهذا: قبلَ الإحراقِ بالنار، فإذا وقعوا فيها، ألهتهم عن التَّصَنُّعِ.

﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾ أي: بين الرؤساءِ والسِّفْلَةِ ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدلِ.

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ليسَ تكريراً؛ لأن الأولَ قضاءٌ بينَ الأنبياءِ ومكذِّبيهم، والثاني مجازاةُ المشركينَ على الشركِ.

***

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ فلا مانعَ يمنعُه من إنفاذِ ما وعدَهُ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلكَ.

***

﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قرأ يعقوبُ: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضمِّ التاءِ وفتحِ الجيم(١).

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٠).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ كتابٌ فيهِ بيانُ ما يجبُ لكم وعليكم.

﴿ وَشِفَآءٌ ﴾ دواءٌ ﴿ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ من العقائدِ الفاسدةِ ﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلالةِ ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ خصَّهم؛ لأنهم المنتفعونَ بالإيمان.

***

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ القرآنِ ﴿ وَبِرَحْمَتِهِۦ ﴾ الإسلامِ ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾. قرأ رويسٌ عن يعقوبَ: (فَلْتَفْرَحُوا) بالخطابِ للمؤمنين، والباقون: بالغيب؛ أي: ليفرحِ المؤمنون[١].

﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ من حُطامِ الدنيا. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (تَجْمَعُونَ) بالخطاب على معنى: فلتفرحوا أيها المؤمنون، فهو خيرٌ مما تجمعون أيها المخاطَبون، وقرأ الباقون: بالغيب[٢]؛ أي: خير مما يجمعُه الكفار، وقيل: الخطابُ في (تجمعونَ) للكافرين.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨١-٨٢).

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لكفارِ مكّةَ: ﴿ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ أي: خلقَ من زروعٍ وضروعٍ.

﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾ هو ما حرَّموا من الأنعامِ؛ كالبَحيرةِ، والسائبةِ، والوصيلةِ، والحامِ.

﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ ﴾ في هذا التحريمِ والتحليلِ؟ وتقدَّمَ قريباً الكلامُ في همزةِ الاستفهامِ في قولِه تعالى: (آللهُ أَذِنَ لَكُمْ).

﴿ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ تتكذبون بنسبةِ ذلكَ إليه.

* * *

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ أي: وأيُّ شيءٍ ظَنُّهم يُصْنَعُ بهم يومَ القيامةِ؟ أيحسبون ألاَّ يجاوَزوا عليهِ؟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بإمهالِهم وقبولِ توبتِهم.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ أَنْعُمَهُ عليهم.

* * *

﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمدُ ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أمرٍ، وأصلُه الهمزُ بمعنى القَصْدِ، شَأَنْتُ شَأْنَهُ: قَصَدْتُهُ.

﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾ من اللهِ ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ نزلَ، ثم خاطبَه وأُمَّتَهُ فقال:

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ وأُضْمِرَ ﷺ قبلَ الذكر تفضيلاً له، ثم جُمع معَ أمته تفضيلاً لهم.

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ مُطَّلعينَ.

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: تخوضون في العملِ.

﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ قرأ الكسائيُّ: بكسر الزاي، والباقون: بالضمِّ[1]، ومعناهما: يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ﴾ أي: وزنِ ثقلِ ﴿ذَرَّةٍ﴾ وهي النملةُ الحمراءُ الصغيرةُ.

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في الوجودِ، وتقديمُ الأرضِ؛ لأنَّ الكلامَ في حالِ أهلِها.

﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي: من الذرَّةِ ﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ قرأ يعقوبُ، وحمزةُ، وخلفٌ: (وَلاَ أَصْغَرُ) (وَلاَ أَكْبَرُ) برفعِ الراءِ فيهما عطفاً على موضعِ (مِنْ) ومعمولِها؛ لأنَّ موضعَه رفعٌ بـ(يعزبُ)، وقرأ الباقون: بالنصبِ عطفاً على الذَّرةِ في الكسرِ، وجعلِ الفتحِ بدلَ الكسرِ لامتناعِ الصرفِ[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢-١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٢-٨٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ هو اللوحُ المحفوظ.

* * *

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ هم الذين والَوْهُ بالطاعةِ والعبادةِ، وتَوَلَّاهم بالكرامةِ.

﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ في الآخرةِ، وإلاَّ فهم أشدُّ خوفاً وحزناً في الدنيا من غيرِهم.

ورُويَ عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ: مَنْ أولياءُ الله؟ فقال: «الَّذِينَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ذَكَرْتَ اللهَ»[1].

قالَ ابنُ عطيةَ رحمه الله: وهذا وصفٌ لازمٌ للمتقين؛ لأنهم يَخْشَعونَ وَيَتَخَشَّعونَ[2].

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ هذهِ صفةُ أولياءِ الله تعالى.

* * *

= (٢/ ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٣).

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٣٥)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٠/ ١٠٨)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ١٢٨).

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ هي الرؤيا الصالحةُ يراها الإنسانُ، أو تُرى له ﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ الجنةِ والرضوانِ.

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ لا خُلْفَ لمواعدِه، والتبديلُ: تغييرُ الشيءِ عن حالِه ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التبشيرُ ﴿ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

* * *

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ثم خاطبَ نبيَّه ﷺ فقالَ: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ﴾ يا محمدُ.

﴿ قَوْلُهُمْ ﴾ تكذيبُهم؛ يعني: المشركين، تم الكلامُ هاهنا، ثم ابتدأ فقال:

﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ ﴾ القدرةَ ﴿ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ يُعِزُّ مَنْ يشاءُ، فهو يقهرُهم وينصرُكَ عليهم.

﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالِهم ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأعمالِهم.

* * *

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ من الملائكة

والثَّقَلين، يحكمُ بما[1] يريدُ، ويفعلُ ما يشاءُ سبحانَه.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾ أي: ما يتبعون شركاءَ على الحقيقةِ، فإنَّ شركةَ اللهِ في الربوبيةِ مُحالٌ.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: ظنَّهم أنَّ آلهتَهم تُقرِّبُهم إلى الله تعالى. واختلافُ القراء في الهمزتينِ من (شُرَكَاءَ إِنْ) كاختلافِهم فيهما من (شُهَدَاءَ إِذْ) في سورةِ البقرةِ [الآية: ١٣٣]. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذِبون.

***

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

[٦٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ أي: مع أزواجِكم وأولادِكم لزوالِ التعبِ، والسكونُ: الهُدوُّ عن اضطرابٍ.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: يُبْصَرُ فيه مطالبُ الأرزاقِ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تدبُّرٍ واعتبارٍ.

***

﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿قَالُوا۟﴾ يعني: المشركينَ ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ هو قولُهم: الملائكةُ بناتُ الله.

---

(١) في «ت» و«ن»: «ما».

﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ ﴾ تنزيهٌ عن الولدِ ﴿ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ ﴾ عن خَلْقِه.

﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ عَبيـداً ومُلْكـاً ﴿ إِنۡ ﴾ أي: ما ﴿ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ ﴾ حجةٍ ﴿ بِهَٰذَآۚ ﴾ القولِ، ثم نفى عنهم الحجةَ بقولِه:

﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ توبيخٌ على اختلاقِهم، وفيه دليلٌ على أنَّ كلَّ قولٍ لا برهانَ عليه فهو جهالةٌ.

* * *

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩ ﴾.

[٦٩] ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ﴾ باتخاذِ الولدِ وإضافةِ الشريكِ إليه.

﴿ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾ لا يفوزونَ، وتمَّ الكلامُ.

* * *

﴿ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠ ﴾.

[٧٠] ﴿ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: افتراؤهم متاعٌ في الدنيا؛ أي: بُلْغَةٌ يسيرةٌ بنيلِ رئاستِهم ولذتِهم، ثم تزولُ.

﴿ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ﴾ بالموتِ.

﴿ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾ بسببِ كفرهم.

* * *

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ ﴾ .

[٧١] ﴿ ۞ وَٱتۡلُ ﴾ أي: اقرأ يا محمدُ ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ على أهلِ مكةَ ﴿ نَبَأَ ﴾ خبرَ ﴿ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ ﴾ وهم ولدُ قابيلَ بنِ آدمَ.

﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ ﴾ عَظُمَ وشَقَّ ﴿ عَلَيۡكُم مَّقَامِي ﴾ طولُ مَكْثي بينكم.

﴿ وَتَذۡكِيرِي ﴾ تحذيري ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ بأدلَّتِهِ، فعزمْتم على قتلي وطَرْدي.

﴿ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ وَثِقتُ به ﴿ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ ﴾ قراءة العامةِ: (فَأَجْمِعُوا) بالقطعِ وكسرِ الميم؛ أي: أَحكِموه.

﴿ وَشُرَكَآءَكُمۡ ﴾ أي: آلهتكَمُ، ونُصِبَ (شُرَكاءَكُمْ) بفعلٍ محذوفٍ تقديرُه: وادعوا شركاءكم فاستعينوا، بها وقرأ رويسٌ عن يعقوبَ بخلافٍ عنه: (فَاجْمَعُوا) بوصلِ الهمزةِ وفتحِ الميمِ، من الجمعِ، ووردَتْ عن نافعٍ[١]، وقرأ يعقوبُ: (وَشُرَكَاؤُكُمْ) بالرفع[٢]؛ أي: فَأَجمِعوا أمرَكم أنتم وشركاؤُكم.

﴿ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ ﴾ في قصدي بالهلاكِ ﴿ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ﴾ خَفِيّاً، بل جاهِروني به ﴿ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ ﴾ أَمْضُوا ما في أنفسكم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٣١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٤ـ٨٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٧١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٥).

﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ لا تؤَخِّرونِ. أثبتَ يعقوبُ الياءَ في (تُنْظِرُونِي). تلخيصُه: اقصدوا هَلاكي بكلِّ طريقٍ سريعاً، فلا خوفَ عندي؛ لوثوقي باللهِ.

* * *

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضْتُم عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم﴾ على ذلكَ.

﴿مِّنْ أَجْرٍ﴾ جُعْلٍ فتنفروا عَنِّي.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ لا تعلُّقَ له بكُم. قرأ نافعٌ، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ (أَجْرِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الذين لا يأخذونَ الأجرَ على التعليم.

* * *

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ استمرُّوا على تكذيبه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ سُكَّانَ الأرض خَلَفاً عن الهالكينَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٦).

﴿ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ بالطُّوفانِ ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ آخرَ أمرِ الذين أنذرَهم الرسلُ فلم يؤمنوا.

* * *

﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ أي: من بعدِ نوحٍ.

﴿ رُسُلًا ﴾ كإبراهيمَ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وشعيبٍ، وغيرِهم.

﴿ إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ ﴾ كلُّ رسولٍ إلى قومه.

﴿ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ بالدَّلالاتِ الواضحاتِ.

﴿ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ ﴾ فما كانَ إيمانُهم إلا ممتنعاً؛ لشدَّةِ شكيمتِهم في الكفر، وتصميمِهم عليه.

﴿ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ ﴾ يريدُ: أنهم كانوا قبل بعثةِ الرسلِ أهلَ جاهليةٍ مكذِّبينَ بالحقِّ، فما وقعَ فصلٌ بين حالتَيْهم بعدَ بعثةِ الرسلِ وقبلَها، كأنْ لم يُبْعَثْ إليهم أحدٌ.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثلَ ذلكَ الطَّبْعِ المحكَمِ ﴿ نَطۡبَعُ ﴾ نختِمُ ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ بخذلانهم، وفي ذلكَ دليلٌ على أن الأفعالَ واقعةٌ بقدرةِ اللهِ تعالى.

* * *

﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم ﴾ أي: بعدَ الرُّسُلِ ﴿ مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ

وَمَلَإِيْهِۦ﴾ يعني: أشرافَ قومِه ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسعِ.

﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن اتِّباعِها ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ أي: مشركين.

***

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ﴾ يعني: فرعونَ وقومَه ﴿ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ وعرفوه؛ لتظاهرِ المعجزات ﴿قَالُوٓاْ﴾ من فرطِ تمرُّدِهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهرٌ.

***

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ تقديرُ الكلام: أتقولونَ للحقِّ لما جاءكم: إنه سحرٌ؟ ثم قال منكراً عليهم: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾؟ فحذفَ السحرَ الأولَ اكتفاءً بدلالةِ الكلامِ عليه ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ المعنى: أيكونُ سِحْراً وقد أفلحَ مَنْ جاءَ به؟!

***

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿قَالُوٓاْ﴾ فرعونُ وقومُه لموسى عليه السلام: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ تَصْرِفَنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ من عبادةِ الأصنامِ.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الملكُ في أرضِ مصرَ. قرأ أبو بكرٍ عن

عاصمٍ: (وَيكُونَ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث[1].

﴿ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ مصدِّقين. قرأ أبو عمرٍو: (وَنَحْن لَّكُمَا) بإدغام النون في اللام[2].

* * *

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ حاذقٍ فيه. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (سَحَّارٍ) على وزن فَعَّالٍ بتشديدِ الحاءِ وألفٍ بعدَها، وأمالَ فتحةَ الحاءِ الدوريُّ عن الكسائيِّ، وقرأ الباقون: (سَاحِرٍ) على وزن فاعِلٍ والألفِ قبلَ الحاء[3].

* * *

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ أي: اطْرَحوا على الأرضِ ما معكُم من حبالِكم وعِصِيِّكم، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ في الأعراف.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٧).

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم ﴾ أي: الذي جئتم ﴿ بِهِ ٱلسِّحْرُ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو (آلسِّحْرُ) بالمدِّ على الاستفهام، تقديرُه: أيُّ شيءٍ جئتُم به، أَهُوَ السِّحْرُ؟ ويجوز لكل منهما تسهيلُ الهمزةِ الثانيةِ بينَ بينَ وإبدالُها ألفاً خالصةً كما تقدَّم في قوله: (آلآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)، ولا يجوزُ الفصلُ فيه بالألفِ، كما لا يجوز في (ءَآلْآنَ)، وقرأ الباقون: (بِهِ السِّحْرُ) بهمزةِ وصلٍ على الخبر، فتسقطُ وصلاً، وتُحذف بالصلةِ في الهاءِ قبلَها؛ لالتقاءِ الساكنين(١).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ﴾ سيمْحَقُهُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ لا يُقَوِّيهِ.

* * *

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ ﴾ يُثَبِّتُهُ ﴿ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ بأوامره ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ذلكَ.

* * *

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ ﴾ لم يصدِّقْهُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٧).

﴿ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ أي: أولادٌ من أولادِ قومِه بني إسرائيلَ.

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ أي: ملأ الذريَّةِ؛ فإن ملأَ الذرية كانوا من قومِ فرعونَ، وقيلَ: الضميرُ لفرعونَ، وجمعَهُ لأنه كانَ عظيماً في نفسه، فخوطِبَ بالجمعِ.

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يُعذِّبهم، ولم يقل: يَفْتِنوهُم؛ لأنه أخبرَ عن فرعونَ، وكانَ قومُه على مثلِ ما كانَ عليهِ ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ غالبٌ قاهرٌ.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ في الكبرِ حتى ادَّعى الربوبية. رُوِيَ عن يعقوبَ الوقفُ بالياءِ على (لَعَالِي).

* * *

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لمؤمني قومِه.

﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ ثِقُوا به.

﴿ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ مخلِصينَ له.

* * *

﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ لأنهم كانوا مؤمنينَ مخلصينَ.

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ موضعَ فتنةٍ؛ أي: عذابٍ بعدَ توبتِنا.

﴿ لِلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: لا تُظْهِرْهُم علينا، فيظُنُّوا أنا لم نكنْ على الحقِّ، فيزدادوا طُغياناً.

* * *

﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ من كَيْدِهِم.

* * *

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا ﴾ اتَّخذا.

﴿ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ تسكنونَ فيها.

﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ مساجدَ متوجِّهَةً نحوَ الكعبة، وكان موسى يصلِّي إليها؛ لأنَّ فرعونَ كانَ قد أمرَ بني إسرائيلَ بتخريبِ بِيَعِهِم، وألاَّ يظاهروا بعبادتِهِم، فأُمروا باتخاذِ مساجدَ في بيوتِهِم يصلُّون فيها سِرّاً.

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ ﴾ أَتِمُّوها ﴿ وَبَشِّرِ ﴾ يا موسى ﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بخيرَيِ الدنيا والآخرةِ.

* * *

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً ﴾ كلَّ ما يتزيَّنُ به من متاعِ الدنيا.

﴿ وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ وأنواعاً من المالِ.

﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ، (لِيُضلُّوا) بضمِّ الياء، أي: لِيُضلُّوا غيرَهم، والباقون: بفتحها[1]؛ أي: ليضِلُّوا في أنفسهم، واللامُ في (لِيُضلُّوا) لامُ العاقبة، يعني: فَيُضلُّوا، ويكون عاقبةُ أمرهم الضَّلال، كقوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨]، وقيلَ: هي لامُ (كي)؛ أي: آتيتَهم كي تَفْتِنَهم فَيَضِلُّوا ويُضِلُّوا؛ كقوله: ﴿ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن: ١٦-١٧]، قال القرطبيُّ: وأصحُّ ما قيلَ فيها، وهو قولُ الخليلِ وسيبويهِ: أنها لامُ العاقبةِ والصَّيرورة[2].

﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ أذهِبْ آثارها بالهلاكِ ﴿ وَٱشْدُدْ ﴾ واختِمْ.

﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ لِئَلاَّ يدخُلَها الإيمانُ، وأصلُ الشدِّ: الاستيثاقُ، وإنما دعا عليهم بعدَ الإنذارِ؛ لعلمِهِ أن لا سبيلَ إلى إيمانِهم.

﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا ﴾ معناهُ: اللهمَّ فلا يؤمنوا.

﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ وهو الغرقُ.

* * *

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ قَالَ ﴾ الله عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٩).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٣٧٤).

﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ إنَّما نُسبَتْ إليهما، والدعاءُ كانَ منْ موسى؛ لأنه رُوِيَ أنَّ موسى كانَ يدعو، وهارونُ يؤمِّنُ، والتأمينُ دعاءٌ وفي بعضِ القصصِ: كانَ بينَ دعاءِ موسى وإجابتهِ أربعونَ سنةً.

﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ على الرسالةِ، وامضيا لأمري.

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَمْرَ الله تعالى. قرأ العامةُ: (تتَّبِعانِّ) بتشديدِ التاءِ الثانيةِ وفتحِها وكسرِ الباءِ وتشديدِ النونِ في موضعِ جزمٍ على النهيِ، والنونُ للتوكيد، وحركت لالتقاءِ الساكنينِ، واختيرَ لها الكسرُ؛ لأنها أشبهتْ نونَ الرجلانِ، ويقال في الواحدِ: لا تتَّبِعَنَّ بفتحِ النون، وقرأ ابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ بتشديدِ التاءِ مع تخفيفِ النونِ، فتكون (لا) نافيةً، فيصيرُ اللفظُ لفظَ الخبر، ومعناهُ النهيُ؛ كقوله: (لاَ تُضَارُّ وَالِدَةٌ) على قراءةِ مَنْ رفعَ، ورُوي عن ابنِ ذكوانَ أيضاً وجهٌ آخرُ بتخفيفِ التاءِ الثانية ساكنةً، وفتحِ الباءِ مع تشديدِ النونِ من تَبِعَ[1]، المعنى: لا تسلكْ طريقَ مَنْ لا يعلمُ حقيقةَ وعدي ووعيدي.

***

﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

[٩٠] ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا﴾ عبرْنا ﴿بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ حتى الشطِّ حافظِينَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٠).

لهم ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ ظُلْماً واعتداءً، وكانَ البحرُ قدِ انفلقَ لموسى وقومِه، فلما وصلَ فرعونُ بجنودِه إلى البحرِ، هابوا دخولَه، فتقدَّمَهم جبريلُ في صورةِ هامانَ على فرسٍ وَدِيقٍ؛ أَيْ: شَهِيٍّ، وهي التي في فَرْجِها بَلَلٌ وخاضَ البحرَ، فاقتحمتِ الخيولُ، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ مستوفىً في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [الآية: ٥٠]، فلما دخلَ آخرُهم، وهمَّ أَوَّلُهم أَنْ يخرجَ، انطبقَ عليهِم الماءُ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ أي: قاربَه، وكانَ هذا في يومِ عاشوراءَ ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (إِنَّهُ) بكسرِ الألفِ على الاستئنافِ بدلاً من (آمَنْتُ)، والباقون: بالفتحِ على حذفِ الباءِ التي هي صلةُ الإيمانِ[1]؛ أي: بأنه.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وكرر معنى الإيمانِ ثلاثَ مراتٍ حرصاً على القبول، فلم يُقْبَلْ؛ لأنه فرَّطَ، ولم يكنْ وقتَ قَبولٍ.

***

﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾.

[٩١] فعندَ ذلكَ دَسَّ جِبْريلُ عليه السلام في فيهِ مِنْ حَمَإِ البحرِ، وقال: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ تؤمنُ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ الضالِّينَ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩١).

المضلِّينَ؟! وتقدَّمَ الكلامُ في (آلآن)، ومذاهبُ القراءِ فيهِ عندَ قولِه: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: ٥١].

***

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

[٩٢] فلما أخبرَ موسى قومَه بهلاكِ فرعونَ وقومِه، قالتْ بنو إسرائيلَ: ما ماتَ فرعونُ، فأمرَ اللهُ البحرَ، فألقى فرعونَ على الساحل أحمرَ قصيراً كأنه ثورٌ، فتيقَّنَ بنو إسرائيلَ موتَهُ، فمن ذلكَ الوقتِ لا يقبلُ الماءُ مَيْتاً أبداً، فذلكَ قولُه: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نلقيكَ على نَجْوَةٍ من الأرضِ؛ أي: مرتفعٍ منها. قرأ يعقوبُ: (نُنْجِيكَ) مخفَّفاً، والباقون: مشدَّداً[1].

﴿بِبَدَنِكَ﴾ وحدَكَ.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ بعدَكَ ﴿ءَايَةً﴾ علامةً تظهرُ لهم بها عبوديتُكَ من ربوبيتِكَ؛ لأنكَ لو كنتَ ربّاً، لما غرقْتَ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ لا يتفكّرون فيها.

***

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلْنا ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزلَ كرامةٍ، وهي

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩١).

الأرضُ المقدسةُ التي كتبَ اللهُ ميراثَها لإبراهيمَ وذريتِهِ.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالاتِ ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ﴾ يعني: اليهودَ الذين كانوا في عهدِ النبيِّ ﷺ ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ يعني: القرآنَ، فبعضٌ قال: هو هو، وبعض: ليسَ هو، وغيَّروا صفتَهُ معَ معرفتِهم صدقَهُ وصفتَهُ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا، فيثيبُ التائبَ، ويعاقبُ العاصيَ.

* * *

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

[٩٤] ثم قال خِطاباً للنَّبي ﷺ، والمرادُ غيرُه: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآنَ ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فيخبرونك أنك مكتوبٌ عندَهم في التوراة، وقيلَ غيرُ ذلكَ، والشكُّ في اللغةِ: أصلُه الضيقُ، فقال ﷺ في الجوابِ: «لاَ أَشُكُّ وَلاَ أَسْأَلُ أَحداً، أَشْهَدُ أَنَّهُ الْحَقُّ»[1].

قرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَسَلِ) بنقل حركةِ الهمزة إلى الساكن قبلَها، وهو السين، والباقون: بغير نقل[2]، ثم استأنفَ الكلامَ فقال:

﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا شَكَّ فيه، وهو القرآنُ.

﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكِّين.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٢١١)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٠٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٢).

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ والخطابُ في هذه الآية كالتي قبلَها للنبيِّ ﷺ، والمرادُ غيرُه.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ ﴾ وَجَبَتْ.

﴿ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أنهم يموتون كُفَّاراً، وهي: هؤلاءِ للنارِ ولا أُبالي. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (كَلِمَاتُ) بالألف على الجمعِ، والباقون: بغير ألفٍ على التوحيد[١] ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

* * *

﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾ سألوها، وأُنِّثَ فعلُ (كُلُّ) لإضافتِه إلى مؤنثٍ.

﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ فحينئذٍ يؤمنون ولا ينفعُهم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٢).

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ أي: فهلاَّ ﴿ كَانَتْ ﴾ المعنى: فلم تكنْ ﴿ قَرْيَةٌ ﴾ من القرى الهالكةِ ﴿ ءَامَنَتْ ﴾ عندَ معاينةِ العذابِ.

﴿ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾ بأنْ تقبَّلَ اللهُ منها.

﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ فإنَّه نفعَهم إيمانُهم في ذلكَ الوقتِ، و(قومَ) نصبٌ على الاستثناءِ المنقطعِ، تقديرُه: ولكنَّ قومَ يونسَ.

﴿ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ ﴾ الذلِّ والهوانِ.

﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إلى وقتِ انقضاءِ آجالِهم، وملخَّصُ القصةِ: أنَّ قومَ يونسَ كانوا بنِينَوى من أرضِ الموصِلِ، وكانوا يعبدون الأصنامَ، فأرسلَ الله إليهم يونَس عليه السلام، فكذَّبوه، فقيل له: أخبرْهم أنَّ العذابَ مُصَبِّحُهم بعدَ ثلاثٍ، فأخبرَهم، فقالوا: هو رجلٌ لا يكذبُ، فارقُبوه، فإن أقامَ معكم، فلا عليكم، وإن ارتحلَ عنكم، فهو نزولُ العذابِ لا شكَّ، فلما جاءهم الميعادُ، تَغَشَّاهم العذابُ، فكانَ مرتفعاً على رؤوسهم قدرَ ميلٍ، رُوِيَ أنه غيمٌ أسودُ يدخنُ دخاناً شديداً، وكان يونسُ قد خرجَ من بينِ أَظْهُرِهِمْ في جوفِ تلكَ الليلةِ، فلما رأوا ذلكَ، ولم يجدوا يونسَ، أيقنوا بالهلاكِ، فَلَبِسوا المُسُوحَ، وبرزوا إلى الصعيدِ بأنفسِهم ونسائِهم وصبيانِهم ودوابِّهم، وفرَّقوا بينَ كلِّ والدةٍ وولدِها، فحنَّ بعضُهم إلى بعضٍ، وعَجُّوا وتضرَّعوا، وترادُّوا المظالمَ، وأخلصوا التوبةَ والإيمانَ، فرحِمَهم اللهُ، وكشفَ عنهمُ العذابَ، وكانَ يومَ عاشوراءَ يومَ

الجمعةِ، وسيأتي ذكرُ قصةِ يونسَ بأبسطَ من هذا في سورةِ الأنبياءِ إن شاء الله تعالى.

***

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ ﴾ وهو دليلٌ على القدريَّةِ في أنَّ الله تعالى لم يشأْ إيمانَهم، وأن من شاءَ إيمانَه يؤمنُ لا محالةَ.

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ قالَ ابنُ عباس: «كانَ النبيُّ ﷺ حريصاً على إيمانِ جميعِ الناسِ، فأخبرَه تعالى أَنْ لا يؤمنُ إلاَّ من سبقَتْ له السعادةُ في الذكرِ الأولِ، ولا يضلُّ إلا من سبقَتْ له الشقاوةُ[1] في الذكرِ الأولِ»[2].

***

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ وَمَا كَانَ ﴾ أي: وما ينبغي.

﴿ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ بعلمِه وتوفيقِه.

﴿ وَيَجْعَلُ ﴾ اللهُ ﴿ ٱلرِّجْسَ ﴾ العذابَ. قراءة العامةِ: (وَيَجْعَلُ) بالياء،

---

(١) في «ظ»: «الشقوة».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٨١).

وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (وَنَجْعَلُ) بالنونِ على التعظيم[1] ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أَمْرَ اللهِ ونهيَهُ.

***

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

[١٠١] ﴿قُلِ﴾ للمشركينَ الذين يسألونَكَ عن الآياتِ: ﴿ٱنظُرُواْ﴾ أي: بالتفكر. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، ويعقوبُ: (قُلِ انْظُرُوا) بكسرِ اللام في الوصل، والباقون: بضمِّها[2] ﴿مَاذَا﴾ مبتدأٌ، خبره ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ من الدلالاتِ الدالَّةِ على الوحدانيةِ، و(ما) استفهامية.

﴿وَمَا﴾ للنفي؛ أي: ولنْ ﴿تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ الرسلُ.

﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ السابق علمُه تعالى بموتِهم كافرين.

***

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ يعني: مشركي مكةَ ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ من مكذبي الأمم؛ أي: مثلَ وقائعِهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٣-٩٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٤).

﴿ قُلْ فَانتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ لذلك.

* * *

﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

[١٠٣] ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ﴾ قرأ يعقوبُ (نُنْجِي) بإسكانِ النون الثانية والتخفيف، والباقون: بفتح النون والتشديد[١] ﴿ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ معهم عندَ نزولِ العذابِ.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما أَنْجيناهم ﴿ حَقًّا ﴾ واجِباً ﴿ عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قرأ الكسائيُّ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ) بالتخفيف، والباقونَ: بالتشديد، ووقفَ يعقوبُ (نُنْجِي) بإثباتِ الياء[٢]، ونجَّى وأَنْجى بمعنى واحدٍ.

* * *

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ يعني: أهلَ مكةَ.

﴿ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى ﴾ وصِحَّتِه.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٣٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٤).

﴿ فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي الأصنامُ.

﴿ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ﴾ يُميتكم، وخُصَّ التوفِّي بالذكرِ للتهديدِ.

﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بآياتِ الله.

* * *

﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾.

[١٠٥] ﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ﴾ عطفٌ على (أن أكون) ﴿وَجۡهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي: استقمْ إليهِ ﴿حَنِيفٗا﴾ قيِّماً بهِ مائلاً عن كلِّ دينٍ.

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي: قيلَ لي: لا تشركْ.

* * *

﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

[١٠٦] ﴿ وَلَا تَدۡعُ﴾ لا تعبدْ ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إنْ أطعتهُ.

﴿ وَلَا يَضُرُّكَۖ﴾ إنْ عصيتهُ.

﴿ فَإِن فَعَلۡتَ﴾ فعبدْتَ غيرَ اللهِ ﴿ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الضارِّينَ بأنفسِهم.

* * *

﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

[١٠٧] ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ يُصِبْكَ بهِ ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ يرفعُهُ ﴿ إِلَّا هُوَ﴾ سبحانَه.

﴿ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ﴾ فلا مانعَ ﴿ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ الذي أرادكَ بهِ.

﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ بالخيرِ والضرِّ.

﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوبِ عبادهِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

***

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ﴾ رسولُه والقرآنُ، فلم يبقَ لكم حجةٌ ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ اختارَ الهدى.

﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ﴾ أي: لخلاصِ نفسه؛ لأن نفعَه لها.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ بالكفرِ ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ﴾ أي: وبالُ ذلكَ على نفسِه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: حفيظٌ أحفظُ أعمالَكم، إنْ عليَّ إلاَّ البلاغُ.

***

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

[١٠٩] قالَ ابنُ عباسٍ: «نسختْها آيةُ القتالِ والتي بعدَها»(١)، وهي: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ يا محمدُ ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ﴾ بالنصرةِ أو بالأمرِ بالقتلِ.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنه عز وجل لا يحكمُ إلا بالحقِّ، والله أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي(٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).



عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

مَكِّيَّةٌ إلا قولَه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الآية، آيها مئةٌ وثلاثٌ وعشرونَ، وحروفُها سبعةُ آلافٍ وخمسُ مئةٍ وسبعةٌ وستونَ كسورةِ يونسَ، وكَلِمُها ألفٌ وتسعُ مئةٍ وخمسَ عشرةَ كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿الٓر﴾ تقدَّمَ الكلامُ عليهِ، ومذاهبُ القراءِ فيه في أولِ سورةِ يونس(١).

﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرُ مبتدٍأ محذوفٍ، أي: هذا كتابٌ، وهو القرآنُ.

﴿أُحْكِمَتْ﴾ نُظِمَتْ ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾ نَظْماً مُحْكَماً لا يلحقُها تناقضٌ ولا خللٌ، وقال ابنُ عباسٍ: أَيْ: لم يُنْسَخْ بكتابٍ كما نُسِخَتِ الكتبُ والشرائعُ بهِ(٢).

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بُيِّنَتْ بالأحكامِ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: من عندِه.

---

(١) عند تفسير الآية (١) منها.

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٩٩٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٥).

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ .

[٢] ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ أي: بألاَّ لا تعبدوا ﴿ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ﴾ أي: من الله ﴿ نَذِيرٌ﴾ بالعذابِ ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالثوابِ.

* * *

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ .

[٣] ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ وَحِّدُوهُ، عطفٌ على الأولِ.

﴿ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ من الكفر؛ أي: انسلِخوا منهُ، واندَموا على سالفِهِ.

﴿ يُمَتِّعْكُم﴾ يُعَيِّشْكُم في الدنيا ﴿ مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ عَيْشاً طيباً.

﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى المماتِ.

﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ أي: في العملِ؛ أي: زيادةٍ في ﴿ فَضْلَهُۥۖ﴾ أي: جزاءَ فضلِه.

﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أي: تتولَّوا، فحُذفَتْ إحدى التاءين. وقرأ البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ (وَإن تَّوَلَّوا) بتشديدِ التاء[١].

﴿ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمروٍ: (فَإِنِّيَ أَخَافُ) (إِنِّيَ أَخَافُ) حيثُ وقعَ بفتحِ الياء، والباقون: بإسكانها[٢]

﴿ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يومُ القيامة.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٠).

﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ في ذلك اليومِ ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من ثوابٍ وعقابٍ، ولا ينفعُ من قضائِه واقيةٌ.

* * *

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ يخفونَ ما فيها من العداوةِ، نزلتْ في الأخنسِ بنِ شريقٍ، وكانَ رجلاً حلوَ الكلامِ والمنظرِ، يلقى رسولَ اللهِ ﷺ بما يحبُّ، وينطوي بقلبِه على ما يكرهُ(١).

﴿ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ﴾ أي: من الله، قال ابنُ عطية: هذا هو الأفصحُ الأجزلُ في المعنى، وقيل: يمكنُ أن يعودَ الضميرُ على محمدٍ ﷺ(٢).

﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾ يتغطَّونَ بها، و(حين) توقيتٌ للتغطِّي لا للعلمِ ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ في قلوبِهم ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ بأفواهِهم.

﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ وذواتُ الصدورِ: ما فيها.

* * *

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: ليسَ دابةٌ، و(من) صِلةٌ، والدابَّةُ:

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥١).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ١٥١).

كلُّ حيوانٍ يَدِبُّ على وجهِ الأرضِ ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي: هو المتكفِّلُ به فَضْلاً لا وجوباً.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مكانها.

﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيثُ كانتْ من قبلُ من صلبٍ أو رَحِمٍ.

﴿كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي: مثبتٍ في اللوحِ المحفوظِ قبلَ خَلْقِها.

***

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ والأرجحُ أنها من أيامِ الدنيا، وأجزأَ ذكرهُ السمواتِ والأرضَ عن ذكرِ ما فيها؛ إذ كلُّ ذلكَ خُلِقَ في تلكَ الستةِ أيامٍ، وتقدَّمَ الكلامُ في ذلك في سورة الأعراف.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قبلَ خلق السمواتِ والأرضِ، وكانَ ذلكَ الماءُ على مَتْنِ الريح، ثم بيَّنَ علَّةَ الخلقِ فقالَ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أيُّها المؤمنون وأزهدُ في الدنيا وأتمُّ عقلاً.

﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ يا محمدُ ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعنون: القرآن. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (سَاحِرٌ) بفتح السين وألفٍ بعدَها وكسرِ الحاءِ، يعني: محمداً ﷺ(١).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٣).=

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ أي: أجلٍ محدودٍ، وأصلُ الأمةِ: الجماعةُ، فكأنه قال: إلى انقراضِ أمةٍ ومجيءِ أخرى.

﴿ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ ﴾ المعنى: أيُّ شيءٍ يمنعُ العذابَ من النزولِ؟ يقولونه استهزاءً.

﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ ﴾ كيوم بدرٍ ﴿ لَيْسَ ﴾ العذابُ ﴿ مَصْرُوفًا ﴾ مدفوعاً ﴿ عَنْهُمْ وَحَاقَ ﴾ وأحاطَ ﴿ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: نزل بهم جزاءَ استهزائهم.

* * *

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ المرادُ: الجنسُ ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ نعمةً.

﴿ ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ ﴾ أَزَلْناها عنه ﴿ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ ﴾ شديدُ اليأس أنها لا تعودُ إليه ﴿ كَفُورٌ ﴾ أَنْعُمَ اللهِ عليه.

* * *

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ ﴾ صحةً وسَعَةً ﴿ بَعْدَ ضَرَّآءَ ﴾ شدةٍ.

﴿ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ﴾ الإنسانُ ﴿ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ ﴾ المصائبُ ﴿ عَنِّىٓ ﴾ ويتجبَّرُ.

﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ ﴾ بطر.

﴿فَخُورٌ﴾ والفرحُ: لذةٌ في القلبِ بنيلِ المشتهى، والفخرُ: هو التطاوُلُ على الناس بتعديدِ المناقبِ، وذلك منهيٌّ عنه. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمروٍ (عَنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

* * *

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناءٌ متصلٌ على ما تقدَّمَ من أن (الإنسانَ) عامٌّ، ويرادُ به الجنسُ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنةُ.

* * *

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمدُ ﴿تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ أي: تاركٌ تبليغَ ما يسوؤهم رجاءَ توبتِهم، وذلكَ أن كفارَ مكةَ لما قالوا: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ [يونس: ١٥] ليس فيه سبُّ آلهتنا، هَمَّ النبيُّ ﷺ أن يدعَ سبَّ آلهتهم ظاهراً، فأنزل اللهُ الآيةَ(٢).

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٥٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٩٠).

﴿ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ ﴾ أي: بما كُلِّفتَ ﴿ صَدۡرُكَ ﴾ بأن تتلوهُ عليهم مخافةَ ﴿ أَن يَقُولُواْ ﴾ مكذِّبينَ ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ ﴾ ينفقُهُ ﴿ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ ﴾ يصدِّقُهُ.

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ ﴾ فأدِّ النِّذارةَ.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾ أي: حافظٌ وشهيدٌ.

* * *

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ أَمۡ ﴾ بَلْ ﴿ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ ﴾ أي: اختلقَ محمدٌ الموحَى إليه، وهو القرآنُ.

﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ ﴾ مختلَقاتٍ من عندِ أنفسِكم، قال هنا: عشر، وفي يونسَ: (بسورة)؛ لأن هذه نزلتْ قبلَ تلكَ، لأنهم تُحُدُّوا أولاً بالإتيان بعشر، فلما عَجَزوا، تُحُدُّوا بسورةٍ واحدةٍ، المعنى: إن كان ما جئتُ به مفترًى كما تزعمونَ، فعارضوا بعضَه.

﴿ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم ﴾ للمعارضةِ ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الكهنةِ والأعوانِ ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ في قولِكم.

* * *

﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ في المعارضة، ولم تتهيأ لهم، خوطب جمعاً؛ تعظيماً لقدره، أو الخطابُ له ولأصحابه.

﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ خطابٌ للمؤمنين، أو للمشركين ﴿ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾ أي: وهو عالمٌ بإنزالِه وبجميعِ ما فيه ﴿ وَأَن لَّآ ﴾ أي: واعلموا أن لا ﴿ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمرِ؛ أي: أسلِموا.

***

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ونزل في كلِّ مَنْ عملَ عملاً لغيرِ اللهِ تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ بإحسانهِ وبرِّه.

﴿ نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا ﴾ أي: أُجورَ أعمالِهم في الدنيا؛ بسعةِ الرزقِ، وطيبِ العيش ﴿ وَهُمۡ فِيهَا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ لَا يُبۡخَسُونَ ﴾ لا يُنْقَصون من حظِّهم.

***

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ ﴾ لأنهم استوفَوا ما تقتضيه صورُ أعمالِهم الحسنةِ، وبقيت لهم أوزارُ العزائمِ السيئةِ.

﴿ وَحَبِطَ ﴾ بَطَلَ في الآخرةِ ﴿ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾ أي: في الدنيا.

﴿ وَبَٰطِلٞ ﴾ في نفسِه ﴿ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ لأنه عملٌ لغيرِ الله تعالى، واختلِف في المعني بهذه الآية، فقيل: هم أهلُ الرياءِ من المؤمنين، وقيل: هم الكفارُ، قال ابنُ عطيةَ: وهو عندي أرجحُ التأويلاتِ بحسبِ ذكرِ الكفارِ

والمنافقين في القرآنِ، فإنما قصدَ بهذه الآية أولئك[1].

***

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ابتداءٌ، والخبرُ محذوفٌ؛ أي: أفمَنْ كان على بينةٍ كمَنْ كفرَ باللهِ وكذَّبَ أنبياءه؟ والمرادُ: أن النبيَّ ﷺ على بينةٍ؛ أي: برهانٍ وبيانٍ من اللهِ أن دينَ الإسلامِ حَقٌّ.

﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ ﴾ أي: يتبع البرهانَ شاهدٌ يشهدُ بصحته، وهو القرآن.

﴿ مِّنْهُ ﴾ أي: من الله تعالى.

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ ﴾ أي: قبلَ القرآنِ ﴿ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ هو التوراةُ.

﴿ إِمَامًا ﴾ مُؤْتماً به ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ لمن تبعَه.

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ﴾ أي: المؤمنون.

﴿ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ بالنبيِّ ﷺ.

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ وهم الفِرَقُ من أهلِ مكةَ ومن ضامَّهم من الكفارِ المتحزِّبين على رسولِ اللهِ ﷺ.

﴿ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ مصيرُهُ.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ١٥٦).

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ ﴾ شكٍّ ﴿ مِّنْهُ ﴾ من الموعدِ ﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ من قلَّةِ نظرِهم، واختلالِ فكرِهم.

* * *

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فزعمَ أن له ولداً وشريكاً؟ أي: لا أحدَ أظلمُ منه.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ يعني: الكاذبينَ ﴿ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ في الموقفِ، فيسألُهم عن أعمالهم.

﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ جمع شاهدٍ، وهم الملائكةُ والنبيونَ ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ ﴾ بُعْدُهُ وسَخَطُهُ ﴿ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الذين وَضعوا العبادةَ في غيرِ موضِعها.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ ﴾ يمنعونَ ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ عن دينِه.

﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ أي: يعدِلون بالناسِ عنها إلى المعاصي والشركِ.

﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ أعادَ لفظَ (هم) تأكيداً لكفرِهم.

* * *

﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ثم قال الأشهادُ: ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ أي: الكاذبون.

﴿لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ﴾ فائتينَ اللهَ إذا أرادَ عذابَهم.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ ناصرينَ يمنعونهم من عذابِه، ولكن أَخَّرَهم إلى يومِ القيامةِ.

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يشدَّدُ حتى يكونَ ضِعْفَي ما كان. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وجعفرٌ، ويعقوبُ: (يُضَعَّفُ) بتشديدِ العينِ مع حذفِ الألف، والباقون: بإثباتِ الألف والتخفيفِ[1].

﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ أي: استماعَ الحقِّ.

﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ محمداً؛ بُغْضاً له، فـ(ما) نافية.

* * *

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ غَبنوا.

﴿أَنفُسَهُمْ﴾ باشتراءِ عبادةِ الأوثانِ بعبادةِ اللهِ.

﴿وَضَلَّ﴾ ضاع.

﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من زَعْمِهم أن الآلهةَ تشفعُ لهم.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٥-٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٥).

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ أي: حقاً.

﴿ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ أي: متحقّقٌ خسرانُهم.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ صدَّقوا ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ ﴾ خشَعوا ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ وأصلُ الإخباتِ: الخضوعُ، من الخَبْتِ، وهي الأرضُ المطمئنَّةُ.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ هذه الآيةُ في الصحابةِ المؤمنين، والتي قبلَها في المشركين.

* * *

﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ثم ضربَ للكافرينَ والمؤمنينَ مثلاً فقال: ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿ كَٱلْأَعْمَىٰ ﴾ أي: كمثلِ الأعمى.

﴿ وَٱلْأَصَمِّ ﴾ هذا للكافرينَ ﴿ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ ﴾ للمؤمنين، شَبَّهَ الكافرَ بالأعمى وبالأصمِّ، وشبه المؤمنَ بالبصيرِ والسميعِ، فهو على تمثيل مثالين، وقال بعضُ المتأولين: التقديرُ: كالأعمى الأصمِّ، والبصيرِ السميعِ، فدخلت واوُ العطف كما تقولُ جاءني: زيدٌ العاقلُ والكريمُ،

وأنت تريدُه بعينِه، فهو[1] على هذا تمثيلٌ بمثالٍ واحد.

﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ﴾ أي: الفريقانِ ﴿مَثَلًا﴾ تمييز.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتَّعظون. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (تَذْكُرونَ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديدِ[2].

***

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢٥﴾.

[٢٥] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ: (إنِّي) بكسرِ الهمزة؛ أي: فقال: إني؛ لأن في الإرسالِ معنى القولِ، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة؛ أي: بـ(أني)[3]، والنذرُ والمنذِرُ هو المحذِّرُ.

***

﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ۝٢٦﴾.

[٢٦] ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ هو يومُ القيامةِ، وُصِفَ بذلك؛ لأن العذابَ يكونُ فيه، وتقدمَ ذكرُ الاختلافِ في عمِره حينَ بعثَهُ اللهُ إلى قومِه في سورة الأعرافِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ [الآية: ٥٩]، ولبثَ يدعو قومَه تسعَ مئةٍ وخمسينَ

---

(١) في «ت»: «فهي».

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٥-١٠٦).

سنةً، وعاشَ بعدَ الطوفانِ مئتي سنةٍ وخمسينَ سنةً، وماتَ وله ألفٌ وأربعُ مئةٍ وخمسون سنةً.

* * *

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ والملأُ: هم الأشرافُ والرؤساءُ ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا﴾ آدمياً ﴿مِّثْلَنَا﴾ لا مَزِيَّةَ لكَ علينا.

﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ الناقصونَ الأقدارِ فينا.

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ قرأ أبو عمروٍ: (بَادِىءَ) بالهمز؛ أي: أولَ الرأي، يريدون: أنهم اتبعوكَ في أولِ الرأيِ من غيرِ رؤيةٍ وتفكُّرٍ، ولو تفكَّروا ما اتَّبعوكَ، وقرأ الباقونَ: بياءٍ مفتوحةٍ بغيرِ همزٍ[1]؛ أي: ظاهرَ الرأي، معناه: اتبعوك ظاهراً من غيرِ أن يتدبَّروا ويتفكروا باطِناً، ونصبُه على القراءتين ظرفٌ.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ﴾ لكَ ولمتبعيكَ ﴿عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾ أي: زيادةِ شرفٍ علينا نؤهِّلكم بها للنبوةِ ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ الخطابُ لنوحٍ ولمن آمَن به.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٦).

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ قَالَ ﴾ نوحٌ ﴿ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أَخبِروني.

﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ حُجَّةٍ ﴿ مِّن رَّبِّي ﴾ شاهدةٍ بصحةِ دَعْواي.

﴿ وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ أي: النبوةَ ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ (فَعُمِّيَتْ) بضمِّ العينِ وتشديدِ الميم؛ أي: شُبِّهَتْ ولُبِّسَتْ، **وقرأ** الباقون: بفتح العينِ وتخفيفِ الميم؛ أي: خَفِيَتْ[1].

﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ أَنُلْزِمُكُمُ الهدايةَ ﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ لا تريدونَها؟ استفهامٌ بمعنى الإنكارِ.

* * *

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على التبليغِ وإيمانِكم ﴿ مَالًا ۖ ﴾ أَجْراً.

﴿ إِنْ أَجْرِيَ ﴾ ما ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٧).

والكسائيُّ، وخلفٌ عن عاصمٍ: (أَجْرِي) بإسكان الياءِ حيثُ وقع: والباقون بفتحِها(١).

﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وذلكَ أنهم قالوا له: اطردْ عنكَ المؤمنينَ؛ حَسَداً لهم ﴿ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ أي: صائرونَ إليه، فيجزي من طَرَدَهم.

﴿ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ أمرَ اللهِ ولقاءَه. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وقنبلٌ عن ابنِ كثيرٍ: (وَلكنِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها(٢).

* * *

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ ﴾ من يمنعُني من عذابِه.

﴿ إِن طَرَدتُّهُمْ ﴾ لأجلِ إيمانهم ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ تتَّعظون. قرأ أبو عمروٍ: (وَيَا قَوْم مَّنْ) بإدغامِ الميم في الميم(٣).

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٩).

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ فآتي منها ما تطلبونَ.

﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ فأخبرُكم بما تريدونَ.

﴿ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ ﴾ تحتقرُ ﴿ أَعۡيُنُكُمۡ ﴾ من المؤمنين ﴿ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ﴾ أي: إيماناً وتوفيقاً؛ لجهلي بحالهم، وذلك أنهم قالوا: هم أراذلُنا، ولن يؤتيَهم اللهُ خيراً.

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ فيجازيهم عليه ﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إنْ آذيتُهم. قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

* * *

﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا ﴾ خاصَمْتَنا ﴿ فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾ فأطْنَبْتَهُ.

﴿ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ من العذابِ.

﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في الدَّعْوى.

* * *

---

(١) المصادر السابقة.

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ ﴾ عاجِلاً أو آجِلاً.

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائِتين.

* * *

﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ ﴾ نَصيحتي.

﴿ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ﴾ أي: نصحَكم.

﴿ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ يُضِلَّكم، تقديرُ الكلام: إنْ كانَ اللهُ يريدُ أن يغويَكم، فإن أردتُ أن أنصحَ لكم، لا ينفعكُم نصحي. قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (نُصْحِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

﴿ هُوَ رَبُّكُمْ ﴾ فإليه الإغواءُ والهدايةُ ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ إخبارٌ في ضمنِه تهديدٌ ووعيدٌ. قرأ يعقوبُ: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء، والباقون: بضمها[٢].

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٠).

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ هؤلاء الكفرةُ ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ افترى نوحٌ هذا التوعُّدَ بالعذاب، وأراد الإرهابَ علينا بذلك، وقيل: إن هذه الآيةَ اعترضَتْ في قصةِ نوحٍ، وهي في شأنِ محمدٍ ﷺ مع كفارِ قريشٍ، وذلك أنهم قالوا: افْترى القرآنَ، وافترى هذهِ القصةَ عن نوحٍ، فنزلتِ الآيةُ في ذلك، والأولُ هو قولُ ابنِ عباسٍ[١]، قال القرطبيُّ: وهو أظهرُ؛ لأنه ليسَ قبلَه ولا بعده إلا ذكرُ نوحٍ وقومِه، فالخطاب منهم ولهم[٢].

﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ المعنى: إن صحَّ أني افتريتُه، فعلي جزاءُ افترائي.

﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من الكفرِ والتكذيبِ. قرأ أبو جعفرٍ بخلاف عنه: (بَرِيٌّ) و(بَرِيُّونَ) حيثُ وقعَ بتشديدِ الياءِ بغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمزِ والمدِّ.

* * *

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ معنى الكلام: الإياسُ من إيمانهم، واستدامةُ كفرِهم تحقيقاً لنزولِ الوعيدِ بهم.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٣٢ ـ ٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٩٨).
(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٩).

﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ فلا تحزنْ ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ فإني مُهْلِكُهم، فحينئذٍ دعا عليهم فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ورُوي أنهم كانوا يبطِشونَ بنوحٍ فيخنقونه حتى يُغشى عليه، فإذا أفاقَ، قال: رَبِّ اغفرْ لقومي فإنهم لا يعلمونَ.

***

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ بمنظرٍ مِنَّا؛ أي: اصنعْها محفوظاً أن تُنالَ بسوءٍ، وأن يُحال بينَكَ وبينَ عملِها، وأن تُخطىء في عملِها؛ لأنه لما أُمِرَ بعملِ السفينةِ، لم يدرِ كيفَ يصنعُها، فأوحيَ إليه أن اصنعْها كجؤجُؤِ الطائرِ، فإنَّكَ بعيني، فأخذ القَدُّومَ، وجعل يضربُ ولا يخطىء، ورُوي أن السفينةَ كان طولُها ثلاثَ مئةِ ذراعٍ، وعرضُها خمسينَ ذراعاً، وطولُها في السماء ثلاثين ذراعاً، وقيلَ غيرُ ذلك، وكانتْ من خشبِ الساجِ، وجعلَ لها ثلاثةَ بُطونٍ، فحملَ في البطنِ الأسفلِ الوحوشَ والسباعَ والهوامَّ، وفي البطنِ الوسطِ الدوابَّ والأنعام، وركبَ هو ومَنْ معه البطنَ الأعلى معَ ما يحتاجُ إليه من الزاد.

﴿وَوَحۡيِنَا﴾ وتعليمِنا لكَ صورةَ العملِ بالوحيِ.

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾ تراجِعْني.

﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ في إهلاكِ الكفارِ وابنِك كنعانَ وامرأتِكَ واعلةَ.

﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ محكومٌ بغرقِهم.

***

﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَيَصۡنَعُ ﴾ أي: وطَفِقَ يصنعُ ﴿ ٱلۡفُلۡكَ ﴾ رُوي أن نوحاً عليه السلام لبثَ يغرسُ الشجرَ مئةَ عامٍ، ثم جعلَ يقطعُ الخشبَ ويضربُ الحديدَ ويهيىء عدةَ الفلكِ من القارِ وغيره.

﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ ﴾ جماعةٌ ﴿ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ ﴾ فكانوا يتضاحكون ويقولون: يا نوحُ! صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً!

﴿ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ ﴾ في المستقبلِ عند رؤيةِ الهلاكِ.

﴿ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾ منا الآنَ.

* * *

﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ ﴾ يُذلُّه، وهو الغرقُ.

﴿ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴾ وهو عذابُ الآخرةِ، فصنعَ نوحٌ السفينةَ في سنتين، وقيلَ غيرُ ذلك.

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾ أي: وقتُ الوعدِ بإهلاكهم. واختلافُ القراء في حكم الهمزتين من قوله (جَاءَ أَمْرُنَا) في هذا الحرف وجميعِ ما في

السورة كاختلافِهم فيها من قوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [الآية: ٥] في سورةِ النساءِ.

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي: جاشَ بالماء، وهو تنورُ الخبزِ في قولِ الأكثرِ، وكان هو الآيةَ بينَ نوحٍ وبينَ ربِّهِ، واختلِفَ في موضعِ التنور، فقيلَ: بالكوفة، وقيل: بالشام بموضعٍ يُقال له عَيْنُ وردة، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ أي: في السفينة.

﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ صِنفَينِ من الحيوان.

﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى، وقيل لهما: زوجان؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما يُقال له: زوجٌ؛ لأنه لابدَّ لأحدِهما من الآخر. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (مِنْ كُلٍّ) بالتنوين؛ أي: من كلِّ صنفٍ زوجينِ، اثنينِ ذكرَه تأكيداً، والباقون: بغيرِ تنوينٍ على الإضافةِ على معنى: احمل اثنينِ من كلِّ زوجينِ، والقراءتانِ ترجعان إلى معنىً واحدٍ[1].

وعندَ فورانِ التنورِ حُشِرَ الحيوانُ لنوحٍ عليه السلام، فجعلَ يضربُ بيديه فيقعُ الذكرُ في اليمنى، والأنثى في اليسرى، فيلقيهما في السفينة، ورُوي أن أول ما أَدخلَ السفينةَ الدُّرَّةُ، وآخرَ ما أدخلَ الحمارُ، فتمسَّكَ الشيطانُ بذنبِهِ، فزجرَهُ نوحٌ فلم ينزجرْ، فقالَ له: ادخلْ ولو كانَ معكَ الشيطانُ، قال ابنُ عباسٍ: «زَلَّتْ هذهِ الكلمةُ على لسانِه، فدخلَ الشيطانُ حينئذٍ»، وكان عندَ مؤخرِ السفينة، فلما كثرتْ أرواثُ الدوابِّ، تأذَّى نوحٌ من رائحتها، فأوحي إليه أنِ امسحْ على ذَنَبِ الفيلِ، ففعلَ، فخرجَ منه

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٠-١١١).

خنزيرٌ وخنزيرةٌ، فَكَفيا نوحاً وأهلَه ذلكَ الأذى، فلما وقعَ الفأرُ يخربُ السفينةَ ويقرِضُ حبالَها، أوحي إليه أنِ اضربْ بينَ عيني الأسدِ، ففعلَ، فعطسَ، فخرجَ منه هِرٌّ وهرةٌ، فكَفياهم الفأرَ، ورويَ أن الحيةَ والعقربَ أتيا نوحاً، فقالتا: احملْنا، فقالَ: إنكما سببُ الضررِ والبلاءِ فلا أحملُكُما، قالتا: احملْنا ونحن نضمنُ لك ألاَّ نضرَّ أحداً ذكرك[1]، فمن قرأ حينَ خاف مضرتهما: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩] ما ضَرَّتَاهُ.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: واحملْ أهلَكَ من النسبِ ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ بالهلاكِ، وهو كنعانُ، وامرأتُك واعلةُ مستثنىً من الأهلِ.

﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي: واحملْ مَنْ آمنَ بكَ، قال الله تعالى:

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وهم بنوه الثلاثةُ سامٌ وحامٌ ويافثُ، وثلاثُ نسوةٍ لهم، وامرأةُ نوحٍ غيرُ الهالكةِ، وتقدَّم في سورةِ الأعراف أنَّ من آمن به كانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة، وهم الذين نجوا معه في السفينة، وفي ذلك خلاف، والله أعلم.

* * *

﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] فلما دهمَهم الماءُ، ندبَهم إلى الركوبِ ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ فركبوا في السفينة يومَ الجمعةِ لعشرٍ مضينَ من رجبٍ من عينِ وردةَ، فأتتِ

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٩٧٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٢٨).

البيتَ فطافَتْ به أسبوعاً، وقد رفعَهُ اللهُ من الغرقِ وبقيَ موضعه.

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ أي: اركبوا مُسَمِّينَ أو قائلين: باسم الله عندَ مجراها ومرساها، فكانَ إذا أرادَ أن تجريَ قال: بسم الله، فجرت، وإذا أراد أن ترسوَ قال: بسم الله، فرست. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (مَجْرَاهَا) بفتح الميم؛ أي: جَرْيَها، والباقون: بضمِّها؛ أي: إجرائِها، وأمالَ الراءَ أبو عمرٍو والأربعةُ المذكورون، ولم يُمِلْ حفصٌ غيرَ هذا الحرفِ، واختلِفَ عن ابنِ ذكوانَ، فرويَ عنه الإمالةُ والفتحُ، قال ابنُ الجزري: وقد غلطَ مَنْ حكى فتحَ الميمِ عن ابنِ ذكوانَ من المؤلفين، وشُبْهَتُهم في ذلك والله أعلم: أنهم رأَوا فيها عنه الفتحَ والإمالةَ، فظنوا فتحَ الميم، وليسَ كذلك، إنما أريد فتحُ الراء وإمالتُها، انتهى. ورُوي عن ورشٍ الفتحُ والإمالةُ بينَ بينَ(١).

﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ تنبيهٌ لهم على نعمةِ الله عليهم ورحمتِه لهم.

***

﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ﴾ في اضطرابِ الماءِ وارتفاعِه ﴿كَٱلۡجِبَالِ﴾ عِظَماً وارتفاعاً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٩ـ١١١).

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ كنعانَ، وكان كافراً ﴿ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾ معتزلٍ عن أبيه.

﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ قرأ عاصمٌ: (يَا بُنَيَّ) بفتح الياء، والباقون: بالكسرِ مشدَّداً[1]، وقوله: (بُنَيَّ) مصغراً ليكونَ أعطفَ له ﴿ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴾. قرأ أبو عمرٍو والكسائيُّ، ويعقوبُ: (ارْكَب مَّعَنَا) بإدغامِ الباءِ في الميمِ؛ لقربِ المخرَجِ، واختلِفَ عن ابنِ كثيرٍ وعاصمٍ وقالونَ وخَلَّادٍ، وقرأ الباقون، وهم: ابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وخلفٌ لنفسِه[2]، وعن حمزةَ، وورشٌ عن نافعٍ: بإظهارِ الباءِ على الأصل[3]، تلخيصُه: اركبْ معنا تنجُ.

﴿ وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فتهلك.

***

﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ قَالَ ﴾ له ابنُه ﴿ سَـَٔاوِيٓ ﴾ سألتجيءُ.

﴿ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ يمنعُني من الغرقِ.

﴿ قَالَ ﴾ له نوحٌ ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ لا مانعَ ﴿ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ من عذابِ الله.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٣).

(٢) في «ن»: «بنفسه».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٤).

﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ استثناءٌ متصلٌ.

﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ﴾ أي: بينَ نوحٍ وابنهِ ﴿ ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ بالماءِ، رُوي أن الماءَ علا على رؤوسِ الجبال أربعينَ ذراعاً، وعقمتِ النساءُ أربعينَ سنةً، وأدركَ الصغارُ على دينِ آبائِهم، وماتتِ البهائمُ بآجالِها.

* * *

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَقِيلَ ﴾ بعدَ ما تناهَى أمرُ الطوفان:

﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ﴾ الذي خرجَ منكِ؛ أي: اشربيهِ.

﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾ أَمْسِكي عن إنزالِ القَطْر؛ لأن الأرضَ كانتْ تنبعُ الماءَ، والسماءَ تمطرُ بأجمعِها.

﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ نقصَ. قرأ الكسائيُّ، وهشامٌ عن ابنِ عامرٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (وَقِيلَ) (وَغِيضَ) بإشمامِ الضمِّ للقافِ والغينِ، واختلافُ القراءِ في الهمزتين من قولِه: (وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي) كاختلافِهم فيهما من قوله: (السُّفَهَاءُ أَلَا) في سورةِ البقرةِ [الآية: ١٣].

﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ فُرِغَ من إهلاكِ قومِ نوحٍ.

﴿ وَٱسْتَوَتْ ﴾ يعني: استقرَّتِ السفينةُ ﴿ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾ اسمُ جبلٍ بالجزيرةِ بقربِ المَوْصِلِ ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هلاكاً لهم.

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ وقد وَعَدْتَني بنجاةِ أهلي ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ الذي لا خُلْفَ فيه ﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أعدلُهم.

* * *

﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ قَالَ ﴾ اللهُ ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ ﴾ أي: أهلِ ولايتِك ولا دينِك، وهو ولدُه من صُلْبِه في قولِ الأكثرِ ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ ﴾ قرأ الكسائيُّ، ويعقوبُ: (عَمِلَ) بكسرِ الميمِ وفتحِ اللام (غَيْرَ) بنصبِ الراء؛ أي: عَمِلَ شركاً، وقرأ الباقون: بفتح الميمِ ورفعِ اللام منوَّن ورفعِ الراءِ تعليلٌ لانتفاءِ الأهليةِ[١]، وجُعلت ذاتُه عملاً غيرَ صالح مبالغةً في ذمِّه.

﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ ﴾ ما لا تعلمْ أصوابٌ هو أم ليسَ صواباً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (تَسْأَلَنِّ) بفتح اللام وكسر النون وتشديدِها، وابنُ كثيرٍ كذلكَ، إلا أنه يفتحُ النونَ، والباقون: بإسكانِ اللامِ وكسرِ النونِ وتخفيفِها، وأثبتَ الياءَ بعدَ النونِ وصلاً أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ، وأثبتَها في الحالين يعقوبُ[٢] ﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٤ـ ١١٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، =

﴿ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ يعني: أن تدعوَ بهلاكِ الكفارِ، ثم تسألَ نجاةَ كافرٍ

* * *

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] وحُكِيَ أن نوحاً كانَ لا يعلمُ بكفرِ ابنِهِ ﴿قَالَ﴾ نوحٌ ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾ في المستقبلِ ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ما لا علمَ لي بصحَّتِهِ ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾أعمالاً، وكان ﷺ على قدمِ الاستغفارِ إلى أن تُوُفِّيَ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ: (إِنِّيَ أَعِظُكَ) (إِنِّيَ أَعُوذُ) بفتحِ الياءِ فيهما، والباقون: بإسكانها[١].

* * *

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ انزلْ من السفينةِ ﴿بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ أي: سلامةٍ ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾ والبركةُ: الخيرُ التامُّ ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ﴾ أي: ذريةِ أممٍ ﴿مِّمَّن﴾ كانَ ﴿مَّعَكَ﴾ في السفينةِ، يعني: على قرونٍ تجيءُ بعدكَ من ذريةِ مَنْ معكَ من ولدِك، وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا.

﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الأخرى، وهم الكافرونَ أهلُ الشقاوة،

= و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٥ـ١١٦).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٦).

وتقدَّمَ أن نوحاً ركبَ السفينةَ بعشرٍ مضَتْ من رجبٍ، وجرتْ بهم ستةَ أشهرٍ، وخرجوا منها يومَ عاشوراءَ، فصامَ نوحٌ ومَنْ معه شكراً لله عز وجل، وكان الطوفانُ بعدَ هبوطِ آدمَ بألفينِ ومئتينِ واثنتينِ وأربعينَ سنةً، وبينَ الطوفانِ والهجرةِ الشريفةِ النبويةِ على صاحبِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ثلاثةُ آلافٍ وتسعُ مئةٍ وأربعٌ وسبعونَ سنةً

***

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ ﴾ أي: آياتِ القرآنِ ﴿ إِلَيْكَ ﴾ بأخبارِ الأمم الماضية.

﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ ﴾ أي: من قبلِ نزولِ القرآنِ.

﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ على أذى قومِكَ؛ كنوح.

﴿ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ ﴾ آخرَ الأمرِ ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ بالسعادةِ والنصرِ.

***

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَإِلَىٰ ﴾ أي: وأرسلْنا إلى ﴿ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ ﴾ في النسبِ، لا في الدين، وتقدَّمَ ذكرُه في سورةِ الأعرافِ.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وحِّدُوه ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، والكسائيُّ: (غَيْرِه) بخفضِ الراءِ حيثُ وقعَ إذا كانتْ قبلَ (إلهٍ) (مِنْ) التي

تخفضُ، والباقون: بالرفع[1].

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ باتخاذِ الأوثانِ شركاءَ.

* * *

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغِ الرسالةِ ﴿أَجْرًا﴾ جُعْلاً.

﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ خلقني.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، والبزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (فَطَرَنِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

* * *

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ولما حُبِسَ القَطْرُ عن قومِ هودٍ ثلاثَ سنينَ، وعقمتْ أرحامُ نسائِهم، فلم يلدْنَ، قال لهم هود: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ من الذنوبِ السالفةِ، وآمِنوا ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ من عبادةِ العِجْلِ وغيرِه.

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ مُتَتابعاً ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً﴾ في العددِ والمالِ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦-١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٧-١١٨).

والبدنِ ﴿إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ الموجودة ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ لا تُدْبِروا مشركينَ.

* * *

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)﴾.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ دليلٍ على قولِكَ ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي: بقولِكَ ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدِّقينَ.

* * *

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤)﴾.

[٥٤] ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ يعني: لستَ تتعاطى ما تتعاطى من مخالفتنا وسبِّ آلهتِنا إلاَّ لأنَّ بعضَ آلهتِنا اعْتَراكَ؛ أي: أصابَكَ بسوءٍ؛ أي: بِخَبَلٍ وجُنُونٍ لسبِّكَ إياها، فَثَمَّ اسْتِخفافاً بهم وبآلهتِهم.

﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ على نفسي. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (إِنِّيَ) بفتحِ الياءِ، والباقون: بإسكانها[١].

﴿وَاشْهَدُوا﴾ أنتم أيضاً على ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

* * *

﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥)﴾.

[٥٥] ﴿مِن دُونِهِ﴾ يعني: الآلهةَ ﴿فَكِيدُونِي﴾احتالوا في أمري أنتم وهم

---

(١) المصادر السابقة.

﴿جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ لا تُمهِلونِ. قرأ يعقوبُ: (تُنْظِرُونِي) بإثباتِ الياء بعدَ النون، والباقون: بحذفها[1].

***

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾ اعتمدْتُ عليه ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ أي: مالكُها وقادرٌ عليها، والناصيةُ: شَعْرُ مُقَدَّمِ الرأسِ، وخُصَّتْ بالذكر؛ لأنَّ العربَ كانتْ تجرُّ بناصيةِ الأسيرِ الممنون عليه؛ لتكونَ تلكَ علامةً أنه قُدِرَ عليه، وقُبِضَ على ناصيتِهِ، والدَّابةُ: جميعُ الحيوانِ، وخُصَّ بالذكرِ إذ هو صنفُ المخاطبينَ والمتكلمُ.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: إن أفعالَ اللهِ عز وجل هي في غايةِ الإحكامِ، وقولُه الصدقُ، ووعدُه الحقُّ، فجاءتِ الاستقامةُ في كلِّ ما ينضافُ إليهِ سبحانَهُ.

***

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: تتولوا؛ يعني: تُعْرِضوا عما دعوتُكُم إليه. قرأ البزيُّ عنِ ابنِ كثيرٍ: (فَإِن تَّوَلَّوا) بتشديدِ التاء[2].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨١١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ﴾ المعنى: ما عَلَيَّ كبيرُ هَمٍّ منكُمْ إنْ تولَّيْتُم، فقد بَرِئَتْ ساحتي بالتبليغ، وأنتم أصحابُ الذنب في الإعراضِ عنِ الإيمانِ.

﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أطوعَ منكم يُوَحدونه.

﴿ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ﴾ بإشراكِكم ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (على) بمعنى اللام؛ أي: لكلِّ شيءٍ حفيظٌ، فهو يحفظُني ويجازيكم.

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ عذابُنا، وهو السَّمُومُ، كانتْ تدخلُ أنوفَ الكفارِ وتخرجُ من أدبارِهم، فتقطعُ أعضاءهم.

﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ من العذابِ، وكانوا أربعة آلافٍ ﴿ بِرَحْمَةٍ ﴾ بنعمةٍ ﴿ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم ﴾ في الآخرةِ ﴿ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ شديدٍ، المعنى: نجوا من عذابَي الدنيا والآخرةِ بسببِ إيمانهم

* * *

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ﴾ إشارةٌ إلى قبورِهم وآثارِهم ﴿ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ

= (ص: ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٨).

﴿رَبَّهُمْ﴾ كفروا بها ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ يعني: هوداً، ذُكر بلفظِ الجمع، لأن من كَذَّبَ رسولاً واحداً، كانَ كمَنْ كَذَّبَ جميعَ الرُّسُلِ.

﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟﴾ يعني: السفْلَةَ ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاندٍ؛ أي: معارضٍ بالخلافِ، وهم رؤساؤهم ومقدَّموهم.

***

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿وَأُتْبِعُوا۟﴾ أُرْدِفُوا ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ تلحقُهم، واللعنةُ: الإبعادُ والطردُ عن الرحمةِ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أيضاً.

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ جَحَدُوا نعمتَه ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾ من رحمةِ اللهِ تعالى ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ عطفُ بيانٍ لِعادٍ؛ ليتميَّزوا عن عادٍ الثانيةِ، وهي عادُ إِرَم.

***

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ أي: وأرسلنا إلى ثمودَ، وتقدَّمَ تفسيرُه في سورةِ الأعرافِ ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسبِ ﴿صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم﴾ ابتدأَ خَلْقَكم من آدمَ، وآدمُ ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: خلقَكُم لِعِمارتها، وقيل: أطالَ أعمارَكم، قيل: كانتْ أعمارُهُم من ألفِ سنةٍ إلى ثلاثِ مئةِ سنةٍ.

﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ ﴾ من المؤمنين ﴿ مُّجِيبٌ ﴾ لدعائِهم.

* * *

﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) ﴾.

[٦٢] ﴿ قَالُواْ ﴾ يعني: ثمودَ ﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا ﴾ للسيادةِ في ديننا ﴿ قَبْلَ هَٰذَآ ﴾ القولِ.

﴿ أَتَنْهَىٰنَآ ﴾ استفهامٌ معناهُ الإنكارُ ﴿ أَن ﴾ أي: عن أن ﴿ نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ من الآلهةِ ﴿ وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾ من التوحيدِ.

﴿ مُرِيبٍ ﴾ مُوقعٍ في الريبةِ، وهي قلقُ النفسِ وانتفاءُ الطمأنينةِ.

* * *

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) ﴾.

[٦٣] ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ بيانٍ وبصيرةٍ.

﴿ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ نبوةً.

﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: يمنعُني من عذابه ﴿ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي ﴾ بقولِكم هذا ﴿ غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ أي: غيرَ بَصارةٍ في خسارتكم.

* * *

﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) ﴾.

[٦٤] ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ نصبٌ على الحالِ

والقطع، وذلكَ أنَّ قومَهُ طلبوا منه أن يُخْرِجَ ناقةً عُشَراءَ من هذهِ الصخرةِ، وأشاروا إلى صخرةٍ، فدعا صالحٌ، فخرجت منها ناقةٌ، وولدَتْ في الحالِ ولداً مثلَها، فهذه معنى قوله ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ من العشبِ، فليس عليكم مُؤْنَتُها.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾ جزم بالنهي ﴿بِسُوٓءٍ﴾ بعقرٍ ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾ جوابُ النهي ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ مِنْ عقرِها، وهو ثلاثةُ أيام.

***

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾ لهم صالحٌ: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ﴾ عِيشوا في ديارِكم ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكونَ ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه، تقدَّمَ ذكرُ القصةِ في الأعراف.

***

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ﴾ بنعمة ﴿مِّنَّا وَمِنْ﴾ عطفٌ على (نَجَّيْنا)؛ أي: ونجيناهم من ﴿خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾ أي: عذابهم في الدنيا. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، والكسائيُّ (يَوْمَئِذٍ) بفتح الميم، والباقون: بكسرها على إضافة (يَوْمِ) إلى (إِذْ)، وأبو عمرٍو يدغمُ الياءَ في الياءِ[1].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، =

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ القادرُ على كلِّ شيءٍ.

* * *

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

[٦٧] ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ في اليومِ الرابعِ، وذلك أنَّ جبريلَ عليه السلام صاحَ صيحةً واحدةً، فهلكوا.

﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه في سورةِ الأعراف [الآية: ٥].

* * *

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ يقيموا في ديارهم.

﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ قرأ حمزةُ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (ثَمُودَ) غيرَ منوَّنٍ، والباقونَ: بالتنوين(١).

﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ قرأ الكسائيُّ: (لِثَمُودٍ) بالخفضِ والتنوينِ، والباقون: بنصبِ الدال، فمن أجازَ الصرفَ لأنه اسمٌ مذكرٌ، ومن لم يُجِزْهُ جعلَهُ اسماً للقبيلةِ(٢).

= و«تفسير البغوي» (٢/ ٤١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٠).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩-٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢١).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ ﴾ هم جبريلُ ومَنْ معه من الملائكةِ.

﴿ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ بالبشارةِ بإسحقَ ويعقوبَ، وبإهلاكِ قومِ لوطٍ.

﴿ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ نصبٌ على المصدرِ، والعاملُ فيه مضمَرٌ من لفظِه؛ كأنه قال: أَسْلِمْ سلاماً.

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيمُ ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، أي: سلامٌ عليكم. وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (سِلْمٌ) بكسرِ السينِ بلا ألفٍ وسكونِ اللام، بمعنى: السلام، كما يقال: حِلٌّ وحَلالٌ[(١)].

﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ ﴾ أي: فما أبطأ بمجيئه ﴿ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ مَشْوِيٍّ بالحجارةِ المحمَّاةِ في حُفَيرة، وكانَ سَميناً يسيلُ دَسَماً.

* * *

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ إلى العجلِ. قرأ أبو عمرٍو: (رَأَى) بإمالةِ الهمزةِ فقط، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: بإمالةِ الراءِ تَبَعاً للهمزة، واختلِفَ عن هشامٍ وأبي بكرٍ[(٢)].

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٤ـ٤٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٢).

﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ﴾ أضمرَ ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ خوفاً ظهرَ أثرهُ عليه، وذلك أنهم كانوا إذا نزلَ بهم ضيفٌ فلم يأكلْ من طعامِهم، ظنوا أنه لم يأتِ بخير، وإنما جاءَ لشرٍّ.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ يا إبراهيمُ.

﴿إِنَّآ﴾ ملائكةُ الله ﴿أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

* * *

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾.

[٧١] ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ سارةُ بنتُ هارانَ بنِ ناحور، وهي ابنةُ عمِّ إبراهيمَ ﴿قَآئِمَةٌ﴾ خلفَ الستر تسمعُ كلامَهم.

﴿فَضَحِكَتْ﴾ أي: تبسَّمَتْ سروراً بزوالِ الخيفةِ، وهو قولُ الجمهورِ، قيل: ضَحِكَتْ؛ أي: حاضَتْ، قال ابنُ عطيةَ: وهو ضعيفٌ قليلُ التمكُّنِ(١).

﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ﴾ أي: بعد ﴿إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ فَبُشِّرَتْ أنها تعيشُ حتى ترى ولدَ ولدِها. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يَعْقُوبَ) بنصبِ الباءِ عطفاً على (إِسْحَاقَ)، والباقون: بالرفعِ على أنه مبتدأٌ خبرُه الظرفُ(٢)؛ أي: ويعقوبُ مولودٌ من بعدِه، واختلافُ القراءِ في الهمزتينِ من قولِه: (وَرَاءِ إِسْحَاقَ) كاختلافِهم فيهما من قوله: (هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ) في سورةِ البقرةِ [الآية: ٥].

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ١٨٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٤).

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ أي: يا عجباً، وتقالُ هذهِ اللفظةُ عندَ ورودِ أمرٍ عظيمٍ.

﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا﴾ وكانت ابنةَ تسعينَ سنةً، وقيلَ غيرُ ذلك. واختلافُ القراءِ في قولِه: (أَأَلِدُ) كاختلافهم في قوله: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) في سورةِ البقرةِ [الآية: ٦].

﴿بَعْلِي﴾ بعلُ المرأةِ: زوجُها ﴿شَيْخًا ۖ﴾ نصبُ حالٌ، وكانَ سِنُّ إبراهيمَ مئةً وعشرينَ سنةً، وقيلَ غيرُ ذلك، فأنكرت ذلك عادةً، وقالت: ﴿إِنَّ هَٰذَآ﴾ أي: وجودَ الولدِ من كبيرين ﴿لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وهو استعجابٌ من حيثُ العادة دونَ القدرةِ، وكانَ بينَ البشارةِ والولادةِ سنةٌ.

* * *

﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: الملائكةُ منكِرينَ: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ بإيجادِ الولدِ من كبيرين؟

﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ﴾ نُبُوَّته، و(رَحْمَتُ) رُسمت بالتاء في سبعةِ مواضعَ، وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ[1].

---

(١) انظر: الآية (٢١٨) من سورة البقرة.

﴿وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾ الأسباطُ من بني إسرائيلَ؛ لأنَّ أكثرَ الأنبياءِ منهم، وكلُّ الأسباطِ من ولدِ إبراهيمَ، وقيل: المعنى: حقيقةُ الرحمةِ والبركةِ حالَّتانِ.

﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصبٌ نداءٌ؛ أي: بيتَ إبراهيمَ، وفيه دليلٌ أن زوجةَ الرجلِ من أهلِ بيته؛ لأنها خوطبَتْ به، فيقوى القولُ في زوجاتِ النبيِّ ﷺ بأنهنَّ من أهلِ بيتِه الذينَ أذهبَ اللهُ عنهم الرِّجْسَ، بخلافِ ما تذهبُ إليهِ الشيعةُ من قولهم: أَهْلُ بيتِه الذين حُرِموا الصدقَةَ، فيدفعونَ الزوجاتِ؛ بغضاً في عائشةَ رضي الله عنها.

﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ محمودٌ في أفعالِه.

﴿مَّجِيدٌ﴾ كثيرُ الرفعةِ والشرفِ.

* * *

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ الخوفُ.

﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاقَ ويعقوبَ.

﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: أخذَ يجادِلُنا، ومعناهُ: يجادلُ رُسُلَنا.

﴿فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ في إهلاكِهم، ومجادلتُه إياهم أَنْ قالَ لهم: أَتُهْلِكونَ قوماً فيهم خمسونَ مؤمناً؟ قالوا: لا، قال: أربعونَ؟ قالوا: لا، فما زالَ ينقصُ حتى قالَ: واحد؟ قالوا: لا ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ [العنكبوت: ٣٢].

* * *

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ غيرُ عَجولٍ.

﴿ أَوَّٰهٌ ﴾ كثيرُ التأوُّهِ من الذُّنوبِ ﴿ مُّنِيبٌ ﴾ تائبٌ.

* * *

﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] وكان في قرى لوطٍ أربعُ مئةِ ألفٍ، فقالتِ الرسلُ عندَ ذلك: ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ﴾ الجدالِ.

﴿ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ بإهلاكِهم.

﴿ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ ﴾ نازلٌ بهم ﴿ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ عنهم.

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ ﴾ يعني: هؤلاءِ الملائكةَ.

﴿ لُوطًا ﴾ على صورةِ غِلْمانٍ مُرْدٍ حِسانِ الوجوهِ.

﴿ سِيٓءَ بِهِمْ ﴾ أي: حزنَ لوطٌ بمجيئِهم. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (سِيءَ) و(سِيئَتْ) بإشمامِ السينِ الضَّمَّ حيثُ وقعَ[١].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٥).

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ وضيقُ الذَّرْعِ: عبارةٌ عن ضيقِ الوُسْعِ، وهو كنايةٌ عن شِدَّةِ الانقباض، المعنى: اغتمَّ غَماً شديداً خشيةً من قومِهِ أن يقصِدُوهُم بالفاحشةِ لَمَّا رأى جَمالَهم، فيحتاجُ إلى المدافعةِ عنهم.

﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديدٌ.

* * *

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] رُوي أنهم جاؤوا منزلَ لوطٍ سراً، ولم يعلمْ بهم إلا أهلُ بيتِ لوطٍ، فخرجتِ امرأتُه فأخبرَتْ قومَها، وقالت: إنَّ في بيتِ لوطٍ رجالاً ما رأيتُ مثلَ وُجوهِهِمْ قَطُّ.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يُسرِعون، وقيلَ: يُسْتَحَثُّونَ.

﴿وَمِن قَبْلُ﴾ أي: ومن قبلِ ذلكَ الوقتِ.

﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ إتيانَ الذكورِ في أدبارِهم.

﴿قَالَ﴾ لهم لوطٌ حينَ قصدوا أضيافَهُ: ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي: بالنكاحِ أحلُّ، وَقَى أضيافَهُ ببناتِهِ، وكان في ذلكَ الوقتِ تزويجُ المسلمةِ من الكافرِ جَائزاً كما زَوَّجَ النبيُّ ﷺ ابنتيه من أبي العاصِ بنِ وائلٍ، وعُتْبَةَ بنِ أبي لهبٍ قبلَ الوحيِ وهما كافرانِ.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بتركِ الفواحشِ ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ تفضحونِ.

﴿فِي ضَيْفِيٓ﴾ بفعلِكم الخبيثِ؛ لأنَّ العارَ يلزمُني بذلك. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (تُخْزُونِي) بإثباتِ الياءِ حالةَ الوصلِ، ويعقوبُ بإثباتِها وَصْلاً ووقفاً[1]، وقرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (ضَيْفِي) بإسكان الياءِ، والباقون: بفتحها[2].

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ صالحٌ يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ؟

* * *

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أي: حاجةٍ، فلا ننكحُهُنَّ.

﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ من إتيانِ الذكورِ

* * *

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿قَالَ﴾ لهم لوطٌ عندَ ذلكَ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ أنصاراً وأعواناً ﴿أَوْ ءَاوِيٓ﴾ أَنْضَمُّ.

﴿إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ عشيرةٍ منيعةٍ، وجوابُ (لو) محذوفٌ؛ أي: لَقاتَلْتُكم وحُلْتُ بَينكم وبينَهم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦ـ١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٦ـ١٢٧).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] وكان لوطٌ قد أغلقَ عليه وعلى أضيافِه بابَه، وهو يناشِدُهم من وراءِ البابِ، وهم يعالجونَ في تَسَوُّرِ الجدارِ، فلما رأتِ الملائكةُ ما يلقى لوطٌ منهم.

﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ﴾ بسوءٍ، وإنَّ ركنَكَ لشديدٌ، فخلِّ بينَنا وبينَهم، ففتحَ البابَ، فصفقَ جبريلُ وجوهَهم بجناحه، فأعمى أبصارَهُم، فذهبوا يتهدَّدونَ لوطاً يقولونَ: مكانَكَ حَتَّى نصبحَ.

﴿ فَأَسْرِ ﴾ يا لوطُ ﴿ بِأَهْلِكَ ﴾ بابنتكَ وامرأتك. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: (فَاسْرِ) بوصلِ الألفِ من سَرَى، والباقون: بقطعِها من أَسْرَى، ومعناهُما واحدٌ، وهو سيرُ الليلِ(١).

﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ بطائفةٍ منهُ، قيلَ: إنه السَّحَرُ الأولُ.

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو (امْرَأَتُكَ) برفع التاء على الاستئنافِ، من الالتفاتِ؛ أي: لا يلتفتْ منكم أحدٌ إلا امرأتُك، فإنها تلتفتُ فتهلكُ، وكان لوطٌ قد أخرجَها معه، ونهى من تبعَه ممن أَسْرى بهم أَنْ يلتفتَ سوى زوجتِه، فإنها لما سمعتْ هَدَّةَ العذابِ،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤١٧ـ٤١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٧ـ١٢٨).

التفتَتْ، وقالت: واقوماه! فأدركَها حجرٌ فقتلَها. وقرأ الباقون: بنصب التاءِ على الاستثناءِ من الإسراء[1]؛ أي: فأسرِ بأهلكَ إلاَّ امرأتَكَ فلا تَسْرِ بها، وخلِّفْها معَ قومها؛ فإنَّ هَواها إليهم، قال القرطبيُّ: وهي القراءةُ البينةُ الواضحةُ المعنى[2].

﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ﴾ من العذابِ، فقال لهم لوطٌ: متى موعدُ هلاكِهم؟ فقالتِ الملائكةُ: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ﴾ قال لوطٌ: أريدُ أسرعَ من ذلك، فقالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟

* * *

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾.

[٨٢] فخرج لوطٌ وطوى اللهُ له الأرضَ في وَقْتِه حتى نَجا، ووصلَ إلى إبراهيمَ عليهما السلام ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ عذابُنا.

﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ وذلكَ أن جبريلَ عليه السلام حملَ مَدائِنَهم، الخمسَ، وهي سدومُ، وهي القريةُ العظمى، وعَمُورا، وأَدْم، وأصبؤين، ولُوشَع بمنْ فيها على جناحه، وكانوا أربعَ مئةِ ألفٍ، ورفعَها حتى سمعتِ الملائكةُ نباحَ الكلابِ وصياحَ الدِّيكةِ، لم يُكْفَأْ لهم إناءٌ، ولم ينتبهْ نائمٌ، ثم قلبَها فجعلَ عاليَها سافلَها.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: على شذَّاذِ القُرى، وهم مَنْ لم يكنْ فيها.

---

(١) المصادر السابقة.
(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٨٠).

﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ سجِّيلٌ وسِجِّينٌ: الصلب من الحجارةِ والطين ﴿مَّنضُودٍ﴾ متتابعٍ يتبعُ بعضُها بعضاً.

***

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾.

[٨٣] ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ نعتُ الحجارةِ؛ أي: مُعَلَّمَةً، عليها أمثالُ الجبالِ لا تشبهُ حجارةَ الدنيا ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في خزائنِه.

﴿وَمَا هِيَ﴾ يعني: تلكَ الحجارةَ ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: مشركي مكة ﴿بِبَعِيدٍ﴾ أي: بمكانٍ بعيدٍ.

***

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾.

[٨٤] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ أي: وأرسلْنا إلى مَدْيَنَ ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ وكان قومُ شُعيبٍ يُطَفِّفُونَ معَ شِرْكِهم، فقال: ﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أي: لا تَبْخَسوا.

﴿إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ سَعَةٍ وخِصْبٍ، فلا حاجةَ لكم إلى التَّطْفيفِ ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ يحيطُ بكم فيهلِكُكُم، والمرادُ: يومُ القيامةِ. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي أَرَاكُمْ) (إِنِّي أَخَافُ) بإسكانِ الياء، وافقَهم الكسائيُّ في (إِنِّي أَرَاكُمْ)[١].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ﴾ أَتِمُّوا ﴿ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ بالعدلِ.

﴿ وَلَا تَبۡخَسُواْ ﴾ لا تَنْقُصوا ﴿ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ أي: لا تَسْعَوْا في فسادٍ.

***

﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ ﴾ أي: ما أبقاه اللهُ لكمْ من الحلال. وقفَ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ على (بَقِيَّة) بالهاءِ[1]، ﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ من التطفيفِ.

﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ ﴾ لأنه لا ينتفعُ بالثوابِ إلا مؤمنٌ.

﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾ أحفظُكم من القبائح، إنْ عَلَيَّ إلا البلاغُ.

***

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] وكانَ شعيبٌ ﷺ كثيرَ الصلاةِ ﴿ قَالُواْ ﴾ لهُ سُخريةً واستهزاءً:

= (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٨).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٩).

﴿ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ من الأوثانِ.

﴿ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ ﴾ من البَخْسِ والتَّطفيفِ.

﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ قالوهُ استهزاءً به، وأرادوا: الضَّالَّ السَّفيهَ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (أَصَلاَتُكَ) بحذفِ الواوِ على التوحيدِ، والباقونَ بإثباتها على الجمع[1]، واختلافُهم في الهمزتينِ مِنْ (نَشَاءُ إِنَّكَ) كاختلافِهم فيهما من (يَشَاءُ إِلَى) في سورةِ البقرة [الآية: ١٤٢].

* * *

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ بصيرةٍ.

﴿ مِّن رَّبِّى ﴾ وهو ما آتاهُ الله من العلمِ والنبوةِ.

﴿ وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ مالاً حلالاً، وجوابُ الشرطِ محذوفٌ تقديرُه: فهلْ يسعُ لي مع هذا الإنعام أن أشوبَ الحلالَ بالحرامِ.

﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ المعنى: ما أريدُ أن أنفردَ بشهواتِكُم اللاتي نهيتُكم عنها لأَستبدَّ بها دونَكُم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٩).

﴿ إِنۡ أُرِيدُ ﴾ فيما آمرُكُم به وأنهاكُمْ عنه.

﴿ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ ﴾ مُدَّةَ استطاعتي.

﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ أي: لا أقدرُ على توفيقِ نفسي، فكيفَ توفيق غيري؟ والتوفيقُ: تسهيلُ سُبُلِ الخيرِ. قرأ الكوفيون، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ (تَوْفِيقِي) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها[1] ﴿ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ اعتمدْتُ.

﴿ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ أرجعُ في جميعِ أموري.

* * *

﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ (٨٩) ﴾.

[٨٩] ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ ﴾ خِلافي. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (شِقَاقِي) بإسكانِ الياءِ، والباقون: بفتحِها[2].

﴿ أَن يُصِيبَكُم ﴾ أي: على فعلٍ يصيبُكم.

﴿ مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ ﴾ من الغرقِ.

﴿ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ ﴾ من الريحِ ﴿ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ ﴾ من الصَّيْحَةِ.

﴿ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾ لأنهم قريبو المنازلِ والهلاكِ منكم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣١).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، والمصادر السابقة.

﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

[٩٠] ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ عمَّا أنتم عليه .

﴿ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ ﴾ عظيمُ الرحمةِ للتائبين ﴿ وَدُودٌ ﴾ مُحِبٌّ أولياءَهُ .

* * *

﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ .

[٩١] وجاءَ في الخبر : «أَنَّ شُعَيباً كانَ خطيبَ الأنبياءِ»(١) ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ ﴾ لا نفهمُ ﴿ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ احتقاراً بكَ .

﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ ﴾ عاجزاً عن التصرُّفِ ، وذلك أنه كانَ ضريرَ البصر .

﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴾ عشيرتُك ﴿ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ ﴾ لقتلْناكَ بالحجارةِ ، والرجمُ : أقبحُ القتلِ ، وقالوا ذلكَ تألُّفاً لقومِه ؛ لأنهم كانوا على دينهم لا خوفاً منهم ؛ لأنَّ الرهطَ ما دونَ العشرةِ .

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ تمنعُنا عِزَّتُكَ عن الرجمِ ، بل قومُكَ الأعزةُ .

* * *

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

[٩٢] ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ ﴾ أترون رهطي .

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٧١)، عن محمد بن إسحاق . وانظر : «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠/ ٦٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٥٠٤).

﴿أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: أَهْيَبُ عندَكم من الله. قرأ الكوفيون، ويعقوبُ، وهشامٌ عنِ ابنِ عامرٍ: (أَرَهْطِي) بإسكانِ الياءِ، والباقون: بفتحِها[1].

﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ أي: كالمنبوذِ وراءَ ظهورِكم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (وَاتَّخَذْتُمُوهُ) بإظهارِ الذالِ عندَ التاء، والباقونَ: بالإدغام[2].

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ خبرٌ في ضمنِه توعُّدٌ، ولفظُ الرجالِ والرهطِ لا يعمُّ النساءَ، ويعمُّ الناسَ ونحوَه الكلُّ بالاتفاقِ، والقومُ للرجالِ، ولهنَّ تبعاً.

* * *

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾.

[٩٣] ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ قُوَّتِكم طالبينَ هلاكي. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (مَكَانَاتِكُمْ) بالألف على الجمع، والباقون: بغيرِ ألفٍ على التوحيدِ.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٢).

﴿ إِنِّي عَـٰمِلٌ ﴾ بقوةِ اللهِ ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ أيُّنا الجاني على نفسِه، والمخطىءُ في فعلِه، فذلكَ قولُه: ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ يُذِلُّهُ.

﴿ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ ﴾ فسيعلمُ كذبَهُ ويذوقُ وبالَ أمرِه.

﴿ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ ﴾ انتظروا العذابَ.

﴿ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ أرقُبُ نزولَ عذابِكم.

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ قيل: صاحَ بهم جبريلُ صيحةً، فخرجَتْ أرواحُهم من أجسادِهم، أُنِّثَ الفعلُ على لفظِ الصيحةِ، وقالَ في قصةِ صالحٍ: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ فذُكِّر على معنى الصِّياحِ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: «ما أهلكَ اللهُ أُمَّتينِ بعذابٍ واحدٍ إلا قومَ صالحٍ وقومَ شُعيبٍ أهلكَهم اللهُ بالصيحةِ، غيرَ أنَّ قومَ صالحٍ أخذَتْهم الصيحةُ من تحتِهم، وقومَ شعيبٍ من فوقِهم»[١].

﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴾ ميتين.

* * *

﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ ﴾ لم يُقيموا ﴿ فِيهَآ ﴾ في الأرضِ ﴿ أَلَا بُعْدًا ﴾ هلاكاً.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٩٢).

﴿ لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ﴾ هَلَكَتْ ﴿ ثَمُودُ ﴾ شَبَّهَهم بهم؛ لأن عذابَهم كانَ شبيهاً بعذابِهم.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ بالتوراةِ.

﴿ وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ حُجَّةٍ بينةٍ.

* * *

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ والملأُ: الجمعُ من الرجالِ.

﴿ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾ بالكفرِ بموسى ﴿ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ أي: ليسَ بمصيبٍ في مذهبِهِ، ولا مفارقٍ للسفاهةِ.

* * *

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ ﴾ المغرَقين مَعه؛ أي: يتقدَّمُهم.

﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ﴾ أدخلَهم.

﴿ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ أي: المدخلُ المدخولُ فيه، وأوقعَ الفعلَ الماضي في (أَوْرَدَهُمْ) موقعَ المستقبلِ؛ للإيذانِ أن ذلكَ واقعٌ لا محالةَ؛ لأنَّ الماضيَ متيقَّنُ الوجودِ.

﴿ وَٱتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ﴿ وَٱتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ يُلْعَنون أيضاً بدخولِهم في جهنمَ.

﴿ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ أي: بئسَ العونُ المعانُ، وقيل: بئسَ العطاءُ المعطَى لهم، والرفدُ في كلامِ العربِ: العَطِيَّةُ.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا ﴾ من القرى ﴿ قَآئِمٌ ﴾ ما بقي حيطانُه وسقطَتْ سُقوفُهُ ﴿ وَحَصِيدٌ ﴾ انمحَق أثرُه. قرأ أبو عمرٍو: (المَرْفُود ذَّلِكَ) بإدغام الدالِ في الذالِ[1].

* * *

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ لم نُهْلِكْهم ظلماً ﴿ وَلَٰكِن ﴾ كانوا أنفسَهم يظلمونَ ﴿ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ بالشِّركِ.

﴿ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ أي: نزلَ عذابُه ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ ﴾ أي: الأصنامُ بعبادتِهم.

﴿ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ تخسيرٍ.

---

(١) ذكرها الصفاقسي في «الغيث» (ص: ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٣)، عن حمزة والكسائي وورش.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[١٠٢] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ﴾ أي: مثلُ ذلكَ الأخذِ أخذُ ربِّكَ.

﴿ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ أي: وأهلُها ظالمونَ، فحذفَ المضافَ؛ مثلَ: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾.

﴿ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ وَجيعٌ، وهو مبالغةٌ في التهديدِ، قالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ لَيُمْلي لِلظَّالِمِ، حتَّى إذا أَخذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثم قرأ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ الآية»[١].

* * *

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

[١٠٣] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾ لعبرةً.

﴿ لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ يعتبرُه عظةً.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يومُ القيامةِ ﴿ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ ﴾ المعنى: يُجْمَعُ الأولونَ والآخِرون جميعاً ثَمَّ ﴿ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ فيهِ على جميعِ الخلقِ ولَهُمْ.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٤٤٠٩)، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ ...﴾، ومسلم (٢٥٨٣)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ ﴾ أي: ذلكَ اليومَ. قرأ يعقوبُ: (يُؤَخِّرُهُ) بالياء، والباقون: بالنون، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: بفتح الواوِ بغيرِ همزٍ[١].

﴿ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٖ ﴾ معلومٍ عندَ اللهِ.

* * *

﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ ﴾ الضميرُ عائدٌ إلى (يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ). قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ: (يَأْتِي) بإثباتِ الياءِ وصلاً، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ: بإثباتِها في الحالَينِ، والباقون: بحذفِها في الحالَينِ، فالقراءةُ بالإثباتِ على الوصلِ، وبالحذفِ اكتفاءً بالكسرةِ[٢].

﴿ لَا تَكَلَّمُ ﴾ لا تتكلَّمُ ﴿ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ في الشفاعةِ، وكُلُّ الخلائقِ سُكوتٌ إلاَّ مَنْ أذنَ له في الكلامِ. قرأ البزيُّ عنِ ابنِ كثيرٍ: (لا تَّكَلَّمُ) بالمدِّ وتشديدِ التاءِ.

﴿ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ ﴾ بالعذابِ ﴿ وَسَعِيدٞ ﴾ بالنعيمِ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٤ـ١٣٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٥).

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ ﴾ باستحقاقِهم النارَ بالكفرِ والمعصيةِ ﴿ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ هو تردُّدُ النفسِ من شِدَّةِ الحزنِ ﴿ وَشَهِيقٌ ﴾ صوتٌ مُمْتَدٌّ.

***

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

[١٠٧] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ أي: سمواتُ الآخرةِ وأرضُها؛ فإنَّ لهما سماءً وأرضاً، بدليل قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم:٤٨]، وتلكَ دائمةٌ أبداً، وقوله: ﴿ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ [الزمر:٧٤]، ولأنه لا بدَّ لأهلِ الآخرةِ مما يُقلُّهم ويُظِلُّهم إما سماءٌ يخلقُها الله، أو يظلُّهم العرشُ، وكلُّ ما أظلَّكَ، فهو سماءٌ.

﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ استثناءٌ من الخلودِ في النارِ؛ لأنَّ بعضَهم، وهم فُسَّاقُ الموحِّدين، يخرجونَ منها ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ من غيرِ اعتراضٍ.

***

﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

[١٠٨] ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾ باستحقاقِهم الجنةَ بالإيمانِ والطاعةِ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (سُعِدُوا) بضمِّ السين، من سُعِدَ بمعنى أُسْعِدَ، والباقونَ: بفتحِها من سَعِدَ، وهما لغتان[1].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، =

﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ إلاَّ من دخلَ النارَ من عُصاةِ المؤمنين، فإنَّهم مفارقونَ الجنة أيامَ عذابِهم، وهمُ المرادُ بالاستثناءِ الأولِ، تلخيصُه: عذابُ الفريقينِ ونعيمُهم دائماً أبداً إلا قدرَ مشيئةِ اللهِ تعالى فيهم بما يشاءُ ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ مقطوعٍ.

* * *

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾.

[١٠٩] ثم قال تعالى مُخاطباً نبيَّه ﷺ، والمرادُ غيرُه: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ شكٍّ.

﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إنَّهم ضُلاَّلٌ.

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا﴾ كان.

﴿يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ تقليداً لآبائِهم من غيرِ دليلٍ.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ حَظَّهم من العذابِ ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ أي: وافياً.

* * *

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراةَ.

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فمِنْ مصدِّقٍ به ومكذِّبٍ كما فعلَ قومُكَ بالقرآنِ.

= و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٥).

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بتأخيرِ العذابِ عنهم.

﴿ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ بإهلاكِ الكفارِ، وإنجاءِ الأبرارِ.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ من القرآنِ.

﴿ مُرِيبٍ ﴾ موقعِ الريبةِ، وهي قلقُ النفسِ.

* * *

﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾.

[١١١] ﴿ وَإِنَّ كُلًّا ﴾ أي: وإنَّ كلاً من الأممِ التي عَدَدْناهم المختلفينَ، المؤمنينَ منهم والكافرين. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (وَإِنْ) بإسكانِ النونِ على إعمالِ المُخَفَّفَةِ عملَ الثقيلةِ اعتباراً لأصلِها الذي هو التثقيلُ، وقرأ الباقون: بتشديدها(١).

﴿ لَّمَّا ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ: بتشديد الميمِ، والباقونَ: بالتخفيف(٢)، ووجهُ تخفيفِ (لما) أن اللامَ هي الداخلةُ في خبرِ (أَنَّ) المخفَّفةِ والمشدَّدةِ، و(ما) زائدةٌ، واللامُ في ﴿ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ ﴾ جوابُ قسمٍ محذوفٍ، وذلك القسمُ في موضعِ خبرِ (إن)، و(لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) جوابُ ذلكَ القسمِ المحذوفِ، والتقديرُ: وإنَّ كلاً لأُقْسِمُ لَيُوفينهم، ووجهُ تشديدِ (لَمَّا) الجازمةِ حذفُ الفعلِ المجزومِ؛ لدلالةِ المعنى عليه، والتقدير: وإنَّ كلاً لما ينقص من جزاءِ عملِه، ويدلُّ عليه قولُه:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٦).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ ﴾ لما أخبرَ [بعدم][1] انتقاصِ جزاءِ أعمالِهم، أَكَّدَهُ بالقسمِ، قالتِ العربُ: قاربتُ المدينةَ ولما؛ أي: ولما أدخلْها، فحذفَ أدخُلْها؛ لدلالةِ المعنى عليه، والله أعلمُ، تلخيصُه: وإنَّ جميعَهم واللهِ ليوفينَّهم ربُّكَ أعمالَهم من حسنٍ وقبيحٍ، وإيمانٍ وجحودٍ.

﴿ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ.

***

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾.

[١١٢] قال ﷺ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُها»، قيلَ: أَشَيَّبَكَ منها قصصُ الأنبياءِ وهلاكُ الأممِ الماضية؟ قالَ: «لا، ولكنْ قولُه: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾»[2] أي: افتقرْ إلى اللهِ تعالى بصحَّةِ العزمِ، والاستقامةُ: التبرُّؤُ من الحولِ والقوةِ، وقيل: هي الميلُ إلى العدلِ.

﴿ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ أي: وليستقمِ المؤمنُ معك.

﴿ وَلَا تَطْغَوْاْۚ ﴾ لا تَخرجوا عن حدودِ الله.

﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ لا يَخْفى عليه من أعمالِكم شيءٌ.

***

---

(١) (بعدم) لم ترد في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٣٩)، عن أبي علي السّري: أنه رأى النبي ﷺ في رؤيا فقال: يا رسول الله! روي عنك أنك قلت: شيبتني...، فذكره.

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾.

[١١٣] ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ تَطْمَئِنُّوا وتسكُنوا إلى قولِهم، والركونُ: هو المحبةُ والميلُ بالقلبِ ﴿ فَتَمَسَّكُمُ ﴾ فتُصيبَكم.

﴿ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ أي: أعوانٍ يحفظونَكم من العذابِ ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.

عن بعضِهم: أنه سمعَ هذهِ الآيةَ، فغشيَ عليه، فلما أفاقَ، قيلَ له في ذلكَ، فقال: هذا لمن رَكَنَ، فكيفَ بمن ظَلَمَ.

***

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾.

[١١٤] ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ أولَه وآخرَه، يعني: صلاةَ الصبحِ والمغربِ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسنُ، ورجَّحه الطبريُّ، وقيلَ غيرُ ذلك[١]. قرأ أبو عمرٍو: (الصَّلاة طَّرَفَي) بإدغام التاء في الطاء[٢].

﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ ساعاتِه، واحدتُها زُلْفَةٌ. قرأ أبو جعفرٍ: (وَزُلُفاً) بضمِّ اللام، والباقون: بالفتح[٣].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١٢٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٨).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ الصلواتِ الخمسَ.

﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الخطيئاتِ، نزلَتْ فيمَنْ ألمَّ بما لم يَحِلَّ.

عن ابنِ مسعودٍ أن رجلاً أصابَ من امرأةٍ قبلةً حراماً، فأتى النبيَّ ﷺ، فسألَهُ عن ذلكَ وكفارتِها، فنزلتِ الآيةُ، فقالَ الرجلُ: ألي هذهِ يا رسولَ الله؟ فقال: «لكَ ولمن عملَ بها من أمتي»(١).

وقال ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبائِرُ»(٢).

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكورُ من الوصيةِ بالاستقامةِ وتركِ الطغيانِ والميلِ إلى الظالمين ﴿ذِكْرَىٰ﴾ موعظةٌ ﴿لِلذَّٰكِرِينَ﴾ أي: لمن ذكرَهُ، وخصَّهم بالذكرِ؛ لأنهم المنتفعونَ بهِ.

* * *

﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾.

[١١٥] ﴿وَٱصْبِرْ﴾ يا محمدُ على ما تلْقى من أذى قومِكَ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في أعمالِهم.

* * *

= (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٨).

(١) رواه البخاري (٥٠٣)، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: الصلاة كفارة، ومسلم (٢٧٦٣)، كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

(٢) رواه مسلم (٢٣٣)، كتاب: الطهارة، باب: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة....، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

[١١٦] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ أي: فهلاَّ ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ التي أهلَكْناهم.

﴿ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ والآيةُ للتوبيخِ.

﴿ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ ﴾ أي: ذوو جودٍ وخيرٍ، وسُمِّيَ الفضلُ والجودةُ بقيةً؛ لأنَّ الرجلَ يستبقي أفضلَ ما يخرجُه، يقالُ: هو من بقيةِ الناسِ؛ أي: خيارِهم. قرأ ابنُ جمازٍ عن أبي جعفرٍ (بِقْيَةٍ) بكسرِ الباءِ وسكونِ القافِ وفتحِ الياءِ مخففةً، والباقون: بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء[١]، معناه: فهلاَّ كانَ من القرونَ من قبلِكم أولو بقيةٍ من خيرٍ.

﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: يقومون بالنهي عن الفسادِ، ومعناه جَحْدٌ؛ أي: لم يكنْ فيهم أولو بقيةٍ ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكنَّ قليلاً.

﴿ مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ نَهَوا عن الفسادِ، وهم أتباعُ الأنبياءِ، و(مِنْ) في (مِمَّنْ) للبيانِ لا للتبعيضِ، تقديرُه: لكنَّ قليلاً منهم أنجيناهُم؛ لأنهم كانوا كذلكَ.

﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ ﴾ نُعِّموا ﴿ فِيهِ ﴾ من الشهواتِ.

﴿ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ كافرينَ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٨).

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

[١١٧] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ منهُ لهم، تعالى عن ذلك.

﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ لأعمالِهم مؤمنونَ.

* * *

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ مسلمينَ كلَّهم.

﴿ وَلَا يَزَالُونَ ﴾ أي: أهلُ الباطلِ ﴿ مُخْتَلِفِينَ ﴾ على أديانٍ شتى؛ من بين يهوديٍّ، ونصرانيٍّ، ومجوسيٍّ، ومشركٍ.

واختلفَ الأئمةُ في حكمِ المللِ، فقال أبو حنيفةَ: الكفرُ ملَّةٌ واحدةٌ؛ لأنه ضلالٌ، وهو ضدُّ الإسلام، ويتوارثون، وإذا تنصَّرَ يهوديٌّ، أو عكسُه، تُرِكَ على حالِهِ، ولا يُجبَرُ على الإسلام.

وقال مالكٌ: الكفرُ مللٌ شَتَّى، فلا تَوارُثَ بينَ اليهوديِّ والنصرانيِّ، وأما إذا انتقلَ الكافرُ من ملَّة إلى أخرى، أُقِرَّ على كفرِهِ، وأُخِذَتْ منه الجزيةُ، كقول لأبي حنيفةَ.

وقال الشافعيُّ: الكفرُ ملَّةٌ واحدةٌ، ويتوارثون؛ كقولِ أبي حنيفة، لكن لا توارثَ بينَ ذميٍّ وحربيٍّ، وأما إذا تنصر يهودي، أو عكسه، أو تهوَّدَ وثنيٌّ، أو تنصَّرَ، فلا يُقبل منهُ بعدَ انتقالِه إلا الإسلامُ، أو القتلُ.

وقالَ أحمدُ: الكفرُ مللٌ شتَّى مختلفةٌ، فلا يتوارثونَ مع اختلافِ مِلَلِهم؛ كقولِ مالكٍ، وأما إذا تهوَّدَ نصرانيٌّ، أو عكسُه، لم يُقبلْ منه إلا الإسلامُ، أو

الدينُ الذي كانَ عليه، وإن انتقلَ كتابيٌّ أو مجوسيٌّ إلى غيرِ دينِ أهلِ الكتابِ، لم يُقَرَّ، ويؤمرُ أن يسلمَ، فإن أبى، قُتِلَ وإن انتقلَ غيرُ الكتابيِّ إلى دينِ أهلِ الكتابِ، أُقِرَّ وكذا الوثنيُّ إذا تمجَّسَ، والله أعلم.

* * *

﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) ﴾.

[١١٩] ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ أي: لكنْ من رحمَ ربُّكَ، فهداهُ إلى الحقِّ فهم لا يختلفون ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ أي: للرحمةِ، يعني: الذين رحمَهم، وقيلَ: معناه: للاختلافِ خلقَهم.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ وجبَ حكمُه، وهو.

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ أي: من عُصاتِهما.

﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ واللام في (لأملأنَّ) لامُ القسم، إذِ الكلمةُ تتضمَّنُ القسمَ، والجنُّ جمعٌ لا واحدَ له من لفظِه، والجِنَّةُ للمبالغةِ، وإن كانَ الجنُّ يقعُ على الواحدِ، فالجِنَّةُ جمعُهُ.

* * *

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) ﴾.

[١٢٠] ﴿ وَكُلًّا ﴾ أي: كلَّ نبأٍ ﴿ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾ أخبارِهم.

﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ أي: لنثبتَ، أي: نسكِّنَ بهِ فؤادكَ؛ لتزدادَ يقيناً،

ويقوى قلبُك. قرأ ورشٌ عن نافعٍ (فُوَادَكَ) بفتحِ الواو وبغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمز[1].

﴿ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ﴾ أي: السورةِ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ صدقُ الأنبياءِ.

﴿ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيتَّعظون بما جرى للأممِ.

* * *

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾.

[١٢١] ثم تهدَّدَهم بقوله ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ على حالِكم ﴿ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴾ على حالِنا. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (مَكَانَاتِكُمْ) على الجمعِ، والباقونَ على الإفرادِ.

* * *

﴿ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

[١٢٢] ﴿ وَٱنتَظِرُوٓا۟ ﴾ بنا الدوائرَ ﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ حلولَ النقمِ بكم.

* * *

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

[١٢٣] ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: علمُ ما غابَ عن العبادِ فيهما.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٠).

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ في المعادِ. قرأ نافعٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يُرْجَعُ) بضم الياء وفتح الجيم؛ أي: يُرَدُّ، والباقون: بنصب الياءِ وكسرِ الجيم؛ أي: يعودُ حتى لا يكونَ للخلقِ أمرٌ[1].

﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ ثِقْ به؛ فإنه كافيك.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[2].

وتقدَّمَ في أولِ سورةِ الأنعامِ ما رُوي عن كعبٍ أنه قال: «فاتحةُ التوراةِ فاتحةُ الأنعامِ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ إِلَى ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ وخاتمةُ التوراةِ خاتمةُ هودٍ ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾»[3].

عن أبي بكرٍ رضي الله عنه قال: يا رَسُولَ اللهِ! شِبْتَ، قالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلاَتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»[4]، والله أعلم.

* * *

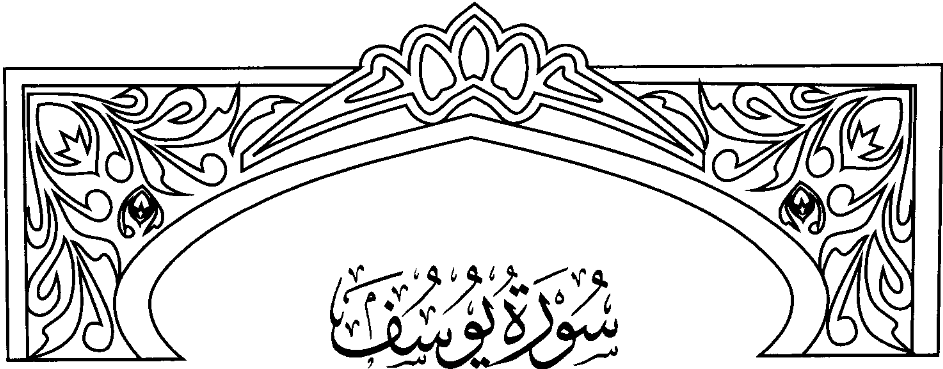
---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٠-١٤١).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الترمذي (٣٢٩٧)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الواقعة، وقال: حسن غريب، وأبو يعلى في «مسنده» (١٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١٤)، وغيرهم.



عليه السلام

مكيةٌ، آيُها مِئَةٌ وإحدى عشرةَ آيةً، وحروفُها سبعةُ آلافٍ وثلاثةٌ وأربعونَ حرفاً، وكَلِمُها ألفٌ وستٌّ وسبعونَ كلمةً.

عن ابنِ عطاءٍ: لا يسمعُ سورةَ يوسفَ محزونٌ إلا استروَحَ(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رُوِيَ أنَّ اليهودَ سألوا رسولَ اللهِ ﷺ عن قصةِ يوسفَ عليه السلام، فنزلتِ السورةُ، ولم يتكررْ من معناها في القرآن شيءٌ كما تكررتْ قصصُ الأنبياءِ عليهم السلام(٢).

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١﴾.

[١] قوله عز وجل: ﴿الٓرۚ﴾ تقدَّمَ الكلامُ عليه، ومذاهبُ القراء فيه في أولِ سورةِ يونسَ.

﴿تِلۡكَ﴾ أي: هذهِ السورةُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أي: البيِّن حلالُه

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٣٤).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ١١٨).

وحرامُه وحدودُه وأحكامُه؛ من أبانَ بمعنى: أظهرَ.

* * *

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾.

[٢] ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ أي: الكتابَ المتضمِّنَ قصةَ يوسفَ وغيرَها.

﴿ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾ بِلُغَتِكم. قرأ ابنُ كثيرٍ (قُرَاناً) بالنقل[1]، و(قرآناً) حالٌ و(عربياً) صفةٌ له.

﴿ لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ لكي تعلموا معانيَهُ، وتفهموا ما فيه، والعقلُ: إدراكُ معنى الكلام.

* * *

﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ ﴾.

[٣] ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾ نبين لك خبرَ مَنْ تقدَّمك أحسنَ بيانٍ.

﴿ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ ﴾ بإيحائنا ﴿ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ أي: هذه السورةَ.

﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾ أي: وقد كنتَ قبلَ القرآنِ.

﴿ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ أي: الساهِين عن قصةِ يوسفَ لا تعلَمُها.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٥).

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾.

[٤] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ أي: واذكرْ إذ قالَ يوسفُ.

﴿لِأَبِيهِ﴾ ويوسفُ اسمٌ عبرانيٌّ لا يجري فيه الإعرابُ.

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (يَا أَبَتَ) بفتحِ التاءِ حيثُ وقعَ على تقديرِ: يا أبتاهُ، ووقفاً (يَا أَبَهْ) بالهاءِ الساكنة، ووافقهما على الوقف ابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ، وقرأ الباقون، ومنهم ابن كثيرٍ، ويعقوبُ: بكسر التاءِ؛ لأن أصلَه (يا أَبَهْ)، والجزمُ يحرَّكُ إلى الكسرِ[١].

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: (أَحَدَ عْشَرَ) بإسكانِ العين، والباقون: بفتحها[٢].

﴿كَوْكَبًا﴾ أي: نجماً من نجومِ السماءِ.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ ولم يقل: رأيتها لي ساجدةً، جمعَهم جمعَ العقلاء؛ لوصفِهم بالسجودِ.

وكان يوسفُ قد رأى في نومِه وهو ابنُ اثنتي عشرةَ سنةً ليلةَ القدرِ، ورأى أن أحدَ عشرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ قد نزلوا فسجدوا له.

روي عن جابرٍ: أن يهودياً جاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: يا محمدُ!

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣١، ٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٦).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٧).

أخبرْني عن النجومِ التي رآهنَّ يوسفُ، فسكتَ رسولُ الله ﷺ، فنزلَ جبريلُ فأخبرَه بذلك، فقال عليه السلام لليهوديِّ: «إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِذَلِكَ هَلْ تُسْلِمُ؟»، قال: نعم، قال: «جَرْبَانُ؛ وَالطَّارِقُ، والذَّيالُ، وقَابِسٌ، وَعَمُودَان، وَالْفُلَيْقُ، وَالْمُصَبِّحُ، وَالصَّروخُ، وَالفَرْغُ، وَوَثَّابٌ، وَذُو الْكَتِفَيْنِ رَآهَا يُوسُفُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ نَزَلْنَ مِنَ السَّمَاءِ، وَسَجَدْنَ لَهُ»، فقالَ اليهوديُّ: إي واللهِ إنها لأسماؤها[1].

وكان النجومُ في التأويلِ إخوتَه، وكانوا أحدَ عشرَ؛ لأنه يُستضاء بالإخوةِ كما يُستضاءُ بالكواكبِ، وَالشَّمسُ أُمُّه، والقمرُ أبوه.

***

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾.

[٥] فلما ذكر ذلك لأبيه ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (يا بُنَيَّ) بفتحِ الياءِ، والباقونَ: بكسرِها، وتصغيرُ (بني) للشفقةِ[2].

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ فهمَ يعقوبُ عليه السلام من رؤياه أنَّ اللهَ يصطفيهِ لرسالتِه، ويفوقُ على إخوتِه، فخافَ عليه حسدَهم، فأمره

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠١)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٥٩)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨١٩٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٧).

بالكتمان. قرأ الكسائيُّ بخلافٍ عنه: (رُؤْيَاكَ) بالإمالةِ[1].

﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ فيحتالون في هلاكِك؛ لأنهم يعلمونَ تأويلَها.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ﴾ يحملُهم على الحسدِ والكيدِ.

﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهرُ العداوةِ بيِّنُها.

قال ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ، فَلاَ يُحَدِّثْ بِهِ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، فَلاَ يُحَدِّثْ بِهِ، وَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ شَرِّ مَا رَأَى؛ فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ»[2].

***

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يقولُه يعقوبُ عليه السلام ليوسفَ؛ أي: كما رفعَ منزلتَكَ بهذهِ الرؤيا، فكذلك ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يصطفيكَ ﴿رَبُّكَ﴾ بما هو أعظمُ منها.

﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ أي: وهو يعلِّمُكَ ﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ تعبيرِ الرؤيا، وما يَؤُولُ أمرُها إليه، وكانَ يوسفُ أعبرَ الناسِ للرؤيا.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٧).

(٢) رواه البخاري (٦٦٣٧)، كتاب: التعبير، باب: إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، ومسلم (٢٢٦١)، كتاب: الرؤيا، عن أبي سلمة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ بالنبوةِ وباحتياجِ إخوتك إليكَ ﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ ﴾ أي: أولادِ ﴿ يَعْقُوبَ ﴾ بالنبوةِ أيضاً؛ لأنهم كانوا أنبياءَ.

﴿ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: أبيكَ وجدِّك؛ فإنَّ الجدَ أبٌ في الأصالةِ، يقالُ: فلانُ بنُ فلانٍ، وبينَهما عدةُ آباءٍ ﴿ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ بجعلِهما نبيَّيْنِ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴾ بمَنْ يستحقُّ الاجتباءَ ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في صنعِه، وكان بينَ رؤيا يوسفَ وتحقيقِها بمصيرِ أبيه وإخوتِه إليه أربعونَ سنةً في قولِ الأكثرِ.

* * *

﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ﴾ أي: في خبرِه وخبرِ إخوته، وهم روبيلُ، وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوى، ويهودا، وزلون، ويساخر وأمُّهم ليَّا بنتُ ليَّانَ، وهي ابنةُ خالِ يعقوبَ، وولد له من سُرِّيتينِ اسمُ إحداهما زُلْفَى، والأخرى بُلْهة أربعةٌ، وهم: دان، ونَفْتالي، وكاد، وأشر، ثم تُوفيت ليا، فتزوج يعقوبُ أختَها راحيل، فولدت له يوسفَ وبنيامين، فكان بنو يعقوبَ اثني عشرَ رجلاً.

﴿ ءَايَٰتٌ ﴾ عِظاتٌ ﴿ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ عنها، وغيرِ السائلين، وذلك أن اليهود لما سألوا رسولَ الله ﷺ عن قصةِ يوسفَ، فذكر لهم القصةَ، فوجدوها موافقةً لما في التوراةِ، فعجبوا منه، فهذا معنى قولِه تعالى: (لآياتٌ)؛ أي: دلالةٌ على نبوةِ محمدٍ رسولِ الله ﷺ. قرأ ابنُ كثيرٍ: (آيَةٌ)

على التوحيد، والباقون: (آياتٌ) على الجمعِ[1].

* * *

﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ ﴾ اللامُ فيه جوابُ القسم، تقديرُه: واللهِ ليوسفُ ﴿ وَأَخُوهُ ﴾ بنيامينُ.

﴿ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ وكان يعقوبُ شديدَ الحبِّ ليوسفَ، فكان يرى منه الميلُ إليه ما لا يرى لإخوته.

﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ جماعةٌ عشرةٌ تُعْصَبُ بنا الأمورُ، وفينا كفايةٌ، ويفضِّلُهما علينا، ولا كفايةَ فيهما؛ لصغرهما، وأصلُ العصبةِ والعصابةِ التَّعَصُّبُ والشَّدُّ، وتطلق على الثلاثةِ أو العشرةِ إلى الأربعين.

﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: خطأ من رأيهِ ظاهرٌ؛ لاختيارِهما علينا، وليسَ المرادُ الضلالَ عن الدين. **قرأ** أبو عمرٍو، وعاصمٌ، وحمزةُ، ويعقوبُ: (مُبينِ اقْتُلُوا) بكسرِ التنوينِ في الوصلِ لالتقاءِ ساكنِ التنوينِ والقافِ، **وقرأ** الباقونَ: بكسر النونِ وضمِّ التنوين إتباعاً لضمةِ التاءِ ومراعاةً لها، واختلِف عن ابنِ ذكوانَ في الكسرِ والضمِّ، والوجهانِ صحيحان عنه[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٠).

﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾ كانت هذهِ مقالَة شمعون، أو دان.

﴿ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ أي: أَبْعِدوه إلى أرضٍ بعيد من أبيه.

﴿ يَخْلُ ﴾ أي: يخلصْ ﴿ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ فيُقبِلُ بكلِّيته عليكم.

﴿ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ بعدَ يوسفَ والفراغِ من أمرِه.

﴿ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ يصلُحُ حالُكم عندَ أبيكم، وقيل: معنى (صالحين)؛ أي: تائبين، تُحْدِثوا بعد ذلك توبة، فيقبلُها الله منكم.

* * *

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ هو يهودا على الأصحِّ.

﴿ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾ نَهاهم عن قتلِه، وقال: القتلُ كبيرةٌ عظيمةٌ.

﴿ وَأَلْقُوهُ ﴾ اطرحوه ﴿ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ قَعرِه، والغَيابةُ: ما غابَ عن العينِ، والجبُّ: البئرُ التي لم تُطْوَ؛ لأنها جُبِّبَتْ من الأرض؛ أي: قُطعتْ، والبئرُ بينَ مصرَ ومدينَ على ثلاثةِ أميالٍ من منزلِ يعقوبَ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (غَيَابَاتِ) على الجمع[1].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٠).

في الموضعينِ، والباقون: (غَيَابَةِ) على الواحدِ فيهما.

﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ يأخذْه من غيرِ طلبٍ ولا قصدٍ ﴿بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرينَ.

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ ما عَزَمْتُم عليه من القتلِ؛ فإنَّ القتلَ عظيمٌ، وهم كانوا يومئذٍ بالِغينَ، ولم يكونوا أنبياءَ بعدُ.

وأما حكمُ اللقيطِ، وهو الطفلُ المنبوذُ، فالتقاطُه مندوبٌ عندَ أبي حنيفة، وعندَ الثلاثة فرضُ كفايةٍ، وهو حرٌّ مسلمٌ إن وُجِدَ في بلدٍ فيه مسلمٌ يولَدُ لمثلِه عندَ الثلاثةِ، وقال أبو حنيفةَ: إن التُقِطَ من بِيعَةٍ أو كنيسةٍ أو قريةٍ من قُراهم، فيكونُ ذِمِّياً، وأما حضانتهُ، فلواجِدِه إن كانَ عدلاً بالاتفاق، وما وُجِدَ معه فنفقتُه منه، وإلاَّ من بيتِ المالِ بالاتفاق، ومن ادَّعاهُ لحقَ به نَسَباً لا ديناً عندَ الثلاثةِ، وعن مالكٍ في استِلْحاقِ الملتقَطِ المسلمِ بغيرِ بينةٍ قولان، وفي مسلمٍ غير الملتقط أقوالٌ، ثالثُها: إن أتى بوجه، لحق؛ كمن زعمَ أنه طرحَه؛ لأنه لا يعيشُ له ولدٌ، وسمعَ أنه إذا طرحَهُ عاشَ، وأما الذميُّ، فإنه لا يلحقُه إلا ببينةٍ، وميراثُه وديتُه لبيتِ المالِ بالاتفاق.

وأما اللُّقَطَةُ، وهي المالُ الضائعُ من ربِّه، فقالَ أبو حنيفةَ: أخذُها أفضلُ، وقال مالكٌ: يُستحبُّ أخذُها بنيةِ حفظِها إنْ كانتْ مما لهُ خَطَرٌ، وقال الشافعيُّ: يُستحبُّ لواثقٍ بأمانةِ نفسِه، وقالَ أحمدُ: تركُها أفضلُ، ويجوزُ أخذُها لمن أمنَ نفسَه.

فمن وجدَ ما تقلُّ قيمتُه، ولا تتبعُه الهِمَّةُ، ملكَه بغيرِ تعريفٍ بالاتفاق، وأما الحيوانُ الممتنعُ بنفسِه؛ كبعيرٍ وفرسٍ ونحوِهما، فيجوزُ التقاطُه عندَ

أبي حنيفةَ، وعندَ الشافعيِّ إن وُجِدَ بمفازةٍ، جازَ التقاطُه للحفظِ، ويحرمُ للتملُّكِ، وإن وُجِدَ بقريةٍ، جازَ التقاطُه للتملُّكِ، وقالَ مالكٌ: لا يلتقطُ الإبلَ في الصحراءِ، وعنهُ في غيرِ الإبلِ خلافٌ، وقال أحمدُ: لا يجوزُ التقاطُها، ولا يبرأُ مَنْ أخذَها إلا بدفعِها إلى الإمامِ، وما عدا ذلكَ من سائرِ الأموالِ، فقال أبو حنيفةَ: يُعَرِّفُها مدةً يغلبُ على ظَنِّه أن صاحبَها لا يطلُبُها بعدَ ذلكَ الزمانِ الذي عَرَّفَ فيه، قال: وتعريفُ ما دونَ عشرةِ دراهمٍ أياماً بلا تقدير، وما فوقَها حولاً، ثم يتصدَّقُ بها إن شاءَ، فإن جاءَ صاحبُها، فأمضى الصدقةَ، وإلا ضمنَها الملتقِطُ أو المسكينُ إن شاءَ، وإن كانتْ قائمةً، أخذَها منه، ولا تُدفعُ إليه إلا ببينةٍ، ويحلُّ للملتقِط دفعُها بذكرِ علامةٍ، ولا يُجبر على ذلك، وقال مالكٌ: يُعَرِّفها سنةً، فإذا جاءَ طالبُها، فعرَفَها بعلامتها، دفعَها إليه بلا بيِّنةٍ، وإن لم يأتِ لها طالبٌ، فإن شاءَ تركَها في يده أمانةً، وإن شاءَ تصدَّقَ بها بشرطِ الضمانِ، وإن شاءَ تملَّكها على كراهةٍ، وقال الشافعيُّ: يعرِّفها سنةً، والحقير زمناً يظنُّ أن فاقدَه يُعرِضُ عنه غالباً، وإذا عَرَّفَ سنةً، لم يملكها حتى يختارَهُ بلفظ؛ كتملكتُ، فإذا ظهرَ المالكُ، أخذَها، وإن تلفتْ، غرمَ مثلَها أو قيمتَها يومَ التملُّكِ، وإن وصفَها، وظنَّ صدقَه، جازَ الدفعُ، ولا يجب، وقالَ أحمدُ: يعرِّفُها سنةً، ثم تدخلُ في ملكِه بعدَ الحولِ حكماً كالميراث، فمتى جاءَ طالبُها، فوصفَها، لزَم دفعُها إليه أو مثلُها إن هلكتْ بِلا بينةٍ.

ولا فرقَ بينَ لُقَطَةِ الحرمِ وغيرِه عندَ الثلاثةِ، وعند الشافعيِّ لا تحلُّ لقطةُ الحرمِ للتملُّكِ، ويجبُ تعريفُها قطعاً، والله أعلم.

***

﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] فلما أجمعَ إخوةُ يوسفَ على التفريقِ بينَه وبينَ والدِه بضربٍ من الحِيَلِ.

﴿ قَالُواْ ﴾ ليعقوبَ:

﴿ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ لِمَ تخافُنا عليه؟ بدؤوا بالإنكارِ عليه في تركِ إرسالِه معهم. وأجمعَ القراءُ على قراءةِ (مالَكَ لاَ تَأْمَنَّا) بإدغامِ النونِ الأولى في الثانية، واختلفوا في اللفظِ به، فقرأ أبو جعفرٍ بإدغامِه محضاً من غيرِ إشارةٍ، بل يلفظُ بنونٍ مفتوحةٍ مشدَّدةٍ، وهو على أصلِه في إبدالِ الهمزِ حرفَ مَدٍّ، وقرأ الباقونَ بالإشارة، واختلفوا فيها، فبعضُهم جعلَها رَوْماً، فيكونُ حينئذٍ إخفاءً، ولا يتمُّ معها الإدغامُ الصحيحُ، وبعضُهم جعلها إشْماماً، فيشيرُ إلى ضمِّ النونِ بعدَ الإدغامِ، فيصحُّ معه حينئذٍ الإدغامُ، قالَ ابنُ الجزريِّ: وبالقولِ الثاني قطعَ سائرُ أئمةِ أهلِ الأداءِ من مُؤَلِّفي الكتبِ، وحكاه أيضاً الشاطبيُّ، قال: وهو اختياري؛ لأني لم أجدْ نصاً يقتضي خلافَه، ولأنه الأقربُ إلى حقيقةِ الإدغامِ، وأصرحُ في اتباعِ الرسمِ، انتهى[(١)].

﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴾ قائمونَ بمصلحتِه وحِياطتِه حتى نردَّه إليكَ.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥١-١٥٢)، وذكر البغوي أن قراءة أبي جعفر هي رواية عن نافع أيضاً.

﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا ﴾ إلى الصحراءِ.

﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ نُنعِّمْ ونَلْهو. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: بالنونِ فيهما، وابنُ كثيرٍ: بكسرِ العين من (نَرْتَعِ)، وروايةُ قنبل يثبتُ الياءَ بعدَ العينِ وصلاً ووقفاً، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: بالياء فيهما معَ كسرِ العين من (يَرْتَعِ)، وقرأ الباقون، وهم: الكوفيون، ويعقوبُ: بالياءِ فيهما معَ إسكانِ العين من (يَرْتَعْ)؛ كأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ، فالقراءةُ بالنون فيهما أُسندَ الفعلُ إلى جميعِهم، ولم يكونوا أنبياءَ يومئذٍ، وبالياء فيهما أُسنِدَ الفعلُ إلى يوسفَ، وبكسر العين من (نَرْتَعِ) من الرعي، فلامُه ياء حُذِفَتْ للجزم، وبقيت الكسرةُ تدلُّ عليها، وبإسكانِ العين جزماً جواباً (لأرسلْه)(١).

﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ أن ينالَه مكروهٌ.

***

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ قَالَ ﴾ لهم يعقوبُ: ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ ﴾ قرأ نافعٌ (لَيُحْزِنُنِي) بضمِّ الياءِ وكسرِ الزاي، والباقون: بفتحِ الياءِ وضمِّ الزاي، وفتحَ أبو جعفرٍ،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٢-١٥٤).

ونافعٌ، وابن كثيرٍ ياءَ الإضافةِ، وأَسكنها الباقون[1].

﴿أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ أي: ذهابُكم به، والحزنُ هاهنا ألمُ القلبِ بفراقِ المحبوبِ.

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾، وكان يعقوبُ قد رأى في منامِه أن الذئبَ قد شَدَّ على يوسفَ، فكانَ يخافُ من ذلك ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ مشغولون بعملِكم. قرأ أبو جعفرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وورشٌ عن نافعٍ: (الذِّيبُ) بإسكان الياء بغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمز[2].

***

﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (١٤)﴾.

[١٤] ﴿قَالُواْ لَئِنْ﴾ التقديرُ: واللهِ لَئِنْ ﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ عَشَرَةٌ، وجوابُ القسم ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ ضعفاءُ مغبونونَ.

***

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥)﴾.

[١٥] ثم قالوا ليوسف: أما تحبُّ الخروجَ معنا؟ قال: بلى، قالوا:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٩٦، ٢٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٤-١٥٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩١-٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٥).

فسل أباكَ، قال: يا أَبي! إني أَرى من إخوتي اللطفَ فأُحِبُّ أن ترسلَني معهم إلى الصحراءِ، فأرسلَهُ.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ جعَلوا يحملونَه على عواتِقِهم إكراماً لهُ، وسروراً به، فلما أَبعدوا به عن العيون، أَلْقَوه، وجعلوا يضربونَهُ، وكلما لجأَ إلى واحدٍ منهم، ضربَهُ، ولا يزدادُ عليهِ إلا غلظةً وحنقاً، وجعلَ يبكي بكاءً شديداً، وينادي: يا أبتاه! يا يعقوبُ! ما أسرعَ ما نَسُوا عهدَكَ، وضَيَّعوا وَصِيَّتَكَ، لو تعلمُ ما يَصنعُ بابنِك أولادُ الإماءِ! قالوا: فأخذَه روبيلُ فجلدَ بهِ الأرضَ، وثبتَ على صدره، وأرادَ قتلَه، فقال: مهلاً يا أخي، لا تقتلْني، فقال له: قُلْ لرؤياكَ تُخَلِّصُك من أيدينا، ولوى عنقَه ليكسرَها، فنادى: يا يهودا! وكان أرفقَهم به اتَّقِ اللهَ وحُلْ بيني وبينَ من يريدُ قتلي، فأخذَتْه رقةٌ ورحمةٌ، فقال يهودا: ألستُمْ قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه؟ قالوا: بلى، قال: فأنا أدلُّكم على ما هو خيرٌ لكم من القتل، ألقوه في الجبِّ، قالوا: نفعلُ.

﴿وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ﴾ عزموا على إلقائهِ.

﴿فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه، واختلافُ القراءِ فيهِ، ومحلُّ الجبِّ عندَ تفسيرِ الحرفِ المتقدِّمِ، وجعلَ يوسفُ يتعلَّق بثيابِهم، فنزعوها من يديه، فتعلق بشفيرِ البئر، فربطوا يديه، ونزعوا قميصَه لما عزموا عليه من الكذبِ، فقال: يا إخوتي! ردوا عليَّ ثوبي أسترُ به عورتي في حياتي، ويكونُ كفناً لي بعدَ مماتي، فلم يفعلوا، وألقوه، وكان يعقوبُ قد جعلَ قميصَ إبراهيمَ الذي كُسِيه لما أُلْقِي في النار في قصبةٍ، وشدَّ رأسَها، وعلَّقها في عنقِ يوسفَ؛ لما كانَ يخافُ عليه من العينِ، وكان لا يفارقُه، فأخرجَهُ جبريلُ وألبسَه إياه، وقامَ على صخرةٍ بجانبِ البئرِ، فأرادوا رضخَهُ بحجرٍ، فمنعَهم

يهودا، وجاءه جبريلُ ليؤنسَه، وقال له: إذا هِبْتَ شيئاً، فقلْ: يا صريخَ المستصرخين، ويا غياثَ المستغيثين، ويا مفرجَ كربِ المكروبين، قد ترى مكاني، وتعلمُ حالي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، فلما قالَها، حَفَّتْه الملائكةُ، فأنسَ بهم.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ ﴾ وكانَ ابنَ ثماني عشرة سنةً، وقيلَ غيرُ ذلك ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم ﴾ فيما يُستقبل ﴿ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا ﴾ الذي فعلوا بك.

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنَّكَ يوسفُ؛ لعلوِّ قدرِك، وبعد عهدِهم عنك.

***

﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ثم نحروا سَخْلَةً، ولطَّخوا قميصَه بدمِها، ولم يشقُّوه ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ أي: مُتباكينَ وقتَ المساء؛ ليكونوا أَجْرَأَ على الاعتذارِ بالكذب.

***

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] فرُوي أن يعقوبَ سمعَ صياحَهم وعويلَهم، فخرجَ فقال: مالكم يا بني؟ أصابَكم في غنمِكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكم؟ وأين يوسفُ؟

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾ من السِّباقِ في الرَّمْيِ بالسهامِ.

﴿ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا ﴾ ثيابِنا.

﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ ﴾ بمصدِّقٍ.

﴿ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ لسوءِ ظَنِّكَ بنا، وفرطِ محبتِكَ ليوسفَ.

* * *

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ ﴾ أي: مكذوبٍ فيه؛ لأنه لم يكنْ دمَ يوسفَ، فقالَ يعقوبُ: كيفَ أكلَه الذئبُ، ولم يشقَّ قميصَه؟ فاتَّهمهم، و﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ أي: زَيَّنَتْ ﴿ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وهشامٌ (بَل سَّوَّلَتْ) بإدغامِ اللامِ في السينِ، والباقون: بالإظهار[١].

﴿ فَصَبْرٌ ﴾ أي: فأمري صبرٌ.

﴿ جَمِيلٌۖ ﴾ والصبرُ الجميلُ: ما لا شكوى فيهِ إلى مخلوقٍ.

﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ ﴾ أي: أطلبُ منه العونَ.

﴿ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ من شأنِ يوسفَ.

* * *

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ولبثَ في البئرِ ثلاثةَ أيامٍ ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ جماعةٌ يسيرون من مَدْيَنَ إلى مصرَ، أخطأوا الطريقَ، فنزلوا قريباً من الجبِّ، وكان في قَفْرٍ بعيدٍ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٦).

من العمران، وكان ماؤه مِلْحاً، فعذُبَ حينَ أُلقي يوسفُ فيه.

﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ الذي يردُ الماء ليستقيَ لهم منه، وهو مالكُ بنُ ذعْرٍ الخزاعيُّ.

﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ ليملأَها، فتعلَّق يوسفُ بالحبلِ، فلما خرجَ، إذا هو بغلامٍ أحسنَ ما يكونُ من الغلمانِ، قالَ النبيُّ ﷺ: «قَدْ أُعْطِيَ يُوسُفُ شَطْرَ الْحُسْنِ، وَالنِّصْفُ الآخَرُ لِسَائِرِ النَّاسِ»(١)، فلما رآه مالكُ بنُ ذعرٍ.

﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (يَا بُشْرَايَ) بياءٍ مفتوحة بعدَ الألف؛ أي: بَشَّرَ المستقي نفسَهُ وأصحابَهُ، يقولُ: أبشروا بغلامٍ، وقرأ الباقونَ، وهم الكوفيون: (يَا بُشْرَى) بغيرِ ياءٍ إضافةٍ على وزن فُعْلَى(٢)، يريدُ: نادى المستقي رَجُلاً من أصحابِه اسمهُ بُشْرى، وأمالَ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ فتحةَ الراء، وقرأ ورشٌ الراءَ بينَ اللفظين، والباقون: بإخلاصِ فتحِها،

---

(١) رواه مسلم (١٦٢)، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في حديث الإسراء الطويل، وفيه: «... ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، إذا هو قد أعطي شطر الحسن». وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٣٦) عن ربيعة الجرشي قال: قسم الحسن نصفين، فجعل ليوسف وسارة النصف، والنصف الآخر لسائر الناس.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٧).

واختلِفَ عن أبي عمرٍو، وابن ذكوانَ[1].

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ الضميرُ للواردِ وأصحابِه؛ أي: أخفَوا أمرَ يوسفَ، وقالوا: دفعَه لنا أهلُ الماءِ لنبيعَه لهم بمصرَ؛ لئلا يطالبَهم رُفْقَتُهم بالشركةِ فيه، ورُوي أنَّ إخوةِ يوسفَ أخفَوا شأنَه؛ لأنه لما أخذَهُ المدلي، علم به يهودا؛ لأنه كان يأتيه بطعامه، فذهبَ وإخوتَه إلى السيارة، فقالوا: هذا عبدٌ لنا أَبَقَ، فاشتروهُ منا، ويوسفُ ساكتٌ لا يتكلَّمُ مخافةَ القتلِ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ لم تخفَ عليه أسرارُهم.

***

﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾.

[٢٠] ﴿وَشَرَوۡهُ﴾ السيارةُ من إخوتِه. قرأ ابنُ كثيرٍ: (وَشَرَوْهُو) بواو يصلُها بهاء الكناية في الوصلِ، وتقدَّمَ التنبيهُ عليه أولَ سورةِ البقرة[2] ﴿بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ﴾ ناقصٍ عنِ القيمةِ.

﴿دَرَٰهِمَ﴾ لا دنانيرَ ﴿مَعۡدُودَةٖ﴾ قليلةٍ؛ لأنهم كانوا لا يَزِنُون إلا ما بلغَ أوقيةً، وهو أربعونَ درهماً، ويَعُدُّون ما دونَها، وكانت الدراهمُ عشرينَ درهماً، فاقتسَمَها إخوةُ يوسفَ درهمينِ درهمينِ.

﴿وَكَانُوٓاْ﴾ إخوةُ يوسفَ ﴿فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ ليبعدَ عنهم.

***

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥-٣٦)، وباقي المصادر في التعليق السابق.

(٢) عند تفسير الآية: (٢).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] فلما قدمتِ السيارةُ بيوسفَ مصرَ، دخلوا به السوقَ يعرضونه للبيع، وكانتْ قوافلُ الشامِ تنزلُ بالناحيةِ المعروفةِ اليومَ بالموقفِ، وهي ظاهرَ مصرَ خارجَ كومِ الجارحِ بالقربِ من الجامعِ الطولونيِّ، فوقفَ الغلامُ، ونوديَ عليه، فاشتراهُ قِطْفيرُ صاحبُ أمرِ الملك، وكان على خزائنِ مصرَ يُسَمَّى العزيزَ، واشتراهُ بعشرينَ ديناراً وزوجِ نعلٍ، وثوبينِ أبيضين، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ ﴾ هو قِطفيرُ المذكورُ ﴿ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ ﴾ واسمُها زَليخا، وقيل: رَاعِيل ﴿ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾ منزلَهُ؛ أي: أَحْسِني تعهُّدَه.

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾ فيما نحتاجُ إليه، وكانَ العزيزُ لا يولَدُ له فقال:

﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ ﴾ نتبنَّاهُ؛ لما رأى فيه من مخايلِ الفلاحِ.

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: وكإنجائِنا يوسفَ من الشدائدِ وعطفِ قلبِ العزيزِ عليه.

﴿ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أرضِ مصرَ؛ بأن جعلناهُ حاكماً عليها.

﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ ﴾ وهي تعبيرُ الرؤيا.

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ الهاءُ في (أمره) لله تعالى؛ أي: لا مانعَ

لقضائِه، وقيل: ليوسفَ؛ أي: إنه يدبره، ولا يَكِلُه إلى سِواه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مرادَ الله تعالى.

* * *

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ منتهى شبابِه وقُوَّته، جمعُ شدٍّ، وهو ثلاثٌ وثلاثونَ سنةً في أظهرِ الأقوالِ.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ نبوةً ﴿وَعِلْمًا﴾ فِقْهاً.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعينَ.

* * *

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾ أي: طالبته مرةً بعدَ مرةٍ برفقٍ وسهولةٍ.

﴿ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾ وهي زليخا احتالَتْ عليه، وأرادتْ خدعَهُ ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ لتنالَ غرضَها منه، وكانت تكتمُ حُبَّهُ، فخَلَتْ به، وتزيَّنَتْ له، وعرَّفَتْه أنها تحبُّه، وأنه إن واتاها على ما تريدُه منه، حَبَتْهُ بمالٍ عظيمٍ، فامتنعَ من ذلك، ورامَتْ أن تغلبَهُ.

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ عليها وعليه، وكانت سبعةً.

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (هَيْتَ) بفتح الهاءِ والتاءِ من غيرِ همزٍ؛ أي: هَلُمَّ وأَقْبِلْ إلى ما أدعوكَ إليه، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ

(هِيتَ) بكسرِ الهاءِ وفتحِ التاءِ من غيرِ همزٍ، واختلِفَ عن هشامٍ راوي ابنِ عامرٍ، فرويَ عنه وجهان: بكسر الهاءِ وضمِّ التاءِ وفتحِها مهموزاً في الوجهين، وقرأ ابنُ كثيرٍ: بفتح الهاءِ وضمِّ التاءِ من غيرِ همزٍ، ومعناه تَهَيَّأْتُ لكَ[1].

﴿ قَالَ ﴾ يوسفُ لها عندَ ذلك: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ أستجيرُ بالله مما دَعَوْتيني إليه.

﴿ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ ﴾ المعنى: زوجُكِ قِطفيرُ سيدي.

﴿ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾ حينَ أوصاكِ بإكرامي، فما جزاؤه أن أخونَهُ، وقيل: المرادُ (بربي): اللهُ سبحانه، أحسنَ إليَّ بما أعطاني. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ كثيرٍ: (رَبِّيَ) بفتحِ الياء، والباقون: بإسكانها[2]، وقرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ (مَثْوَايَ) بالإمالة[3].

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ لا يسعد الزُّناةُ؛ فإنَّ الزنى ظلمٌ على الزاني والمزنيِّ بأهلِه.

* * *

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٣-٢٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٨-١٦٠).

(2) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦١).

(3) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦١).

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ أي: بمخالطتِه، والهمُّ: هو المقاربةُ من الفعلِ من غيرِ دخولٍ فيه.

﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ بخطراتِ القلبِ الذي لا يقدرُ البشرُ على التحفُّظِ منه، ورجعَ عندَ ذلكَ ولم يتجاوزْه.

﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ رُوي أنه رأى صورةَ يعقوبَ عاضّاً على أصبعِه، وبه كانَ يُخَوَّفُ صغيراً، وقيلَ غيرُ ذلكَ، وجوابُ لولا محذوفٌ، تقديرُه: لولا أنْ رأى برهانَ ربِّهِ، لواقعَ المعصيةَ، وقيل: في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: ولقد همتْ به، ولولا أن رأى برهانَ ربِّه، لهمَّ بها.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ فعلْنا مثلَ ذلك ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ الزنى.

﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ قرأ الكوفيون، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ (الْمُخْلَصِينَ) بفتحِ اللامِ حيثُ وقَع؛ أي: المختارين، وقرأ الباقون: بكسرها[1]؛ أي: المخلِصين لله الطاعةَ، واختلافُهم في الهمزتينِ من (الْفَحْشَاءَ إِنَّهُ) كاختلافِهم فيهما من (شُهَداءَ إِذْ) في سورة البقرة.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٢).

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ورُوي أنها سترَتْ صنماً كانَ عندَها، فقال: لِمَ سترتِهِ؟ قالت: أَسْتَحيي أن يراني على معصية، فقال: أتستحيينَ ممن لا يسمعُ ولا يبصرُ، وأنا أحقُّ أن أستحييَ من ربي؟ وهرب(١).

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ ﴾ وَحَّدَ البابَ، وأرادَ: الجنس؛ أي: تسابقا إليه، وذلك أن يوسفَ فرَّ منها ليخرجَ، وأسرعتْ وراءه لتمنعَه الخروجَ، فأدركَتْه، فلزمَتْه.

﴿ وَقَدَّتْ ﴾ شَقَّتْ ﴿ قَمِيصَهُۥ ﴾ نِصفين ﴿ مِن دُبُرٍ ﴾ من خَلْفِه.

﴿ وَأَلْفَيَا ﴾ وَجَدا ﴿ سَيِّدَهَا ﴾ زوجَها قِطفيرَ، وكان عِنِّيناً لا يأتي النساءَ ﴿ لَدَا ٱلْبَابِۚ ﴾ عندَ البابِ جالساً، فلما رأتْهُ.

﴿ قَالَتْ ﴾ سابقةً بالقولِ لزوجِها:

﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ أي: زنًا، ثم خافَتْ عليه أن يُقتلَ فقالتْ: ﴿ إِلَّآ أَن يُسْجَنَ ﴾ أي: يُحْبَسَ ﴿ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يضربُ بالسياطِ.

---

(١) قال ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٩١): وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جلَّ ثناؤه أخبر عن همِّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة. وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا، ولا حجة للعذر قاطعة بأي ذلك من أي. والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه.

﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] فلما عَرَّضَتْهُ للهلاكِ ﴿ قَالَ ﴾ يوسفُ دفعاً عن نفسِه، وتنزيهاً لعرضه: ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ ﴾ يعني: طلبَتْ مني الفاحشةَ، فأبيتُ وفررتُ.

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ كانَ طفلاً في المهد، وهو ابنُ خالها، أنطقَه اللهُ، وقد وردَ عن ابنِ عباسٍ عنِ النبي ﷺ: «تكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: ابْنُ مَاشِطَةِ فِرْعَوْنَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»(١)، وقيلَ: كان رجلاً حكيماً ذا رأيٍ، وهو ابنُ عمِّها. قرأ أبو عمرٍو (وَشَهِد شَّاهِدٌ) بإدغامِ الدالِ في الشين(٢).

﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ لأنه إذا طلبَها، دفعتْهُ عن نفسِها، فشقَّتْ قميصَه مِنْ قُدَّام، أو يسرع ليدركَها فيعثرَ في ثوبِهِ فينشَقَّ.

***

﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ ﴾ لأنها إذا تبعَتْه هي، تعلَّقَتْ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٧٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٣٦)، وغيرهم.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٣).

بقميصِه لتلحقَهُ فتشقَّهُ ﴿وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في قولِه، وإنما ألقى اللهُ الشهادةَ على لسانِ أهلِها؛ لتكونَ ألزمَ عليها، وسُمِّيَ قولُ الشاهدِ شهادةً؛ لأنه قائمٌ مقامَ الشهادةِ في ثبوتِ صدقِ يوسفَ وكذبِها.

***

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَءَآ﴾ زوجُها ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ عرفَ براءةَ يوسفَ.

﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: قولُكِ: ما جزاءُ مَنْ أرادَ بأهلِكَ سوءاً ﴿مِن كَيۡدِكُنَّۖ﴾ حِيَلِكُنَّ.

﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ﴾ معاشرَ النسوةِ ﴿عَظِيمٞ﴾ وسُمِّيَ كيدُ الشيطانِ ضعيفاً؛ لأنه وسوسةٌ، وكيدُ النساءِ عظيماً؛ لأنه مواجهةٌ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ ذكوانَ: (رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) (رَأَى قَمِيصَهُ) بإمالةِ الراءِ تبعاً للهمزة، واختلفَ عن هشامٍ وأبي بكرٍ، وأمال أبو عمرٍو الهمزة فقط[1].

***

﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾.

[٢٩] ثم أقبلَ مخاطباً ليوسفَ حاذفاً حرفَ النداءِ فقالَ: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦١).

﴿عَنْ هَـٰذَا﴾ الأمرِ، لا تذكرْهُ لأحدٍ، ثم قالَ لها: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ﴾ توبي من صنيعِك.

﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ المتعمِّدينَ للذنبِ، وقيل: هذا من قولِ الشاهدِ لهما، وقولُه: (من الخاطئين)، ولم يقل: منَ الخاطئاتِ؛ لأنه لم يقصدِ الخبرَ عن النساءِ، وإنما قصدَ القومَ الخاطئين، وكان العزيزُ حليماً قليلَ الغيرةِ.

***

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] واتصل خبرُ زليخا ويوسف بنساءِ الخاصَّة، فَعَيَّرْنَها بذلكَ، فذلكَ قوله: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هي مدينةُ مصرَ.

﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ ورُسمت (امْرَأَتُ) بالتاءِ في سبعةِ مواضعَ، وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ(١).

﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ غلامَها ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ لتنالَ شهوتَها منه.

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أصابَ حُبُّهُ شَغافَ قلبِها. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وهشامٌ: (قَد شَّغَفَهَا) بإدغامِ الدالِ في الشينِ، والباقون: بالإظهار(٢).

---

(١) وانظر: الآية (٣٥) من سورة آل عمران.

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٥/ ٣٠١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٤).

﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ خطأً بيِّنٍ من حبِّ عبدِها.

***

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ بِغيبتِهِنَّ لها ﴿ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ﴾ دعَتْهُنَّ إليها. قرأ يعقوبُ: (إِلَيْهُنَّ) بضمِّ الهاءِ حيثُ وقَع[١].

﴿ وَأَعْتَدَتْ ﴾ أعدَّت؛ أي: هيَّأَتْ.

﴿ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ ما يُتَّكَأُ عليه، وقُرِئ في الشواذِّ (مُتْكاً) بضمِّ الميمِ وإسكانِ التاء[٢]، وهو الأُتْرُجُّ، وصنعَتْ لهنَّ طعاماً وشراباً، وعملَتْ مجلسينِ مُذْهَبينِ، وفرشَتْهما بديباجٍ أصفرَ مُذْهَبٍ، وأَرْخَتْ عليهما ستورَ الديباجِ، وأمرتِ المواشطَ بتزيينِ يوسفَ وإخراجِه من المجلس الذي يُحاذي المجلسَ الذي كانتْ معَ النسوةِ فيه، وكانَ المجلسُ محاذياً للشمسِ، فأخذنَهُ المواشطُ، ونَظَمْنَ شعرَهُ بأصنافِ الجواهرِ، وألبسنَهُ ثوبَ ديباجٍ أصفرَ قد نُسِجَ بداراتٍ حمرٍ مُذْهَبَةٍ فيها أطيارٌ صغارٌ خضرٌ مبطَّن ببطانةٍ خضراءَ، ومن تحتِه غلالةٌ حمراءُ، وعلى رأسِهِ تاجٌ قد نُظِمَ بالدرِّ والجوهرِ، وأخرجْنَ من تحتِ التاجِ أطرارَ شعرِه على جبهتِه، وردَدْنَ ذوائبَهُ على صدرِهِ، وجعلْنَ جُمَّتَهُ مكشوفةً، والتاجُ يحيطُ بها، وفي أذنيه قرطَي جوهرٍ،

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

(٢) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

ومن خلفِ طوقِ القباءِ شعرٌ مسبلٌ بينَ كتفيهِ منظومٌ مشبكٌ بالذهبِ والجوهرِ، وفي عنقه طوقٌ منظومٌ بذهبٍ مشذرٍ بجوهرٍ أحمرَ ودُرٍّ فاخرٍ، وفي وسطِه منطقةُ ذَهَبٍ، فيها كواكبُ جوهرٍ ملوَّنٍ، ولها معاليقُ منظومةٌ، وألبسنَهُ خُفَّيْنِ أبيضينِ منقوشينِ بأخضرَ على نقوشِ ذهبٍ، وجعلْنَ للقباءِ الذي عليه وشاحينِ على كتفيهِ وكُمَّيْهِ من جوهرٍ أخضرَ، وعَقْرَبْنَ صُدْغَيه على خَدَّيهِ، وكحلْنَ عينيه، ودفعْنَ إليه مِذَبَّةً مذهبةً شعرُها أخضرُ، وكانَ يوسفُ إذا سارَ في الأزقَّة رُئي تلألؤُ وجهه على الجُدرِ، وحُكِيَ أنه ما زالَ النساءُ يملْنَ إلى يوسفَ ميلَ شهوةٍ حتى نبأه الله، فألقى عليه هيبةَ النبوة، فشغلَتْ هيبتُه كلَّ من رآهُ عن حسنهِ.

﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ﴾ بعدَ الجلوسِ على المتكأ.

﴿سِكِّينًا﴾ نِصابُها من جوهرٍ، وكُنَّ يأكُلْن اللحمَ حَزّاً بالسكين، وقيلَ: ليقطعنَ بها الفاكهةَ، فيقال: إنهن أخذْنَ أترجّاً، وهنَّ يقطعنَهُ، فلما فرغَ النساءُ من طعامهنَّ، وشربْنَ أقداحاً، قالت لهنَّ: قد بلغني حديثُكن في أمري مع عبدي، فقلْنَ لها: الأمرُ كما بلغَكِ لأنك أعلى قدراً من هذا، ومثلُكِ يرتفعُ عن أولادِ الملوكِ بحسنِك وشرفِكِ، فكيفَ رضيت[١] بغلامِكِ؟! قالت: لم يبلُغْكُنَّ الصدقُ، ولا هو عندي بهذا.

﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ وأومأتْ إلى المواشطِ أن يُخْرِجْنَ يوسفَ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَقَالَتُ اخْرُجْ) بضمِّ التاءِ في الوصلِ[٢]، وقرأ يعقوبُ: (عَلَيْهُنَّ) بضمِّ الهاء حيثُ

---

(١) في «ظ» و«ت»: «رضيتين»، والصواب ما أثبت.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، =

وقعَ مثل (إِلَيْهُنَّ)[1]، فرفعْنَ المواشطُ الستورَ عن المجلسِ الذي فيه يوسفُ، وبرزَ منه محاذِياً بوجهه الشمسَ، فأشرقَ المجلسُ وما فيهِ من وجهِ يوسفَ، وأقبلَ بالمذبّةِ وهُنَّ يَرْمُقْنَهُ، فوقفَ على رأسِ زَليخا يَذُبُّ عنها.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أعظَمْنَهُ، وهالَهُنَّ حسنُهُ، فاشتغلْنَ برؤيتِه.

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ موضعَ الفاكهةِ التي كانت معهنَّ؛ أي: جَرَحْنَها لَمَّا رأينه دهشاً، وبقينَ لا يعينَ الكلامَ ذهولاً منهنَّ بما بهرَهُنَّ من حسنِ يوسفَ.

﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ كلمةٌ تفيدُ معنى التنزيهِ. قرأ أبو عمرٍو، (حَاشَا للهِ) بإثباتِ الألفِ بعدَ الشينِ حالةَ الوصلِ في الموضعين، وحذفَها الباقون وصلاً ووقفاً[2].

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ نصبٌ خبرُ (ما)، وذلك أن زليخا قالتْ لهنَّ: ما لكُنَّ قد اشتغلْتُنَّ عن خطابي بالنظرِ إلى عبدي؟! فقلنَ: معاذ اللهِ! ما هذا عبدكِ.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ مع علمِهنَّ أنه بشرٌ؛ لأنه ثبتَ في النفوس أن لا أكملَ ولا أحسنَ خَلْقاً من الملَكِ، ولم يبقَ منهنَّ امرأةٌ إلا حاضَتْ وأنزلَتْ شهوةً من محبتِه.

* * *

= «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[٣٢] ﴿ قَالَتْ ﴾ زليخا عندَ ذلك ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ﴾ (كُنَّ) للنسوةِ، و(ذا) ليوسفَ.

﴿ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ فقلْنَ: ما ينبغي لأحدٍ أن يلومَكِ في هذا، ومن لامَكِ فقدْ ظلمَكِ، فدونكه، ولم تقل: هذا مع حضورِه؛ رفعاً لمحلِّه، فلما بانَ عذرُها لهنَّ، اعترفَتْ ببراءته فقالت:

﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ امتنعَ، فخاطِبْنَهُ لي، فكانت كلُّ واحدةٍ منهن تخاطبهُ وتدعوه سراً إلى نفسِها، وتتبذَّلُ له، وهو يمتنعُ عليها فإذا يئستْ منهُ أن يجيبَها لنفسِها، خاطبتْهُ من جهةِ زَليخا، وقالتْ: مولاتُك تحبُّكَ وأنتَ تكرهُها، ما ينبغي أن تخالِفَها، فيقولُ: مالي بذلكَ حاجةٌ، فلما رأيْنَ ذلك، أجمعْنَ على أخذه غَصْباً، فقالَتْ زليخا: لا يجوزُ هذا.

﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ ﴾ به من قضاءِ شهوتي ﴿ لَيُسْجَنَنَّ ﴾ بالسجنِ ﴿ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ الذليلينَ، ولأمنعنَّهُ اللذاتِ، وأنتزعُ جميعَ ما أعطيتُه، ونونُ التأكيدِ تُثَقَّلُ وتُخفف، فالوقفُ على قولِه: (لَيُسْجَنَنْ) بالنونِ؛ لأنها مشددة، وعلى قوله: (وَلَيَكُونا) بالألفِ؛ لأنها مخففةٌ، وهي شبيهةٌ بنونِ الإعراب في الأسماءِ؛ كقولِك: رجلاً، ومثله (لَنَسْفَعاً).

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[٣٣] فاختارَ يوسفُ السجنَ على المعصيةِ، وأقسمَتْ زَليخا بإلَهِها،

ـ وكانَ صنماً من زَبَرْجدٍ أخضرَ باسمِ عُطارد ـ إنْ لم يفعلْ لتعجلنَّ له ذلكَ، ثم أمرتْ بنزعِ ثيابهِ، وألبسَتْه الصوفَ.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي: يا ربِّ ﴿ٱلسِّجْنُ﴾ أي: المحبسُ. **قراءة** العامةِ بكسرِ السين، **وقرأ** يعقوبُ: بالفتح على المصدر[1].

﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ أحبَّ سُكنى السجنِ على قضاءِ حاجتهنَّ، وقيل: لو لم يقلْ: السجنُ أحبُّ إليَّ، لم يُبْتَلَ بالسجن، والأَوْلى بالمرءِ أن يسألَ اللهَ العافيةَ.

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ أي: وإن لم تُنَجِّني أنت، ومعناه: الاستسلامُ لله تعالى والتوكُّلُ عليه ﴿أَصْبُ﴾ أَمِلْ ﴿إِلَيْهِنَّ﴾ مأخوذٌ من الصَّبوةِ، وهي أفعالُ الصِّبا.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الذين لا يُراعونَ أوامرَ اللهِ ونواهيَهُ، وهو قولٌ يتضمَّنُ التشكيَ إلى اللهِ من حالِه معهنَّ، والدعاءَ إليهِ في كشفِ بلواه.

* * *

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] فلذلك قالَ بعدَ مقالةِ يوسفَ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أي: أجابه إلى إرادتِه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ بأنْ حالَ بينهُ وبينَ المعصيةِ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ صِفتان لائقتانِ بقوله: (استجابَ).

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٨).

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم ﴾ أي: للعزيزِ وأصحابِه في الرأيِ رأيٌ بخلافِ الأول، وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من يوسف على الأمرِ بالإعراضِ، ثم بدا لهم.

﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ الدالَّةِ على براءتِه من شَقِّ القميصِ وكلامِ الشاهدِ وقطعِ الأيدي.

﴿ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ إلى مدةٍ ينقطعُ كلامُ الناسِ في ذلك، رُويَ أن المرأةَ قالَتْ لزوجِها: إن هذا العبدَ العبرانيَّ قد فضحَني في الناسِ يخبرُهم أني راودتُه عن نفسِه، فإما أن تأذنَ لي فأعتذرَ للناسِ، وإما أن تحبسَه، وكان العزيزُ مِطْواعاً[١] لها، وجُمَيلاً ذلولاً حتى أنساهُ ذلكَ ما رأى من الآياتِ، فأمرَ به فحُبس[٢].

* * *

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ ﴾ عبدانِ للملكِ، كان أحدُهما ساقيَهُ، واسمُه مرطس، والآخرُ صاحبُ طعامِه، واسمُه راسان، وكان المصريون قد بذلوا لهما رشوةً ليسمَّا الملكَ، فردَّها الساقي، وقبلَها الخبازُ، وسمَّ

(١) في «ظ»و «ت»: «مطواعة» والصواب ما أثبت.
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٣).

طعامَه، فعرَّفَ الساقي الملكَ بذلك، فقال لصاحبِ الطعامِ كلْ طعامَكَ، فأبى فأكلتْ منه بهيمةٌ فهلكتْ، فحبَسهما الملكُ، وكان يوسفُ عندَ دخولِه السجنَ قال: أنا أعبرُ الأحلامَ.

﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ ﴾ وهو الساقي ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴾ أستخرجُها من العنبِ؛ لأنه رأى في نومه أنه قد دخلَ بستاناً، فإذا بكرمةٍ عليها ثلاثةُ عِناقيدَ، فعصرَ العناقيدَ في زجاجةٍ، فأتى به الملكَ فشربَه.

﴿ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ ﴾ وهو الخبازُ ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا ﴾ لأنه رأى أنه خرج من مطبخِ الملكِ وعلى رأسهِ ثلاثُ سِلالٍ فيها الخبزُ وأنواعُ الأطعمة.

﴿ تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ ﴾ من ذلك الطعامِ، وكانا صادِقَين في قولِهما.

﴿ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ ﴾ أخبرْنا ما قصصْنا عليك، وما يَؤولُ أمرُه إليه.

﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ العالِمينَ بتأويلِ الرؤيا. **قرأ** الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ) (إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ) بإسكانِ الياءِ فيها، وافقَهم ابنُ كثيرٍ في (إِنِّي) في الحرفينِ[1]، وكان يوسفُ عليه السلام إذا مرضَ إنسانٌ في السجنِ عادَه، وقامَ عليه، وإذا ضاقَ، وسَّعَ له، وإذا احتاجَ، جمعَ له شيئاً، وكانَ مع هذا يجتهدُ في العبادةِ، ويقومُ الليلَ كلَّه للصلاة، وقال لقومٍ في السجنِ انقطعَ رجاؤهم وحَزِنوا: أبشِروا واصبروا تُؤْجَروا؛ فإن لهذا آخِراً، فقالوا له: باركَ اللهُ فيكَ ما أحسنَ خَلْقَكَ وخُلُقَكَ، لقد أحسنتَ إلينا.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠ـ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦ـ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٩).

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ثم ﴿قَالَ﴾ للساقي والخباز.

﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ تأكلانه في اليقظةِ. قرأ قالونُ عن نافعٍ، وعيسى عن أبي جعفرٍ: (تُرْزَقَانِهِ) باختلاسِ كسرةِ الهاءِ بخلافٍ عنهما[1] ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا﴾ أخبرتُكما ﴿بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ بكيفيتهِ وكميتهِ.

﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ﴾ وإن رأيتُما ذلكَ في النوم، أخبرتُكما بما يؤولُ إليه، فقالا له: من أينَ لكَ ذلك؟ فقال:

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ بأنْ أوحاه إليَّ، ولم أقلْه تكهُّناً ولا تنجُّماً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو (رَبِّيَ) بفتحِ الياء، والباقونَ: بإسكانها[2].

﴿إِنِّي تَرَكْتُ﴾ رفضتُ.

﴿مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ وتكرارُ (هم) على التأكيد.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٠).

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ ﴾ أظهرَ أنهُ من ولدِ الأنبياء. قرأ الكوفيون، ويعقوبُ: (آبَائي) بإسكانِ الياء، والباقونَ: بفتحِها.

﴿ مَا كَانَ ﴾ ينبغي ﴿ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ﴾ لأنا معاشرَ الأنبياء معصومون من الشركِ.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التوحيدُ والعلمُ ﴿ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا ﴾ بذلكَ.

﴿ وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بإرسالِنا إليهم.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ المرسَلِ إليهم.

﴿ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ فضلَ اللهِ عليهم، بل يكفرون.

* * *

﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ثم دعاهم إلى الإسلام فقال: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ﴾ أي: يا صاحِبَيَّ فيه ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ ﴾ أي: آلهة شتَّى عاجزةٌ لا تضرُّ ولا تنفعُ.

﴿ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ﴾ المنفردُ بالألوهية ﴿ ٱلْقَهَّارُ ﴾ الغالبُ على كلِّ شيءٍ.

واختلاف القراء في الهمزتين من قوله تعالى: (أَأَرْبَابٌ) كاختلافِهم فيهما من (أَأَنْذَرْتَهُمْ) في سورةِ البقرةِ [الآية: ٦].

* * *

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ثم قالَ لهما ولِمَنْ على دينِهما ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ أي: اللهِ[1] ﴿ إِلَّآ أَسْمَآءً ﴾ أي: مسمَّياتٍ؛ لأنَّ الاسمَ لا يُعبدُ ﴿ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ آلهةً ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ تخرُّصاً ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ ﴾ حجةٍ وبرهانٍ.

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ ﴾ في جميعِ الأشياءِ ﴿ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ﴾ أي: التوحيدُ ﴿ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ الثابتُ المستقيمُ.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فيخبطون في جهالاتِهم.

* * *

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ثم شرعَ في تفسيرِ رؤياهُما وقالَ: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا ﴾ وهو الساقي ﴿ فَيَسْقِى رَبَّهُۥ ﴾ يعني: الملكَ.

---

(١) «أي: الله» ليست في «ت» و«ظ».

﴿ خَمۡرٗاۖ ﴾ والعناقيدُ الثلاثةُ، فلبثُكَ في السجنِ ثلاثةَ أيام ثُمَّ خروجُك منهُ وعودُكَ إلى ما كنتَ عليهِ عندَ الملك.

﴿ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ ﴾ وهو الخبازُ، فخروجُه من المطبخِ خروجُه من عملِه، والسلالُ الثلاثُ، فلبثُه في السجنِ ثلاثةَ أيامٍ، ثم يُخرجه الملكُ.

﴿ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ ﴾ فلما سمعا قولَ يوسفَ، قالا: إنما كنا نلعبُ، وما رأينا شيئاً، فقال:

﴿ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ ﴾ أي: في معناه ﴿ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴾ تسألان؛ أي: ما قلتُ واقعٌ حتماً، صدقتُما أو كذبتُما.

***

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ۝٤٢ ﴾.

[٤٢] ﴿ وَقَالَ ﴾ يوسف ﴿ لِلَّذِي ظَنَّ ﴾ أي: علمَ.

﴿ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ﴾ وهو الساقي. رُوِيَ عن قنبلٍ، ويعقوبَ: الوقفُ بالياء على (نَاجِي).

﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي: سيدِكَ الملكِ، فقل له: في السجنِ غلامٌ محبوسٌ ظلماً طالَ حبسُه.

﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ ﴾ أي: فأنسى الساقيَ ذكرَ يوسفَ لسيدِه، فلم يذكرْه له، وقيل: أنسى الشيطانُ يوسفَ ذكرَ الله حتى استغاثَ بغيرِه، وتلكَ غفلةٌ عرضَتْ ليوسفَ.

﴿فَلَبِثَ﴾ مكثَ ﴿فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ وهي سبعُ سنينَ في قولِ الأكثرِ، وكانَ قد لبثَ قبلَه خمسَ سنينَ، فجملَتُه اثنتا عشرةَ سنةً.

روُي أن جبريلَ عليه السلام قال له: من الذي حَبَّبَكَ إلى أبيكَ دونَ إخوتِكَ، وحفِظَكَ في الشدائدِ؟ فقال: الله، فقال: إنه يقولُ: أحسبْتَ أني أنساكَ في السجنِ حتى استغثْتَ بغيري وأنا أقربُ إليكَ وأقدرُ على خلاصِك؟ لتلبثَنَّ فيه بضعَ سنين، قال: وربِّي عنِّي راضٍ؟ قال: نعم، قالَ: فلا أبالي إذن(١).

وروُي أن يوسفَ لما قالَ ذلكَ، قيل له: أَتَّخَذْتَ من دوني وكيلاً؟ لأطيلنَّ حبسَكَ، فقالَ: يا ربِّ! أنسى قلبي كثرةُ البلوى، قالَ ﷺ: «لَوْلاَ كَلِمَةُ يُوسُفَ، مَا لَبِثَ في السِّجْنِ مَا لَبِثَ»(٢).

***

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ يعني: ملكَ مصرَ الأكبرَ، وهو الريانُ بنُ الوليدِ، من العمالِقَةِ، وهو فرعونُ يوسفَ، والقبطُ تسمِّيه نَهْراوُش، وكان عظيمَ الخلقِ، جميلَ الوجهِ، عاقِلاً متمكِّناً، وهو جدُّ فرعونِ موسى، وكان أقوى

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٦٥).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٤٨)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. وفي الباب: عن ابن عباس، والحسن البصري، وغيرهما.

أهلِ الأرضِ في زمانِه، وكان محلُّ ملكِه مدينةَ مَنْف من أرضِ مصرَ، وكانتْ في غربيِّ النيلِ على مسافةِ اثني عشرَ ميلاً من مدينةِ فُسطاطِ مصرَ المعروفةِ يومئذٍ بمصرَ القديمةِ، ومَنْفُ أولُ مدينةٍ عمرَتْ بأرضِ مصرَ بعدَ الطوفانِ، وكانت دارَ الملكِ بمصرَ في قديمِ الزمانِ، ولما دنا فَرَجُ يوسفَ، رأى الملكُ رؤيا عجيبةً هالَتْه، فجمعَ السحرةَ والكهنةَ والمعبِّرينَ، وقَصَّها عليهم فقال:

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ: (إِنِّيَ) بفتحِ الياءِ، والباقون: بإسكانها(١).

﴿سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾ خَرَجْنَ من البحرِ.

﴿يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ﴾ أي: وخرجَ عقبَهُنَّ سبعُ بقراتٍ عجافٍ، وهي التي بلغَتْ من الهزالِ النهايةَ، فابتلعتِ العجافُ السمانَ، فدخلَتْ في بطونهن، ولم يتبيَّنْ على العجافِ منها شيءٌ.

﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ﴾ قد انعقدَ حَبُّها ﴿وَأُخَرَ﴾ أي: وسبعاً أُخَرَ ﴿يَابِسَٰتٖ﴾ قد أدركَتْ فالْتَوَتِ اليابساتُ على الخضرِ حتى غلبْنَ عليها، ولم يبقَ من خضرتِها شيءٌ، فقال لعرَّافيه ومنجِّميه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾ عَبِّروها.

﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ تفسِّرونَ. قرأ الكسائيُّ، وخلفٌ: (لِلرُّؤْيَا) بالإمالةِ(٢)، واختلافُ القراءِ في الهمزتينِ من (الْمَلأُ أَفْتُونِي)

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

كاختلافِهم فيهما من (السُّفَهَاءُ أَلَا) في سورةِ البقرة [الآية: ١٣].

***

﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي: أخلاطُ رؤيا كاذبة، والأضغاثُ جمعُ ضِغْثٍ: وهو الحزمةُ من النباتِ، والأحلامُ جمعُ حلمٍ، وهو ما يُرى في النومِ.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ﴾ الباطلةِ كهذه الرؤيا ﴿بِعَٰلِمِينَ﴾ لاختلاطِها.

***

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ من القتلِ، وهو الساقي.

﴿وَٱدَّكَرَ﴾ بدالٍ مهملةٍ، أي: تذكَّرَ أمرَ يوسفَ.

﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: حينٍ، وهو مدُة لبثِ يوسفَ في السجنِ، وبالهاءِ والتخفيف (أَمَهٍ): بعدَ نسيانٍ، والتلاوةُ بالأولِ.

﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (أَنَا أُنَبِّكُم) بالمدِّ[1]، وذلك أن الغلام جثا بينَ يديِ الملكِ وقالَ: إنَّ في السجنِ رجلاً يعبرُ الرؤيا.

= (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٢).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٣).

﴿ فَأَرۡسِلُونِ ﴾ أي: فأرسلني أيها الملكُ إليه. قرأ يعقوبُ: (فَأَرْسِلُونِي) بإثباتِ الياءِ بعدَ النون، والباقون: بحذفها[1].

***

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] فأرسلوه، فأتى السجنَ، ولم يكنِ السجنُ في المدينة، وإنما هو ببوصيرَ من عمل الجيزَةِ، وكان الوحيُ ينزلُ عليه فيه، وسطحُ السجنِ موضعٌ معروفٌ بإجابةِ الدعاءِ، فقال: ﴿ يُوسُفُ ﴾ يعني: يا يوسفُ.

﴿ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ فيما عبرتَ لنا من الرؤيا، والصدِّيقُ: الكثيرُ الصدقِ، ولذلك سُمِّي أبو بكرٍ صِدِّيقاً، وهو فِعِّيلٌ للمبالغةِ والكثرةِ.

﴿ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ ﴾ فإن الملكَ رأى هذهِ الرؤيا.

﴿ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أي: الملكِ وأصحابِه؛ لاحتمالِ أنه يُخترَمُ في الطريق؛ لأنه لم يكنْ جازماً بالرجوع. قرأ الكوفيون، وابن عامرٍ، ويعقوبُ: (لَعَلِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[2].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٤).

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ منزلتَكَ وتأويلَ الرؤيا فيخرجوكَ من السجنِ.

* * *

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] فـ﴿قَالَ﴾ يوسفُ معبراً: أما البقراتُ السمانُ، والسنبلاتُ الخضرُ، فسبعُ سنينَ مخصباتٌ، والبقراتُ العجافُ، والسنبلاتُ اليابساتُ، فسبعُ سنينَ مجدباتٌ، ثم قالَ مرشداً لهم:

﴿تَزْرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا، فهو خبرٌ بمعنى الأمر ﴿سَبْعَ سِنِينَ﴾ على عادتِكم ﴿دَأَبًا﴾ قراءة العامةِ: (دَأْباً) بإسكانِ الهمز؛ أي: تلازمونَ ذلكَ. وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: بفتح الهمزِ(١)؛ أي: بجدٍّ وتعبٍ.

﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ أي: اتركوه في أصلِه لئلا يفسدَ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي: تدرسون قليلاً للأكلِ بقدرِ الحاجةِ.

* * *

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعدَ السنينَ المخصبةِ.

﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ صِعابٌ.

﴿يَأْكُلْنَ﴾ أي: السنونَ يُفنينَ ويُهلكنَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٤).

﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: يؤكلُ فيهن ما أعددتم لهنَّ من الطعامِ، أضافَ الأكلَ إلى السنينَ على طريقِ التوسُّع.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ تُحْرِزونَ وتدَّخرونَ.

***

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعدَ السنينَ المجدبةِ.

﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ يُمْطَرون، من الغيثِ.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ العنبَ والزيتَ، والمرادُ: كثرةُ النعيمِ والخير. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تَعْصِرُونَ) بالخطاب؛ لأن الكلامَ كلَّه بالخطاب، وقرأ الباقون: بالغيبِ ردّاً إلى (الناس)[1].

***

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ وذلكَ أن الساقيَ لما رجعَ إلى الملكِ، وأخبرَه بما أفتاه يوسفُ من تأويلِ رؤياه، عرفَ الملكُ أنَّ الذي قالَه كائنٌ، فقال: عَلَيَّ بهِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٥).

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ فقال: أَجِبِ الملكَ، فأبى أن يخرجَ حتى تظهرَ براءتُه، ثم ﴿قَالَ﴾ للساقي ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني: سيدَكَ الملكَ.

﴿فَسْـَٔلْهُ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَسَلْهُ) بالنقلِ[1].

﴿مَا بَالُ﴾ ما حالُ ﴿ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ ولم يذكر امرأةَ العزيزِ تأدباً ومراعاةً لحقِّها.

﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ حينَ قلنَ لي: أطعْ مولاتَك، وأراد بذلك إظهارَ براءته بعدَ طولِ المدةِ حتى لا ينظرَ الملكُ إليهِ بعينِ التهمةِ، قال ﷺ: «لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»[2]، وروي أنه قال: «رَحِمَ اللهُ أَخِي يُوسُفَ إِنْ كانَ إِلاَّ ذَا أَنَاةٍ، لَوْ كُنْتَ أَنَا، لأَسْرَعْتُ الإِجَابَةَ»[3]، يقولُ ذلكَ هضماً للنفس، في هذا دليلٌ على وجوبِ الاجتهادِ في نفي التُّهَمِ، ونفيِ الوقوفِ في مواقفِها، في الحديث: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلاَ يَقِفْ مَوَاقِفَ التُّهَمِ»[4].

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٦).

(٢) رواه البخاري (٣١٩٢)، كتاب: التفسير، باب: قوله عز وجل: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾، ومسلم (١٥١)، كتاب: الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢٩٤٨)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٣٦): غريب.

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] فجمعَهنَّ الملكُ، وامرأةُ العزيزِ معهنَّ، ثم ﴿ قَالَ ﴾ مخاطباً للنسوةِ، والمرادُ: امرأةُ العزيزِ: ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ أَمْرُكُنَّ ﴿ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ﴾ هلْ وجدتُنَّ منه ميلاً إليكنَّ.

﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ تنزيهٌ له وتعجُّبٌ من عِفَّتِهِ ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ ﴾ ريبَةٍ، فثَمَّ ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ معترفةً مخافةَ أن يشهدْنَ عليها ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ﴾ وضحَ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ وتبيَّنَ ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في قولِه، وتقدَّمَ التنبيهُ على (امْرَأَت)، و(حَاشَ للهِ)، واختلاف القراء فيهما.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] فلما علمَ ذلكَ يوسفُ في السجنِ قالَ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التثبتُ.

﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ العزيز ﴿ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ ﴾ في زوجتِهِ ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ في حالِ غيبتِهِ.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ﴾ أي: وليعلمَ أن اللهَ لا يهدي.

﴿ كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ العاصِينِ.

* * *

﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] رُوِيَ أن يوسفَ لما قالَ هذهِ المقالَة قالَ له جبريلُ عليهما السلام: ولا حينَ هَمَمْتَ؟ فقالَ: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ ﴾[١] من الخطأ.

﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ ﴾ أي: جميعَ النفوسِ ﴿ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ بنيلِ شهوتِها الرديَّةِ.

﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾ أي: إلا البعضَ الذي رحمَهُ ربي بالعصمةِ.

﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (نَفْسِيَ) (رَبِّيَ) بفتحِ الياءِ فيهما، والباقون: بإسكانها[٢]، واختلافُهم في الهمزتينِ من قولِه (بِالسُّوءِ إِلَّا) كاختلافِهم فيهما من ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ في سورةِ البقرةِ [الآية: ٣١].

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] فلما ظهرتْ براءتُه للملكِ، عرفَ علمَه ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ ﴾ أجعلْه خالصاً.

﴿ لِنَفۡسِيۖ ﴾ دونَ غيرِه، ووجَّهَ إليه، فأُخرج، وغُسِّلَ من دَرَنِ السجنِ، وأُلبسَ ما يليقُ بالدخولِ على الملوكِ، ودعا لأهلِ السجنِ فقالَ: اللهمَّ أعطفْ عليهم قلوبَ الأخيار، ولا تُعَمِّ عليهم الأخبار؛ فهم أعلمُ الناسِ بالأخبارِ، وكتبَ على بابِ السجنِ: هذا قبورُ الأحياء، وبيتُ الأحزان،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٨)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٧١٦)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢/ ١٦٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠ـ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٦ـ١٧٧).

وتجربةُ الأصدقاء، وشماتةُ الأعداء، وجاءَ الملكَ، فلما دخلَ عليه قال: اللهمَّ إني أسألُك من خيرِه، وأعوذُ بعزتِك وقدرتِك من شرِّه، ثم سلَّم عليه، ودعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللسانُ؟ قالَ: لسان آبائي، وكانَ الملكُ يعرفُ سبعين لساناً، فكلمه بها، فأجابه بجميعِها، فتعجَّبَ منه، وامتلأ قلبُه من حبِّه.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ شِفاهاً، فقالَ: أحبُّ أن أسمعَ رؤيايَ منكَ، فحكاها، ونعتَ له البقراتِ والسنابلَ وأماكنَها على ما رآها.

﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ﴾ مُمَكَّنٌ.

﴿أَمِينٞ﴾ مؤتمَنٌ على خزائني وأمري، فما تَرَى؟ قال: تزرعُ زرعاً كثيراً، وتأخذُ من الناس خُمْسَ زُروعِهم في السنينَ المخصبةِ، وتدَّخِرُ الجميعَ في سُنبلِهِ ليكونَ قصبهُ وسنبلُه عَلَفاً للدوابِّ، ويكفيكَ ولأهلِ مصرَ السنينَ المجدبةَ، ويأتيكَ الخلقُ من النواحي، فتمتارُ منكَ في حكمِك، ويُجمَعُ عندك من الكنوز ما لم يُجْمَعْ لأحدٍ قبلَكَ، فقالَ الملك: ومن لي بذلك؟

* * *

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ (٥٥)﴾.

[٥٥] ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: أرضِ مملكتِكَ.

﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ حافظٌ عليها ﴿عَلِيمٞ﴾ عالمٌ بوجوهِ التدبيرِ والتصرُّفِ، وإنما طلبَ ذلكَ شفقةً على المسلمينَ، لا منفعةً لنفسِه، فخَلَعَ عليه خِلَعَ الملوكِ، وألبسَه تاجاً، وأمرَ أن يُطافَ به، وركب الجيشُ معهُ، وعزلَ قِطفيراً وجعلَه مكانَه مستخْلَفاً على الملكِ، وتردَّدَ إلى قصرِ الملكِ، وجلسَ

على سريرِ العزيزِ، وماتَ قِطفيرٌ، فزوَّجَه امرأتَه زليخا، فوجدها عذراءَ، فقال لها يوسفُ: هذا خيرٌ مما أردتِ، فقالت: اعذرْني؛ إنَّ زوجي كانَ عِنِّيناً، ولم ترَكَ امرأةٌ إلا صَبا قلبُها إليكَ من حسنِك.

* * *

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ولم يزلْ يتلطَّفُ بالملِكِ حتى آمنَ، واتبعَ يوسفَ على دينِه، وكثيرٌ من الناسِ، ويوسفُ عليه السلام هو الذي بنى مدينةَ الفَيُّومِ من أعمالِ مصرَ، واستوثقَ له ملكُ مصرَ، فأقام فيهم العدلَ، وأحبَّه الرجالُ والنساءُ، فذلك قولُه تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني: أرضَ مصرَ ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا ﴾ أي: ينزل ﴿ حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (نَشاءُ) بالنون، ردّاً على قولِه: (مَكَّنَّا)، وقرأ الباقونَ: بالياءِ ردّاً على قولِه (يَتَبَوَّأُ)(١).

﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا ﴾ أي: بنعمتِنا ﴿ مَن نَّشَآءُ ﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الصابرين.

* * *

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ الشركَ، ثم جاءَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٧).

القحطُ، وكانَ يوسفُ لا يشبعُ مدةَ القحطِ مخافةَ نِسيانِ الجياعِ، فباعَ الطعامَ من أهلِ مصرَ في السنةِ الأولى بالدنانيرِ والدراهمِ، والثانيةِ بالحليِّ والجواهرِ، وفي الثالثةِ بالدوابِّ والمواشي، وفي الرابعةِ بالعبيدِ والإماءِ، وفي الخامسةِ بالضِّياعِ والعقارِ، وفي السادسةِ بأولادِهم، وفي السابعةِ برقابِهم، فقال يوسفُ للملكِ: كيف رأيتَ صنيعَ ربِّي فيما خوَّلَني، فما ترى؟ قال: الرأيُ رأيُكَ، ونحن لكَ تبَعٌ، قال: إني أُشهِدُ اللهَ وأُشهِدُكَ أنِّي قد أعتقتُ أهلَ مصرَ عن آخرِهم، ورددْتُ عليهم أملاكَهم.

***

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] وكان يوسفُ لا يبيعُ أحداً من المجتازين إلا حِمْلَ بعيرٍ تقسيطاً بينَ الناسِ، وتزاحمَ الناسُ عليه، وأصابَ أرضَ كنعانَ وبلادَ الشام ما أصابَ أرضَ مصرَ من القحطِ، ونزلَ بيعقوبَ ما نزلَ بالناسِ، وكان منزلُه بأرضِ فلسطينَ بغورِ الشام، فأرسلَ بنيهِ العشرةَ إلى مصرَ للميرةِ، وأمسكَ بنيامينَ شقيقَ يوسفَ، فذلك قولُه تعالى:

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ تقدَّمَ اختلافُ القراء في الهمزتين من قوله تعالى: (أَم كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ) في سورة البقرة [الآية: ١٣٣]، وكذلك اختلافُهم في (وَجَاءَ إِخْوَةُ).

﴿ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ ﴾ أنهم إخوتُه.

﴿ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ لبعدِ عهدِهم، وقلةِ تأملِهم في حلاهُ من التَّهَيُّبِ والاستعظامِ.

***

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩ ﴾.

[٥٩] وكانَ بين أن قذفوه في البئرِ وبينَ أن دخلوا عليه أربعين سنةً، فلما نظر إليهم يوسفُ وكلَّموهُ بالعبرانيةِ، قالَ: أخبروني من أنتم؟ قالوا: قومٌ من أرضِ الشام، قال: بل أنتم جواسيسُ جئتُم تَطَّلِعون على عورةِ بلادي، قالوا: لا والله! لسنا بجواسيسَ، وإنما جئنا نمتارُ، ونحن إخوةٌ بنو أبٍ واحدٍ، وهو شيخٌ صديقٌ نبيٌّ من أنبياءِ الله، وكان قد قالَ لنا: إن بمصرَ مَلِكاً صالحاً، فانطلقوا إليه، وأقرؤوه مِنِّي السلامَ، وهو يُقْرِئُكَ السلامَ، فبكى يوسفُ وعصرَ عينيه، وكنا اثني عشرَ، هلكَ منا واحدٌ وبقي منا واحدٌ عندَه يتسلَّى به عن أخيه الهالِك، قال: فاتركوا بعضَكم رهينةً عندي، وأتوني بأخيكم من أبيكم، ويراسلني أبوكم على لسانِه، ويخبرني أبوكم مِمَّ حزنُه حَتَّى أصدقَكم، فتركوا عندَه شمعونَ، وكان يوسفُ يحسِنُ إليه.

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ أعطَى لكلٍّ منهم حِمْلَ بعيرَ، والجهازُ: ما يُهَيَّأُ لمن يُشَيَّعُ.

﴿ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ يعني: بنيامينَ.

﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ ﴾ أُتِمُّهُ، فأزيدكم حملَ بعيرٍ لأجلِ أخيكم.

﴿ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ المضيفينَ، وكان قد أحسنَ ضِيافَتَهم. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ بخلافٍ عن الثاني: (أَنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٨).

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠ ﴾ .

[٦٠] ثم قال تهديداً: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي ﴾ أي: ليس لكم عندي طعامٌ أَكيلُه لكم.

﴿ وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ في داري وبلادي، و(تقْرَبُونِ) جزم نهي. قرأ يعقوبُ: (تِقْرَبُونِي) بالياء بعدَ النونِ، والباقون: بحذفها[1].

* * *

﴿ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ۝٦١ ﴾ .

[٦١] ﴿ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ سنطلُبه منه باجتهادٍ ورفقٍ.

﴿ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾ ما أمرتَنا به.

* * *

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٦٢ ﴾ .

[٦٢] ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (لِفِتْيَانِهِ) بألفٍ بعدَ الياءِ ونونٍ مكسورةٍ، جمعُ فَتىً جمعَ كَثْرَة، وقرأ الباقون: (لِفِتْيَتِهِ) بتاءٍ مكسورةٍ بعدَ الياء من غيرِ ألفٍ، جمعُ فَتىً أيضاً جَمْعَ قِلَّةٍ[2]، معناه: قال لغلمانه:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٧٥)، والمصادر السابقة.

﴿ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ أي: أثمانَ ما أخذوه ﴿فِى رِحَالِهِمْ﴾ أَوْعِيَتِهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾ أي: كرامتَهم علينا.

﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إذا رأوا إحسانَه إليهم، وليعلموا أنه لم يطلبْ عودَهم لأجلِ الثمنِ، وأنهم إذا رأوا الثمنَ عادوا؛ لأنهم لا يستحلُّون أكلَه.

* * *

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ﴾ قرأ يعقوبُ: (أَبِيهُمُ) بضمِّ الهاء، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وقالونُ بخلافٍ عن الثالثِ، (أَبِيهِمُو) بضمِّ الميم ووصْلِها بواوٍ في اللفظِ حالةَ الوصل.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ﴾ أي: يُمْنَعُ ﴿مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ إنْ لم نحملْ أخانا إليه، وذكروا إحسانَهُ، وأنه قد ارتهنَ شمعونَ، وأخبروه بالقصةِ، والمرادُ بالكيل: الطعامُ؛ لأنه يُكالُ.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا﴾ بنيامينَ ﴿نَكْتَلْ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَكْتَلْ) بالياء؛ أي: يكتلْ لنفسه كما نكتالُ نحن، وقرأ الباقون: بالنون، بمعنى نكتلْ نحن وهوَ الطعامَ[1] ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ضامنونَ بردِّه إليك.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥-٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٩).

﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ ﴾ يوسفَ.

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: كيفَ آمنكم عليه وقد فعلتُم بيوسفَ ما فعلْتُم؟

﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (حَافِظاً) بألفٍ بعدَ الحاءِ وكسرِ الفاءِ على التفسير؛ كما يقال: هو خيرٌ رَجُلاً، وقرأ الباقون: بكسرِ الحاءِ وإسكانِ الفاءِ من غيرِ ألفٍ على المصدرِ، يعني: خيرُكم حِفْظاً[١]، ونصبُه تمييز في الوجهين، المعنى: ولكنَّ حفظَ اللهِ خيرٌ من حفظِكم إياه، وحفظي، رُوي أنه لما قالَ ذلكَ، قال تعالى: وعِزَّتي لأردَّنَّ عليكَ كليهما.

﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ فأرجو أن يرحَمَني بحفظِه.

* * *

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ ﴾ الذي حملوه من مصرَ ﴿ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ ﴾ ثمنَ الطعام ﴿ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ﴾ فعندَ عودِ بضاعتهم إليهم.

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ﴾ من البغي؛ أي: ما نكذِبُ على هذا الملكِ، ولا في وصفِ إجمالِه وإكرامِه.

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ ﴾ فهذا هو العيانُ من الإحسانِ، أوفى لنا الكيلَ، وردَّ علينا الثمنَ، أرادوا تطييبَ نفسِ أبيهم.

﴿ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا ﴾ نجلبُ لهم الطعامَ ﴿ وَنَحۡفَظُ أَخَانَا ﴾ بنيامينَ في الذهابِ والمجيء.

﴿ وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ ﴾ أي: وِقْرَ ﴿ بَعِيرٍۖ ﴾ نَصيبَ أخينا.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: حملُ البعيرِ ﴿ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴾ أي: ذلكَ مكيلٌ قليلٌ لا يكفينا، يعنون: ما يُكالُ لهم، وأرادوا أن يزدادوا إليه ما يُكالُ لأخيهم.

***

﴿ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ قَالَ ﴾ لهم يعقوبُ: ﴿ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ ﴾ أثبتَ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ الياءَ بعدَ النونِ في (تُؤْتُونِي) وصلاً، وأثبتَها ابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ في الحالين(١).

﴿ مَوۡثِقٗا ﴾ عَهْداً ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ مؤكَّداً.

﴿ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ ﴾ أي: تردُّونه إليَّ ﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ ﴾ أي: إلا أن تهلِكوا جميعاً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٠-١٨١).

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ ﴾ أعطَوْه عهدَهم ﴿ قَالَ ﴾ يعقوبُ: ﴿ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴾ شهيدٌ.

* * *

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) ﴾.

[٦٧] ﴿ وَقَالَ ﴾ لهم يعقوبُ لما أرادوا الخروجَ من عندِه: ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾ خافَ عليهمُ العينَ؛ لجمالِهم، والمدينةُ التي أمرَهم أن يدخلوها من أبوابٍ متفرقةٍ هي الفَرْما، وهي أولُ مدنِ مصرَ من جهةِ الشَّمال بالقربِ من قَطْيا، وهي قريةُ أمِّ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهما السلام، وكان لها أربعةُ أبواب، فدخلوا منها.

﴿ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ ﴾ لا أقولُ ذلك دَفْعاً لما قضي، سواءٌ دخلتُم متفرقين أو مجتمعين.

﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ ﴾ أي: ما الحكمُ ﴿ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ ﴾ اعتمدْتُ.

﴿ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ وإلى اللهِ فليفوِّضْ أمورَهم المفوِّضونَ.

* * *

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٦٨) ﴾.

[٦٨] ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ ﴾ متفرقينَ ﴿ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم ﴾ من الأبوابِ المتفرقةِ.

﴿مَا كَانَ يُغْنِي﴾ رأيُ يعقوبَ ﴿عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من قضائِه ﴿مِن شَيْءٍ﴾ لأنهم سُرِّقوا وافْتُضِحوا، وأُخِذَ أخوهم منهم، وازدادَ حزنُ أبيهم ﴿إِلَّا﴾ لكنْ ﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ هي الشفقةُ عليهم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي: هو عالمٌ عاملٌ بتعليمِنا إياه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما علمَ يعقوبُ.

***

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ قالوا: هذا أخونا الذي أمرتَنا أن نأتيكَ به، قد جِئْنا به، فقال: أحسنتُم وأصبتُم، وستجدون ذلكَ عندي، ثم أنزلَهم وأكرمَهم وأجلسَ كلَّ اثنينِ منهم على مائدةٍ، فبقيَ بنيامينُ وحدَه، فبكى وقال: لو كانَ أخي يوسفُ حياً لأجلسَني معه، فأجلسَه يوسفُ معه، وجعلَ يؤاكِلهُ، وأنزلَ كلَّ اثنينِ في مكانٍ، فلم يبقَ لبنيامينَ ثانٍ، فقالَ: هذا لا ثانيَ له، فيكون معي، فباتَ عندَ يوسفَ فذلك قولُه عز وجل:

﴿ءَاوَىٰٓ﴾ أي: ضمَّ ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ فلما خلا به، قال له: ما اسمُكَ؟ قال: بنيامينُ، قال: أتحبُّ أن أكونَ أخاكَ بدلَ أخيكَ الهالكِ؟ فقال: ومَنْ يجدُ مثلَكَ؟ ولكنْ لم يلدْك يعقوبُ، ولا راحيلُ، فبكى يوسفُ وقامَ إليه وعانقَهُ، و﴿قَالَ﴾ له: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ يوسفُ. قرأ أبو عمرٍو، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١]، وقرأ

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن=

نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (أَنَا أَخُوكَ) بالمدِّ[1].

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: لا يلحقك بؤسٌ، وهو الشدةُ.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ بنا فيما مضى؛ فقد أحسنَ اللهُ إلينا، وجمعَنا، فلا تُعْلِمْهم بأمرِنا، فقال: لا أفارقُكَ، فقال: قد علمتَ اغتمامَ والدي بي، وإذا احتبستُكَ، ازدادَ غمُّهُ، ولا يمكِنُني أخذُكَ إلا بعدَ أن أرميَكَ بالسرقةِ، فقالَ: افعلْ ما شئتَ.

* * *

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

[٧٠] فوفى يوسفُ الكيلَ لكلِّ واحدٍ من إخوتِه حِمْلَ بعير، وحَمَّلَ لبنيامينَ بعيراً باسمِه كما حَمَّلَ لهم ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أي: هَيَّأَ لهم أسبابَ الميرةِ.

﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ وهيَ مكيالٌ يُكالُ به، ويشربُ فيه الملكُ.

﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامينَ، فلما انفصلوا عن مصرَ نحوَ الشام، أرسلَ يوسفُ من استوقفَهم فوقفوا.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى منادٍ. قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (مُوَذِّنٌ) بفتح الواوِ بغيرِ همزٍ[2].

= الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨١).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨١).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ ﴾ أي: القافلةُ، والمرادُ: أهلُها، والأصلُ في العيرِ أن تكونَ حميراً، ثم كثرَ ذلكَ حتى قيل لكلِّ قافلةٍ: عيرٌ ﴿ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ وصفَهم بالسرقةِ من حيثُ سرقَ في الظاهرِ أحدُهم، وهذا كما تقولُ: بنو فلانٍ قتلوا فلاناً، وإنما قتلَه أحدُهم.

* * *

﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ إخوةُ يوسفَ ﴿ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم ﴾ عطفوا على المؤذِّنِ وأصحابه:

﴿ مَاذَآ ﴾ أي: ما الذي ﴿ تَفْقِدُونَ ﴾؟ والفَقْدُ: غيبةُ الشيءِ عن الحسِّ بحيثُ لا يُعرفُ مكانُه.

* * *

﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ ﴾ هو جامٌ كهيئةِ المكوكِ من فِضَّة. قرأ أبو عمرٍو: (نَفْقِد صُّوَاعَ) بإدغام الدال في الصاد[١].

﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ ﴾ بالصُّواعِ ﴿ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ من طعامٍ.

﴿ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾ ضمينٌ لمن ردَّه، يقولُه المؤذِّنُ.

* * *

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٢).

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ قَالُوا۟ ﴾ يعني: إخوةَ يوسفَ ﴿ تَٱللَّهِ ﴾ أي: واللهِ! وخُصَّتْ هذه الكلمةُ بأنْ أُبدِلَتِ الواوُ فيها بالتاءِ في اليمينِ دونَ سائرِ أسماءِ اللهِ تعالى.

﴿ لَقَدْ عَلِمْتُم ﴾ استَشْهَدوا بعلمِهم لما ظهرَ من دينِهم وأمانتِهم ﴿ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أرضِ مصرَ ﴿ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴾ ما سَرَقْنا قط.

* * *

﴿ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ قَالُوا۟ ﴾ يعني: المناديَ وأصحابه ﴿ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ ﴾ أي: السارقُ، أو الصواعِ، أي: جزاءُ سرقتِهِ ﴿ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴾ في قولكم؟

* * *

﴿ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ ﴾ مبتدأٌ، خبرُهُ ﴿ مَن وُجِدَ ﴾ السَّرَقُ ﴿ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ﴾ أي: جزاءُ السارقِ أن يسلَّم إلى المسروقِ منه، فيسترقَّهُ سنةً، وهذا حكمُ السارقِ في شرعِ يعقوبَ ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ بالسرقةِ.

* * *

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ﴾ المفتشُ، وقيل: يوسفُ؛ لأنهم رُدُّوا إلى مصر ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ لإزالةِ التهمَةِ ﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ بنيامينَ، فلم يجدْ شيئاً.

﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السرقةَ ﴿مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ واختلافُ القراء في حكمِ الهمزتينِ من قوله: (وِعَاءِ أَخِيهِ) كاختلافِهم فيهما من (خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ) في سورة البقرة [الآية: ٢٣٥].

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: علَّمناهُ، وأوحينا إليه.

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ أي: لم يكنْ له أخذُ أخيه ﴿فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ أي: حكمِ ملكِ مصرَ، وهو أن يغرمَ السارقُ مثلَيْ ما أَخَذَ، ويُضربَ، لا أن يُستعبَدَ، فأجرى اللهُ على ألسنةِ إخوتِه حكمَ دينِهم؛ ليصحَّ أخذُه منهم.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الاستثناءُ في هذه الآية حكايةُ حالِ التقديرُ: إلا أن يشاءَ اللهُ ما وقعَ من هذهِ الحيلةِ.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالعلمِ والعملِ؛ كيوسفَ. قراءة العامةِ: (نَرْفَعُ) و(نَشَاءُ) بالنون فيهما، وأهلُ الكوفةِ ينونون (دَرَجَاتٍ)، وقرأ يعقوبُ: (يَرْفَعُ) و(يَشَاءُ) بالياء فيهما(١).

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ﴾ من الخلقِ.

﴿عَلِيمٌ﴾ واللهُ فوقَ كلِّ عالم، ولا يناسُبه أحدٌ في علمِه.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٤ـ١٨٥).

﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ ﴾ بنيامينُ ﴿ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ أرادوا يوسُفَ، وكانَ دخلَ كنيسةً فأخذَ صنماً صغيراً من ذَهَبٍ فدفَنَهُ، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ ﴾ أي: أضمرَ مقالتَهم كأنْ لم يسمَعْها.

﴿ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ ﴾ أي: مكانةً في السرقةِ حيث سرقتُم أخاكم.

﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ تقولون، والمشهورُ أنه ذكرَها في نفسِه، ولم يصرِّحْ بها لإخوتِه.

* * *

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] وفي القصةِ أنهم غضبوا غضباً شديداً، وكان بنو يعقوبَ إذا غَضِبوا لا يُطاقون، وكانَ منهم مَنْ إذا صاحَ غَضَباً ألقتِ الحواملُ أَجِنَّتَها خوفاً، وهو روبيلُ وكانَ إذا مسَّهُ أحدٌ من ولدِ أبيهِ، سكنَ غضبهُ، فقالَ لإخوتِهِ اكفوني الملكَ، وأكفيكُم الأسواقَ، أو اكفوني الأسواقَ وأكفيكُم الملكَ، فدخلوا على يوسفَ، فقالَ روبيلُ: لتردَّنَّ علينا أخانا، أو لأصيحَنَّ صيحةً لا يبقى بمصرَ حامِلٌ إلا ألقتْ ولدَها، وقامت كلُّ شعرةٍ في جسدِهِ

فخرجَتْ من ثيابه، فقالَ يوسفُ لابنٍ له صغيرٍ اسمُهُ أفرايينُ: قمْ إلى روبيلَ فمسَّهُ، ففعلَ، فسكنَ غضبهُ، فقالَ: إنَّ هنا بذراً من بذرِ يعقوبَ، قال يوسفُ: ومَنْ يعقوبُ؟ قالَ: أيُّها الملكُ! لا تذكرُ يعقوبَ؟ إنَّه إسرائيلُ اللهِ ابنُ ذبيحِ اللهِ ابنِ خليلِ اللهِ، ورُوي أنه غضبَ ثانيةً، فركضَه يوسفُ برجله فوقعَ على الأرضِ، فقالَ: أنتم معشرَ العبرانيين تظنون أَنْ لا أحدَ أشدُّ منكم، فَثَمَّ خضعوا.

و﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا ﴾ يحبُّه كثيراً يشقُّ عليه فِراقُه ﴿ فَخُذۡ أَحَدَنَا ﴾ عبداً ورهينةً ﴿ مَكَانَهُۥٓۖ ﴾ بدلاً منهُ.

﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ إلينا في الكيلِ والضيافةِ، فتمِّمْ إحسانَكَ.

* * *

﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ مصدرٌ؛ أي: نعوذُ باللهِ معاذاً من ﴿ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾ ولم يقلْ: مَنْ سرقَ؛ تحرُّزاً من الكذبِ.

﴿ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ إنْ أخذْنا بريئاً بمجرمٍ.

* * *

﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ ﴾ يَئِسُوا من أخيهم. قرأ أبو جعفرٍ، والبزيُّ

عن ابنِ كثيرٍ بخلافٍ عنهما (اسْتَايَسُوا) و(لا تَايَسُوا) (لا يَايَسُ) (اسْتَايَسَ) بالألفِ وفتحِ الياءِ من غيرِ همزٍ، والباقون: بالهمزِ، وإسكانِ الياءِ من غيرِ ألفٍ في اللفظِ، وإذا وقفَ حمزةُ، ألقى حركةَ الهمزةِ على الياءِ على أصلِه[1].

﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ أي: تخلَّصوا من الناسِ يتناجَوْنَ في تدبيرِ أمورِهم سِرّاً؛ لأن النجيَّ مَنْ تُسارُّهُ، وهو مصدرٌ يعمُّ الواحدَ والجمعَ، والذكرَ والأنثى.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السنِّ، وهو روبيلُ الذي نهى عن قتلِ يوسفَ ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ﴾ هذا ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ قَصَّرْتُم في شأنِه، و(ما) مزيدةٌ.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ لن أفارقَ أرضَ مصرَ.

﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ في الانصرافِ إليه.

﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ بردِّ أخي، أو بوحيٍ يُبَرِّئُني عندَ أبي.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أعدلُ مَنْ فصلَ بينَ الناسِ. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ: (لِي أَبي) بإسكانِ الياء، وافقَهم ابنُ كثيرٍ في (لِي)، والباقون: بفتحِها[2].

***

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٥ـ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٦).

(2) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠ـ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٦).

﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ ﴾ هذا من قولِ كبيرِهم، وقيل: من قولِ يوسفَ عليه السلام، والأولُ أظهرُ ﴿ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ ﴾ بنيامينَ.

﴿ سَرَقَ ﴾ أخذَ ما لم يؤتَمَنْ عليه في خُفْيَةٍ.

﴿ وَمَا شَهِدۡنَآ ﴾ بأنَّ السارقَ يسترَقُّ ﴿ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا ﴾ من سُنَّتِكَ.

﴿ وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴾ أي: لم نعلمْ أنه يسرقُ، وقيل: معناه: وما شهدْنا عليه إلا بما علمْ؛نا أي: لانقطعُ عليه بالسرقةِ، لكنَّا رأينا الصواعَ قد أُخرج من رحلِه، وما كُنا لِما غابَ من أمورِه في نهارِه وليلِه حافظينَ.

***

﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ أي: أهلَ القرية، وهي مصرُ. قرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَسَلْ) بالنقلِ، والباقون: بالهمز(١).

﴿ وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ ﴾ أي: الإبلَ التي عليها الأحمالُ، والمرادُ: أصحابُها؛ لأنهم كانوا قد صحبهم قافلةٌ من كنعانَ من جيرانِ يعقوبَ، المعنى: أرسلْ إلى أهلِ مصرَ وأصحابِ العيرِ فاسأَلْهم عن ذلكَ.

﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ في قولنا.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٦-١٨٧).

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] فرجعوا إلى أبيهم، وذكروا له ما قالَهُ كبيرُهم ﴿ قَالَ ﴾ يعقوبُ: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ زَيَّنَتْ ﴿ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ أردتُموه، وإلا فما أدرى الملكَ بِسُنَّتي لولا فتواكُم، والسُّولُ: ما يتمنَّاه الإنسانُ ويحرِصُ عليه. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وهشامٌ: (بَل سَّوَّلَتْ) بإدغامِ اللامِ في السين، والباقون: بالإظهارِ(١).

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ ليسَ فيه شكوى ولا ضجرٌ بقضاءِ الله، ثم ترَجَّى من اللهِ فقالَ:

﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ يوسفَ وبنيامينَ وكبيرِهم المقيمِ بمصرَ ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بحالي ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ بتدبيرِ خَلْقِهِ.

* * *

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ أي: أعرضَ؛ كراهةً لما صادفَ منهم.

﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ والأسفُ: شدةُ الحزنِ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَا أَسَفي) بالإمالة، ورُوي عن أبي عمرٍو: الفتحُ والإمالةُ بينَ بينَ، ووقفَ رويسٌ راوي يعقوبَ بخلافٍ عنه: (يَا أَسَفَاهُ) بزيادةِ هاءٍ بعدَ الألفِ(٢).

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٩ـ٥٠)، و«إتحاف فضلاء=

﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ عَمِيَ بصرُه من ملازمةِ البكاء، فلم يُبْصِرْ بهما سِتَّ سنينَ.

﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ حابسٌ حزنَه لا يظهِرُه.

***

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ (٨٥) ﴾.

[٨٥] ﴿ قَالُوا۟ ﴾ أولادُ يعقوبَ: ﴿ تَٱللَّهِ ﴾ بمعنى: واللهِ!

﴿ تَفْتَؤُا۟ ﴾ أي: لا تزالُ، وحُذِفَتْ (لا) في هذا الموضعِ من القسمِ لدلالةِ الكلامِ عليها؛ تقديرُه: تاللهِ لاتفتأ.

﴿ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ لا تفْتُرُ من حُبِّهِ.

﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ بالياً من المرضِ.

﴿ أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴾ الميتينَ.

***

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) ﴾.

[٨٦] ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى ﴾ هو أشدُّ الحزنِ الذي لا يصبرُ عليه صاحبُه حتى يَبُثَّهُ أو يَشْكُوَهُ.

﴿ وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ والحزنُ: هو أشدُّ الهَمِّ. قرأ الكوفيون، وابنُ كثيرٍ،

= البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٧).

ويعقوبُ: (حُزْني) بإسكانِ الياءِ، والباقون: بفتحها[1].

﴿ وَأَعْلَمُ ﴾ يا بَنِيَّ ﴿ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وهو أن رؤيا يوسفَ صادقة وأنه حيٌّ، وأني وأنتم سنسجدُ له.

رُوِيَ أنه قيلَ له: يا يعقوبُ! ما الذي أذهبَ بصرَكَ، وقَوَّسَ ظَهْرَكَ؟ قالَ: أذهبَ بصري بُكائي على يوسفَ، وقَوَّسَ ظهري حُزْني على أخيه، فأوحى الله إليه: أَتَشْكوني؟! وَعِزَّتي لا أَكْشِفُ ما بِكَ حَتَّى تدعوَني، فقال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ﴾ فأوحى الله إليه: وعِزَّتي لو كانا ميتينِ لأَخْرَجْتُهما لك، وإنما وَجَدْتُ عليكم أنكم ذبحتم شاةً، فقامَ ببابِكم مسكينٌ فلم تُطعموه منها شيئاً، وإنَّ أحبَّ خلقي إليَّ الأنبياءُ، ثم المساكينُ، فاصنعْ طعاماً، فادعُوا عليه المساكينَ، فصنعَ طعاماً، ثم قالَ: من كانَ صائماً، فليفطرِ الليلةَ عندَ آلِ يعقوبَ.

وقد حُكي أن ابتلاءَ يعقوبَ بيوسفَ كان سببهُ التفاتَه في صلاتِه إليه ويوسفُ نائمٌ؛ محبةً له.

فإن قيل: كيف استجازَ يوسفُ أن يعملَ مثلَ هذا بأبيه، ولم يخبرْه بمكانِه، وحبسَ أخاهُ معَ علمِه بشدةِ وَجْدِ أبيهِ؛ ففيه معنى العُقوقِ، وقطيعةُ الرحمِ، وقلةُ الشفقةِ؟ فالجوابُ: أنه عملَ ذلكَ بأمرِ الله تعالى، أمرَهُ به ليزيدَ في بلاءِ يعقوبَ، فيضاعِفَ له الأجرَ، ويلحقَه في الدرجةِ بآبائِه الماضين، واللهُ أعلم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٨).

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ أي: تطَلَّبوا خبرَهما، والتحسُّسُ بالحاء: طلبُ الشيءِ بالحاسَّةِ في الخير، وبالجيم: في الشر، والتلاوةُ بالأولِ.

﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ ﴾ تقنَطوا ﴿ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ ﴾ أي: رحمتِه التي يحيي بها العبادَ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ باللهِ.

* * *

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] فخرجوا راجعينَ إلى مصرَ حتى وصلوا إليها، فدخلوا على يوسفَ.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ ﴾ بلغةِ مصرَ: الملكُ.

﴿ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ الجوعُ والشدةُ ﴿ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ ﴾ رَديئة أو قليلةٍ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (مُزْجَاةٍ) بالإمالة، واختلفَ عن ابنِ ذكوانَ(١).

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٩).

﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ ﴾ الذي نستحقُّه ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ أي: تفضَّل بالمسامحةِ والإغضاء عن رداءةِ البضاعةِ، وكانت دراهمَ زيُوفاً لا تؤخَذُ إلا بنقصانٍ، واستدلَّ مالكٌ وغيرهُ من العلماءِ بقوله: ﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ ﴾ على أن أجرةَ الكيَّالِ على البائعِ، وكذلكَ الوزَّان، لأنَّ الرجلَ إذا باعَ عِدَّةً معلومةً من طعامٍ، أَوجَبَ العَقْدُ عليه أن يُفْرِدَها بعينِها، ويحوزَها المشتري، والحكمُ كذلكَ بالاتفاقِ حيثُ كانَ المبيعُ مَكيلاً أو مَوْزوناً، أما إذا كانَ الثمنُ كذلكَ، فالأجرةُ على المشتري عندَ أبي حنيفةَ والشافعيِّ وأحمدَ، وفي مذهبِ مالكٍ خلافٌ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ والتصدُّقُ: التفضُّل.

وسمعَ الحسنُ إنساناً يقولُ: اللهمَّ تصدَّقْ عليَّ، فقالَ: إن الله لا يتصدَّقُ، وإنما يتصدَّقُ مَنْ يبتغي الثوابَ، ولكنْ قل: اللهمَّ أَعْطِني، أو تفضَّلْ عليَّ، أو ارحَمْني، ونحوَهُ.

* * *

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] فلما كلموه بهذا الكلام، أدركَتْهُ الرِّقَّةُ، فارفضَّ دمعُه، وباحَ بالذي يكتُمُ.

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ إِذْ فرَّقْتُم بينَهما، وصنعتُم ما صنعتُم.

﴿ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ لا تعلمونَ قبحَه، فلذلكَ أقدمْتُم عليه؟

* * *

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ثم تعرَّفَ لهم فعرفوهُ، و﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: (إِنَّكَ) بهمزةٍ واحدةٍ على الخبرِ، والباقونَ: بهمزتينِ، على الاستفهام، وهم على أُصولهم، فالكوفيونَ، وابنُ عامرٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: بتحقيقِ الهمزتينِ، وورشٌ ورويسٌ: يحققان الأولى، ويسهِّلانِ الثانيةَ، وأبو عمرٍو، وقالونُ عن نافعٍ: يسهِّلانِ الثانيةَ، ويُدْخلان بينهما ألفاً[١].

﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ ﴾ من أبي وأمي.

﴿ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ ﴾ بأنْ جمعَ بيننا.

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ ﴾ اللهَ ﴿ وَيَصۡبِرۡ ﴾ على امتثالِ الأمرِ واجتنابِ النهي. **قراءة** العامة: (يَتَّقِ) بحذفِ الياءِ في الحالين، جزمٌ (بمَنْ)؛ لأنها شرطٌ، **وقرأ** قنبلٌ عن ابنِ كثيرٍ: (يَتَّقِي) بإثباتِ الياءِ في الحالينِ لغةً للعربِ يُثبتون الياءَ في الجزمِ[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩١).

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المتَّصِفين بهذهِ الصفاتِ.

* * *

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ (٩١) ﴾.

[٩١] ﴿ قَالُواْ ﴾ معتذرينَ: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ ﴾ أي: فَضَّلَكَ ﴿ عَلَيْنَا ﴾ بالصبرِ والحلمِ والعقلِ.

﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ أي: وما كُنَّا في صنيعِنا بكَ إلا مخطئينَ مُذْنبين، يقالُ: خَطَأَ: إذا تعمَّدَ، وأخطأَ: إذا كانَ غيرَ متعمدٍ.

* * *

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٩٢) ﴾.

[٩٢] فلما اعترفوا بذنوبهم ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ ﴾ لا تقريعَ ولا توبيخَ.

﴿ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ولا أذكرُ لكم ذنبَكُم بعدَ اليومِ، ثم دعا لهم؛ تطييباً لقلوبِهم.

﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ ما صدرَ منكم في حقِّي ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ولما عرفوه، قالوا له: نستحيي من الحضور لديكَ؛ لإساءتِنا إليك، فقال: لقدْ شُرِّفْتُ بكم؛ لأنَّ المصريينَ وإنْ ملكتُهم ما ينظرونَ إليَّ إلا بالعينِ الأولى؛ لأني كنتُ عبداً فيهم.

* * *

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

[٩٣] ثم سألَهم عن أبيه فقالوا: عَمِي، فقال: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا﴾ هو قميصُ إبراهيمَ الذي ألبسَهُ إياه جبريلُ حين أُلقي في النار، وكان معلَّقاً في عنق يوسفَ حينَ أُلقي في الجبِّ كما تقدَّمَ في أول القصةِ، ففي هذا الوقتِ جاء جبريلُ عليه السلام، وقال: أرسلْ ذلكَ القميصَ؛ فإن فيه ريحَ الجنةِ، لا يقعُ على مبتلًى ولا سقيمٍ إلا عُوفيَ.

﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ﴾ يعودُ ﴿بَصِيرًا﴾ حالٌ؛ أي: مُبْصِراً.

﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ﴾ بأبيكم وأهلِه ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

* * *

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾.

[٩٤] فقال يهوذا: أنا أَحْزَنْتُه بالقميصِ الملطَّخِ بالدَّمِ، فسأُفرِحُهُ بهذا القميصِ، فحملَه من مصرَ إلى كنعانَ، وبينهما ثمانونَ فرسخاً.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ أي: انفصلَتْ، وخرجَتْ من عمرانِ مصرَ.

﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعقوبُ لحاضريهِ من حَفَدَتِهِ:

﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ﴾ لأن الصَّبا حملتْ ريحَ يوسفَ من ثمانينَ فرسخاً، فأوجدَهُ اللهُ ريحَ القميصِ من مسيرةِ ثمانِ ليالٍ.

﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ تُجهِّلُونِ، والفَنَدُ: الخَرَفُ، يُقال: شَيْخٌ مُفَنَّدٌ، ولا يُقال: عجوزٌ مُفَنَّدَةٌ؛ لأنه لم يكن لها رأيٌ في شبيبتِها فتفندَ في كبرِها.

قرأ يعقوبُ: (تُفَنِّدُونِي) بإثباتِ الياءِ، والباقون: بحذفها[1].

* * *

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] وكانوا يعتقدونَ موتَ يوسفَ، فلذلك ﴿قَالُواْ﴾ يعني: أولادَ أولادِه.

﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ أي: في خَطَئِكَ في حُبِّ يوسفَ قديماً، وتعتقدُ أنك تلقاهُ حديثاً، والضلالُ: هو الذهابُ عن طريقِ الصوابِ.

* * *

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ أي: المبشِّرُ عن يوسفَ، وهو يَهوذا ﴿أَلْقَىٰهُ﴾ أي: القميصَ ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ وجهِ يعقوبَ.

﴿فَٱرْتَدَّ﴾ فرجعَ ﴿بَصِيرًا﴾ فثَمَّ ﴿قَالَ﴾ لأولادِ أولادِه:

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياةِ يوسفَ.

ورُويَ أنَّ يعقوبَ سألَ البشيرَ عن يوسفَ، قال: ملكَ مصرَ، قال: وما أصنعُ بالملكِ، على أيِّ دينٍ هو؟ قالَ: على الإسلامِ، قالَ: الآنَ تَمَّتِ

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٢).

النعمةُ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ كثيرٍ: (إِنِّيَ أَعْلَمُ) بفتحِ الياء، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾ مذنبين. قرأ أبو جعفرٍ: (خَاطِينَ) بإسكانِ الياءِ بغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمز[2].

* * *

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أَخَّرَهُم لوقتِ السَّحَرِ؛ لأنه أَرْجى للإجابةِ، وهو الوقتُ الذي يقولُ الله: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟»[3]. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[4]، ورُوي أن يعقوبَ استقبلَ القبلةَ قائماً يدعو، وقامَ يوسفُ خلفَهُ يُؤَمِّنُ، وقاموا خلفَهُ أَذِلَّةً خاشعينَ حتى نزلَ جبريلُ وقال:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٢).

(٣) رواه البخاري (١٠٩٤)، كتاب: أبواب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم (٧٥٨)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٢).

إنَّ اللهَ قَدْ أجابَ دعوتَكَ في ولدِكَ، وعقدَ مواثيقَهم بعدَكَ على النبوَّةِ.

***

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

[٩٩] وكان يوسفُ قد أرسلَ بمئتي راحلةٍ إلى أهلِه وجهازٍ ليرتحلوا إليهِ، وكانوا اثنين وسبعينَ إنساناً لما دخلوا مصرَ ما بينَ ذكرٍ وأنثى، وكانوا لما خرجوا منها هاربينَ من فرعونَ ستَّ مئةِ ألفٍ وخمسَ مئةٍ وبضعةً وسبعين رجلاً سوى الذريَّةِ والهَرْمَى، وكانت الذريةُ والهرمَى ألفَ ألفٍ ومئتي ألفٍ، ولما دنا يعقوبُ وأهلُه من مصرَ، خرجَ يوسفُ والملكُ الأكبرُ في أربعةِ آلافٍ من الجندِ وعظماءِ المصريينَ يتلَقَّونهم، وكان يعقوبُ يمشي وهو يتوكأُ على يهوذا، فلما رأى الخيلَ، قالَ ليهوذا: هذا فرعونُ مصرَ؟ قال: هذا ابنُك، فلما دنا كلُّ واحدٍ منهُما من صاحبِه، فذهبَ يوسفُ يبدؤُهُ بالسلام، فقال جبريلُ: لا حتى يبدأَ يعقوبُ بالسلامِ، فقال يعقوبُ: السلامُ عليكَ يا مُذْهِبَ الأحزانِ، وتعانَقا، وبَكَيا، فقال يوسفُ: يا أبتِ! بكيتَ حتى ذهبَ بصرُكَ، ألم تعلمْ أنَّ القيامةَ تجمعُنا؟ قالَ: بلى يا بنيَّ، ولكن خشيتُ أن تُسْلَبَ دينَكَ فَيُحالَ بيني وبينَك.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾ أي: ضمَّ ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أباه وخالتَه ليَّا، وكانتْ أُمُّه راحيلُ قد ماتت، والعربُ تسمِّي العمَّ أباً، والخالةَ أماً.

﴿وَقَالَ﴾ لهم لما قاربَ البلدَ ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ استثناءٌ متعلِّقٌ بالدخول الموصوفِ بالأمنِ؛ كأنه قال: اِسْلَموا وَأْمَنوا في دخولِكم إنْ شاءَ الله.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] فلما عاد إلى مصر، جلسَ على سريره، وجمع الناسَ، وإخوتُه حولَه ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ ﴾ معه ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ وهو سريرُ الملك. قرأ ابنُ كثيرٍ: (أَبَوَيْهِي) وشبهَهُ بياءٍ يصلُها بهاءِ الكنايةِ في الوصلِ حيثُ وقعَ.

﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ ﴾ إخوتُه وأبواه ﴿ سُجَّدًا ﴾ كذلكَ كانت تحيتُهم، فنُهينا عنه في شريعةِ الإسلام.

﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ ﴾ وكانَ بينهما نحوُ خمسينَ سنةً، وقيلَ غيرُ ذلك. قرأ الكسائيُّ: (رُؤْيَايَ) بالإمالةِ[١] ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ صِدْقاً.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ ﴾ أنعمَ عليَّ ﴿ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ ولم يقلْ: من الجبِّ؛ تكرماً لئلاً يستحييَ إخوتُهُ، ومن تمامِ الصفحِ ألاَّ يذكرَ ما تقدَّمَ من الذنب. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو (بِيَ إِذْ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٢].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٣).

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ الباديةِ؛ لأنهم كانوا أصحابَ ماشيةٍ وعَمَدٍ، وهي الخيامُ، ينتقلون في الماءِ والمرعى.

﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾ أفسدَ ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ بوسوستِهِ، وأصلُ النزغِ: نَخْسُ الرائِضِ الدابةَ لتتحرَّكَ.

﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ أي: لطيفُ التدبير له، واللطيفُ: الذي يوْصلُ الإحسانَ إلى غيرهِ بالرفقِ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بوجوهِ المصالحِ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما يفعل. قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (إِخْوَتِيَ) بفتح الياء، والباقونَ: بإسكانها[1]، واختلافُهم في الهمزتينِ من (يَشَاءُ إِنَّهُ) كاختلافِهم فيهما من (يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ) في سورةِ البقرةِ.

وأقامَ يعقوبُ بمصرَ عندَ يوسفَ أربعاً وعشرينَ سنةً، ثم ماتَ، فلما حضرَتْهُ الوفاةُ أَوْصى بحملِه ودفنِه عندَ أبيهِ إسحاقَ بمغارةِ حَبْرونَ عندَ قبرِ إبراهيمَ عليه السلام، وتقدم ذكرُ ذلكَ في سورةِ البقرةِ.

قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: لما ماتَ يعقوبُ، نقلَه يوسفُ في تابوتٍ من ساجٍ إلى بيت المقدسِ، فوافقَ يومَ موتِ أخيه عيصٍ، فدُفِنا في قبرٍ واحدٍ، وكانا وُلِدا في بطنٍ واحدٍ، وكان عمرُهما مئةً وسبعةً وأربعينَ سنةً[2].

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٤).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٨٩).

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] فلما جمعَ اللهُ تعالى ليوسفَ شملَه، علمَ أن نعيمَ الدُّنيا لا يدومُ، فسألَ اللهَ حُسْنَ العاقبةِ فقالَ: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ يعني: ملكَ مصرَ، والملكُ اتِّساعُ المقدورِ لمن له السياسةُ والتدبيرُ.

﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ ﴾ تعبيرِ الرؤيا، و(مِنْ) للتبعيضِ؛ لأنه لم يؤتَ كُلَّ الملكِ ولا كُلَّ التأويلِ.

﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ مبدِعَهما، وانتصابُ (فَاطِرَ السَّمَوَاتِ) على النداءِ.

﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ ﴾ أي: متولِّي أمري ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۖ تَوَفَّنِي ﴾ اقْبِضْني إليك ﴿ مُسْلِمًا ﴾ مخلصاً ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ من آبائي النبيينَ.

واختلفوا في مدةِ غَيبةِ يوسفَ عن أبيهِ، فقيل: اثنتانِ وعشرونَ سنةً، وقيل: أربعونَ، وقيل: ثمانون، ولما ماتَ الملكُ الأكبرُ، وهو الريانُ بنُ الوليدِ المتقدِّمُ ذكرهُ، خلفَه ابنهُ دريموش، ويسميهِ أهلُ الأثر: دارمَ بنَ الريان، وهو الفرعونُ الرابعُ عندَهم، فخالفَ سنةَ أبيه، وكانَ يوسفُ خليفتَهُ، فيقبلُ منه بعضاً، ويخالفُ في البعضِ، فماتَ يوسفُ في أيامِه وله مئةٌ وعشرونَ سنةً، فَكُفِّنَ وحُمل في تابوتٍ من رخام، ودُفِنَ في الجانبِ الغربيِّ من بحرِ النيلِ، فأخصبَ ونقص الشرقيُّ، فَحُوِّلَ إليه، فأخصبَ ونقصَ الغربيُّ، فاتفقوا على أن يجعلوهُ في الشرقيِّ عاماً، وفي الغربيِّ

عاماً، ثم حدثَ لهم من الرأيِ أن يجعلوا لهُ حِلَقاً وثاقاً، وشدُّوا التابوتَ في وسطِ النيلِ فأخصبَ الجانبانِ كلاهُما، ولم يزلْ ثَمَّ حتى كانَ زمنُ موسى عليه السلام وفرعون، فلما سارَ موسى ببني إسرائيل من مصرَ أخرجَهُ وهو في التابوت، وحمله على عجلٍ من حديدٍ، ودفنَه بحبرونَ في البقيعِ خلفَ الحيزِ السليمانيِّ حذاءَ قبرِ أبيه يعقوبَ، وجوارَ جَدَّيه إبراهيمَ وإسحاقَ عليهم السلام، وتقدم ذكرُ ذلك ملخَّصاً في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولهِ تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ [الآية: ٥٠]، ونزلَ عليه جبريلُ أربعَ مراتٍ، وبينهَ وبينَ موسى أربعُ مئةِ سنةٍ، وقيلَ غيرُ ذلكَ.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، ثُمَّ جَاءَنِي الدَّاعِي، لأَجَبْتُ»[١].

وسُئِلَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قالَ: أَتْقَاهُمْ لله، قَالُوا: ليسَ عن هذا نسأَلُكَ، قالَ: فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ بْنِ نَبِيِّ اللهِ بْنِ نَبِيِّ اللهِ بْنِ خَلِيلِ اللهِ»[٢].

فهؤلاءِ الأنبياءُ الأربعةُ وهم: إبراهيمُ الخليلُ، وولدهُ إسحاقُ، وولدهُ يعقوبُ، وولدهُ يوسفُ، قبورُهم في محلٍّ واحدٍ، وعليهِم من الوقارِ

---

(١) رواه الترمذي (٣١١٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة يوسف، وقال: حسن، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٢٥)، وغيرهم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٣١٧٥)، كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾، ومسلم (٢٣٧٨)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل يوسف عليه السلام، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

والجلالةِ ما لا يَكادُ يُوصَفُ، صَلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِم أجمعينَ. ووُلِدَ ليوسفَ من امرأةِ العزيزِ ولدانِ: أفراييمُ والدُ رحمةَ زوجةِ أيوبَ، وميشا.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[١٠٢] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكورُ من نبأ يوسفَ ﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ لأنك لم تحضرْهُ، ولا قرأتَهُ في كتابٍ، وقد أُخْبِرْتَ بهِ، كما جرى.

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ ﴾ أَحْكَموا ﴿ أَمْرَهُمْ ﴾ على كيدِ يوسفَ.

﴿ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ بهِ. والإجماعُ لغةً: العزمُ والاتفاقُ، واصطلاحاً: اتفاقُ مجتهدِي الأُمَّةِ في عصرٍ على أمرٍ ولو فِعْلاً بعدَ النبيِّ ﷺ، وهو حُجَّةٌ قاطعةٌ بالاتفاقِ، ولا يختصُّ الإجماعُ بالصحابةِ بالاتفاقِ.

* * *

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

[١٠٣] ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ ﴾ يا محمدُ ﴿ وَلَوْ حَرَصْتَ ﴾ على إيمانِهم ﴿ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ إنما يؤمن مَنْ شاءَ اللهُ.

* * *

﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ ﴾ على إرشادِكَ إياهم ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ جُعْلٍ.

﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعني: القرآنَ ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ موعظة ﴿ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ عامّةً.

* * *

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَأَيِّن﴾ تقدَّمَ اختلافُ القراء في (وكَأَيِّنْ) في سورةِ آلِ عمرانَ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [الآية: ١٤٦]؛ أي: وكَمْ ﴿مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الآياتِ الدالةِ على الوحدانيةِ.

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يُشاهدونَها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يَتَّعِظونَ بها.

* * *

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ بعبادتِهم الوثنَ.

عن ابنِ عباسٍ أَنَّه قال: «نزلَتْ في تلبيةِ المشركينَ من العربِ، كانوا يقولونَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ إِلاَّ شَرِيكٌ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ»(١).

* * *

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾ نِقْمَةٌ تَتغشَّاهُمْ.

﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الصواعقَ.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (٢/ ٨٤٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٩٣).

﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمجيءِ القيامةِ.

***

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

[١٠٨] ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ طريقي؛ يعني: الدعوةَ إلى التوحيدِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (سَبِيلِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ يقينٍ ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ أي: ومَنْ آمنَ بي أيضاً يدعو إلى اللهِ.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ورُوِيَ أن هذهِ الآية ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ إلى آخرِها كانَتْ مرقومةً على رايةِ يوسفَ عليه السلام.

***

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

[١٠٩] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا محمدُ ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ وليسوا بملائكةٍ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٦).

﴿ نُوحِىٓ إِلَيْهِم ﴾ **قرأ** حفصٌ عن عاصمٍ: (نُوحِي) بالنون، وكسرِ الحاءِ، والباقون: بالياء وفتحِ الحاءِ[1].

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ الأمصارِ، قالَ الحسنُ: لَمْ يبعثِ اللهُ نبيّاً من البدوِ، ولا منَ الجنِّ، ولا من النساءِ؛ لجفائِهم وقسوتِهم وجهلِهم[2].

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني: هؤلاءِ المشركينَ ﴿ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ﴾ آخِرُ أمرِ ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من الأممِ المكذِّبَةِ فيعتبروا.

﴿ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴾ حَضٌّ على الآخرةِ والاستعدادِ لها، والاتقاءِ للموبقاتِ فيها، ثُمَّ وَبَّخهم بقولِه: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فيؤمنون. **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (تَعْقِلُونَ) بالخطابِ، والباقونَ: بالغيبِ.

***

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ (حَتَّى) مُتعلِّقَةٌ بمحذوفٍ دلَّ عليهِ الكلامُ؛ كأنه قيل: وما أرسلْنا من قبلِكَ إلا رجالاً، فتراخَى نصرُهم، حتى إذا استيأسوا عن النَّصْرِ.

﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ ﴾ **قرأ** نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥).

وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (كُذِّبُوا) بالتشديدِ، يعني: الرسلَ ظَنُّوا أنَّ الأممَ قد كَذَّبوهم تكذيباً لا يُرْجى بعدَهُ إيمانهم، وظَنُّوا بمعنى: أيقنوا، **وقرأ** الباقون: (كُذِبُوا) بالتخفيف[1]، معناه: ظنَّ الأممُ أن الرسلَ كَذبوا في وعيدِ العذابِ.

﴿جَآءَهُمْ﴾ يعني: الرسلَ ﴿نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾ **قرأ** ابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، ويعقوبُ: (فَنُجِّيَ) بنونٍ واحدةٍ وتشديدِ الجيم وفتحِ الياء على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، وقد أجمعتِ المصاحفُ على كتابتِه بنونٍ واحدة، **وقرأ** الباقون: بنونينِ، الثانيةُ ساكنةٌ مخفاةٌ عندَ الجيمِ، وتخفيفِ الجيمِ وإسكانِ الياءِ[2]؛ أي: نحنُ نُنْجِي مَنْ نشاءُ عندَ نزولِ العذابِ، وهم المؤمنون.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابُنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركينَ.

* * *

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ أي: في خبرِ يوسفَ وإخوتِه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٧)، وأنكرت عائشة رضي عنها قراءة التخفيف كما ذكر البغوي ذلك عنها.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٨).

﴿عِبۡرَةٞ﴾ أي: اعتبارٌ ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ لذوي العقولِ.

﴿مَا كَانَ﴾ أي: القرآنُ ﴿حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ﴾ يُختلَقُ.

﴿وَلَٰكِن﴾ كانَ ﴿تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ من الكتبِ المنزلةِ ﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يَحتاجُ إليه العبدُ ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالِ ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ نعمةً.

﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ يُصَدِّقونَ به، والله أعلم.

* * *



سورة الرعد

مكية إلا قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية، وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الآية، وقيل: مدنية إلا قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ الآيتين نزلتا بمكة، وآيها ثلاث وأربعون آية، وحروفها ثلاثة آلاف وخمس مئة وستة أحرف، وكلمها ثمان مئة وخمس وخمسون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿الٓمٓر﴾ قال ابنُ عباسٍ: «معناهُ: أنا اللهُ أَعلمُ وأَرى»(١) وتقدَّمَ ذكرُ السَّكْتِ والإمالةِ في أولِ سورةِ يونسَ(٢).

﴿تِلْكَ﴾ أي: أخبارُ الأممِ المتقدمةِ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: الكتبِ المنزلةِ على الأنبياءِ قبلَكَ ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني: القرآنَ، مبتدأٌ، خبرُه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ فاعتصِمْ به.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في الآية (١) منها.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: مشركي مكةَ.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعدمِ تأمُّلِهم فيه.

* * *

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ جمعُ أَعْمِدَةٍ، وهي جمعُ عمودِ البيتِ، يعني: السَّواري ﴿تَرَوْنَهَا﴾ استشهادٌ برؤيتِهم لَها كذلكَ، والمرادُ: نفيُ العَمَدِ أصلاً، وهو الأصحُّ، فهي واقفةٌ كالقبَّةِ، والقدرةُ أعظمُ من ذلكَ.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بلا كيفٍ، وتقدَّمَ الكلامُ عليه في سورةِ الأعرافِ.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ ذلَّلَهما لمنافعِ خَلْقِه على ما يريدُه تعالى.

﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لوقتٍ معلومٍ، وهو انقضاءُ الدنيا.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ في خَلْقِه من غيرِ شريكٍ له فيه.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يُبين البراهينَ.

﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ لكي تُصدِّقوا وعدَه.

* * *

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ بسَطَها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابتَ، قالَ

ابنُ عباس: «كانَ أبو قُبيسٍ أولَ جبلٍ وُضِعَ على الأرضِ»[1] ﴿وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا﴾ أي: خلقَ في الأرضِ حينَ بسطَها من كلِّ نوعٍ من الثمراتِ ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: نوعين: حلوٌ، وحامضٌ، ونحوُهما.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يُلْبِسُهُ مكانَه، فيصيرُ الجوُّ مظلماً بعدَ ما كان مضيئاً. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصم: (نُغْشِي) بالنون[2]، والباقون: بالياء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكورِ.

﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها، والتفكُّرُ: تصرُّفُ القلبِ في معاني الأشياءِ.

* * *

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ متلاصِقاتٌ مختلفاتٌ مع تلاصُقِها طيبةٌ إلى سبخةٍ، وكثيرةُ الريعِ إلى قليلِه، ونحوُ ذلك.

﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ بساتينُ ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ هي النخلاتُ يجمعُهُنَّ أصلٌ واحدٌ، ومنهُ قولُ النبيِّ ﷺ في العباسِ: «عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ»[3].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٨٩).

(٢) «بالنون» ساقطة من «ت».

(٣) رواه مسلم (٩٨٣)، كتاب: الزكاة، باب: في تقديم الزكاة ومنعها، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَغَيۡرُ صِنۡوَانٍ﴾ النخلةُ المنفردةُ بأصلِها. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ) بالرفعِ في الأربعةِ عطفاً على (جَنَّاتٌ)، **وقرأها** الباقونَ: بالخفضِ عطفاً على (أَعْنَابٍ)[1].

﴿يُسۡقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ وهي متغايرةٌ في الألوانِ والطُّعومِ. **قرأ** ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (يُسْقَى) بالياءِ على التذكيرِ؛ أي: يُسْقَى المذكورُ، **وقرأ** الباقونَ: بالتاءِ على التأنيث؛ أي: تُسْقَى الجنةُ بما فيها، وأمالَ حمزةُ، والكسائيُّ القافَ[2].

﴿وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فِي ٱلۡأُكُلِۚ﴾ في الثمرِ والطَّعْم. **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَيُفَضِّلُ) بالياء؛ لقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾، **وقرأ** الباقون: بالنون على معنى: ونحن نفضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأُكُلِ[3]، **وقرأ** نافعٌ، وابنُ كثيرٍ: (الأُكْلِ) بإسكانِ الكافِ، والباقون: بضمِّها[4]، والأُكْلَةُ بضمِّ الهمزةِ: اللقمةُ، وبكسرِها: الحالةُ يؤكَلُ عليها،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٩ـ٥١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠٤ـ٢٠٦).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠٦ـ٢٠٧).

(٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠٧).

وبفتحها: المرةُ الواحدةُ، كذلك بنو آدمَ من أبٍ واحدٍ، واختلفَتْ خَلْقُهُم وأخلاقُهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ يستعمِلون عقولَهم بالتفكُّرِ.

* * *

﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾.

[٥] ﴿۞ وَإِن تَعۡجَبۡ﴾ يا محمدُ من إنكارِهم النشأةَ الآخرةَ، مع إقرارِهم بابتداءِ الخلقِ من اللهِ عز وجل، وقد تقرر في القلوب أنَّ الإعادةَ أهونُ من الابتداء.

﴿فَعَجَبٞ﴾ تصويبٌ لعَجَبِهِ ﷺ، والعجبُ: تغيرُ النفسِ برؤيةِ المستبعَدِ في العادةِ. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، وخلادٌ عن حمزةَ: (تَعْجَب فَّعَجَبٌ) بإدغامِ الباءِ في الفاء، والباقون: بالإظهار(١).

﴿قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ بعدَ الموتِ.

﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ أي: أَنُبْعَثُ خَلْقاً جديداً بعدَ الموتِ؟ واختلافُ القراءِ في (أَئِذَا) (أَئِنَّا) في الإخبارِ بالأولِ منهما، والاستفهامِ بالثاني،

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٨-٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠٧).

وعكسِه، والاستفهامِ فيهما، فقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ: (إِذَا) بالإخبارِ (أَئِنَّا) بالاستفهامِ، فابنُ عامرٍ يحقِّقُ الهمزتينِ، وأبو جعفرٍ يسهِّلُ الثانيةَ، ويفصلُ بينَهما بألفٍ، واختلِفَ عن هشامٍ راوي ابنِ عامرٍ في الفصلِ مع تحقيقِ الهمزتين، وقرأ نافعٌ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (أَئِذَا) بالاستفهامِ، (إِنَّا) بالإخبار، فنافعٌ يسهِّلُ الهمزةَ الثانيةَ، وراويه قالونُ يفصلُ بينَهما بألفٍ، وافقه رويسٌ عن يعقوبَ في التسهيلِ، والكسائيُّ يحقِّقُ الهمزتينِ، وافقه روحٌ عن يعقوبَ، وقرأ الباقون: (أَئِذَا) (أَئِنَّا) بالاستفهام فيهما، فابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو يسهِّلانِ الهمزةَ الثانيةَ منهما، وأبو عمرٍو يفصلُ بينَهما بألفٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، وخلفٌ يحققون الهمزتين[1]، فمن قرأ بالاستفهامينِ، فذلكَ للتأكيدِ، ومن استفهمَ في الأولِ فقط، فإنما القصدُ بالاستفهامِ الموضعُ الثاني، تقديرُه: أَنُبْعَثُ ونُحْشَرُ إذاً، ومن استفهمَ في الثاني فقط، فمعناه: إذا كُنَّا تُراباً أَنُبْعَثُ؟

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي: منكرو البعثِ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْۖ ﴾ أي: أعمالُهم الخبيثةُ.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ لا يُنْقَلون عنها.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٢-١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢-٣٦٤، ٣٧٢-٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠٧-٢٠٩).

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦) ﴾.

[٦] ونزلَ فيمن طلبَ العذابَ قبلَ حينهِ استهزاءً بالنبيِّ ﷺ: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ أي: بالنِّقمةِ قبلَ العافيةِ، والاستعجالُ: طلبُ تعجيلِ الأمرِ قبلَ مجيءِ وقتِهِ.

﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ﴾ جَمْعُ مَثُلَة؛ أي: عقوباتُ أمثالِهم من المكذِّبينَ، المعنى: قد عرفوا ما نزلَ بالأممِ قبلَهم من الهلاكِ، فكيفَ يستعجلونه؟

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ أي: يغفرُ ذنوبَهم مع ظلمِهم أنفسَهم بالمعاصي والشركِ إنْ تابوا ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ للكفارِ.

* * *

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧) ﴾.

[٧] ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ عِناداً:

﴿ لَوْلَا ﴾ أي: هلاَّ ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾ أي: على محمد ﷺ.

﴿ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ أي: حجَّةٌ على صدقِ نبوَّتهِ؛ كإحياءِ عيسى الموتى، وقلبِ عَصا موسى حيةً، قالَ اللهُ تعالى:

﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ ما عليكَ إلا البلاغُ.

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ نبيٌّ يرشدُهم. وقفَ ابنُ كثيرٍ (هادي) بإثباتِ الياءِ بعدَ

الدال، ورُوي ذلكَ عن يعقوبَ وقنبلٍ؛ لأنها الأصلُ، ولأن الذي حُذفتِ الياءُ لأجلِه، وهو التنوينُ، قد زالَ، وقرأ الباقونَ: بحذفها وقفاً؛ لأن الأصلَ هو الوصلُ، وهي في الإمامِ بغيرِ ياءٍ، والحذفُ والإثباتُ جائزان[1]، وكذلكَ حكمُ اختلافِهم في (وَالٍ) و(وَاقٍ) و(بَاقٍ).

***

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ من ذكرٍ وأنثى، وتامٍّ وناقصٍ، وأَبيضَ وأسودَ، وواحدٍ واثنينِ وأكثرَ.

﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ ﴾ أي: تنقصُ ﴿ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ أي: تأخذُهُ زائداً، فنقصانُ الأرحامِ: وضعُها لأقلَّ من تسعةِ أشهرٍ، وزيادتُها: وضعُها لأكثرَ من تسعةِ أشهرٍ، وقيلَ غيرُ ذلك، وأقلُّ مدةِ الحملِ ستةُ أشهرٍ بالاتفاق، وغالبُها تسعةُ أشهرٍ، واختلفوا في أكثرِها، فقال أبو حنيفةَ: سنتانِ، وقال مالكٌ: خمسٌ، وهو المشهورُ عنه، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: أربعٌ.

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ ﴾ في علمه ﴿ بِمِقْدَارٍ ﴾ بتقديرٍ معلومٍ.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠١-٢١٩)، قال مكي: والحذف والإثبات لغتان للعرب والحذف أكثر.

﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ ما غابَ عن خلقِه ﴿ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ ما شاهدوه.

﴿ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ الذي كُلُّ شيءٍ دونَهُ.

﴿ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ عن صفاتِ المخلوقين، وقولِ المشركين. قرأ ابنُ كثيرٍ ويعقوبُ: (الْمُتَعَالِي) بإثباتِ الياءِ، وحذفَها الباقون(١).

* * *

﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ أي: استوى في علمِ اللهِ خافي القولِ وظاهرهُ، ومُخفيهِ ومُظهِرهُ ﴿ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ ﴾ مستترٌ يطلبُ الخفاءَ.

﴿ بِٱلَّيۡلِ ﴾ بظلامِه: رُوِيَ عن يعقوبَ وقنبلٍ: الوقفُ بالياءِ على (مُسْتَخْفِي).

﴿ وَسَارِبُۢ ﴾ سالكٌ في سَرْبِهِ؛ أي: طريقِه ﴿ بِٱلنَّهَارِ ﴾ والسَّرْبُ بفتحِ السينِ وسكونِ الراء: الطريقُ، قال ابنُ عباسٍ: «هُوَ صاحبُ رِيبةٍ مستخفٍ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١١).

بالليلِ، وإذا خرجَ بالنهارِ، أرى الناسَ أنه بريءٌ من الإثمِ»(١).

***

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾.

[١١] ﴿لَهُۥ﴾ أي: الإنسانِ المؤمنِ.

﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ أي: الملائكةُ تتعاقبُ في حفظِه.

﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ أي: من قُدَّامِهِ ومن ورائِه، والتعقيبُ: العودُ بعدَ البَدْءِ، وإنما ذُكر بلفظِ التأنيثِ؛ لأن المرادَ: الجماعاتُ التي يعقبُ بعضُها بعضاً.

﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: بأمرِ الله، فإذا جاءَ القدرُ، خلَّوْا عنه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من النعمةِ.

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ بكثرةِ المعاصي.

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾ عذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ لا يَرُدُّه شيءٌ ﴿وَمَا لَهُم﴾ أي: المرادُ هَلاكُهم ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ من دونِ الله ﴿مِن وَالٍ﴾ وَلِيٍّ. وتقدَّمَ اختلافُ القراءِ في (وَالٍ) عندَ (هَادٍ)(٢)، وفيه دليلٌ على أنَّ خلافَ مرادِ اللهِ مُحالٌ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١١).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا ﴾ من الصاعقةِ ﴿ وَطَمَعًا ﴾ في الغيثِ ﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ﴾ الغيمَ المنسحبَ بالماء.

﴿ ٱلثِّقَالَ ﴾ بالمطرِ، قال عليٌّ: «السَّحابُ غِرْبالُ الماءِ»(١).

* * *

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ والرعدُ اسمُ مَلَكٍ يسوقُ السحابَ، والصوتُ المسموعُ تسبيحُه، فإذا سَبَّحَ، لم يبقَ مَلَكٌ إلا رفعَ صوتَه بالتسبيحِ، فينزلُ القطرُ، وعن عبدِ الله بنِ الزبيرِ أنه كانَ إذا سمعَ صوتَ الرعدِ، تركَ الحديثَ، وقالَ: «سُبْحانَ من يُسَبِّحُ الرعدُ بحمدِه، والملائكةُ من خيفتِه، ويقولُ: إنَّ هذا الوعيدَ لأهلِ الأرضِ لشديدٌ»(٢).

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أيضاً تُسبِّحُ ﴿ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ أي: خيفةِ الله تعالى.

﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾ جمعُ صاعقةٍ، وهي العذابُ المهلِكُ ينزلُ من البرقِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦١٧)، عن كعب. وانظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥١٨).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٢١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٦٢)، عن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ فيهلِكُه.

﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ ﴾ بتكذيبِهم عظمتَهُ وتوحيدَهُ.

﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ العقوبةِ، يقال: محلَ الرجلُ بالرجلِ: إذا مكرَ بهِ وأخذَه بسعايةٍ شديدةٍ.

* * *

﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] رُوي أن عامرَ بنَ الطُّفَيل، وأَرْبَدَ بنَ ربيعةَ أخا لَبيدٍ وَفَدا على رسولِ الله قاصِدَيْنِ قتلَه، فأخذَهُ عامرٌ بالمجادلةَ، ودارَ أربدُ من خلفه ليضربَهُ بالسيفِ، فتنبَّهَ له رسولُ الله ﷺ، وقال: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهما بِمَا شِئْتَ»، فأرسلَ اللهُ على أربدَ صاعقةً فأحرقَتْهُ، وولَّى عامرٌ هارباً، فنزلَ ببيتِ امرأةٍ سلوليةٍ، فرميَ بغُدَّةٍ عظيمةٍ، فماتَ، وكانَ يقولُ: غُدَّةٌ كغدَّةِ البعيرِ، ومَوْتٌ في بيتِ سَلولِيَّةٍ؟! فنزلت الآيةُ:

﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾(١) أي: هو المستحقُّ لها، وهي لا إلهَ إلا اللهُ.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي: الآلهةُ الذين يدعونَهم الكفار.

﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ يريدونه.

﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ ﴾ أي: لا ينتفعُ عبدةُ الأصنامِ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ١٢٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٤)، و«تفسير القرطبي» (٩/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٦١٦ ـ ٦١٧).

بدعائِهم إلا كانتفاعِ عطشانَ يمدُّ يدَه إلى ماءٍ في حفيرة لا يصلُ إليه.

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الأصنامَ ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ لا يفيدُ شيئاً، ولا يُغْنيهم.

* * *

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۩ (١٥)﴾.

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ينقادون.

﴿طَوْعًا﴾ هم المؤمنون.

﴿وَكَرْهًا﴾ هم المنافقونَ والكافرونَ الذين أُكْرِهوا على السُّجودِ بالسيفِ.

﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ جاءَ في التفسيرِ أن الكافرَ يسجدُ لغيرِ اللهِ، وظِلُّه يسجُد لله ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ البُكرِ ﴿وَٱلْـَٔاصَالِ ۩﴾ العَشايا، جمعُ أُصُلٍ، والأُصُلُ جمعُ أَصِيلٍ، وهو ما بينَ العصرِ وغروبِ الشمسِ، وهذا محلُّ سجودٍ بالاتفاق، وتقدَّمَ اختلافُ الأئمةِ في سجودِ التلاوة، وحكمُه، وسجودُ الشكرِ آخِرَ سورةِ الأعرافِ مستوفًى.

* * *

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦)﴾.

[١٦] ﴿قُلْ﴾ للمشركينَ استفهام إنكارٍ ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقُها

وَمُدَبِّرُهَا، فإن لم يعترفوا، فأنت ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ رَبٌّ، هما وإن اعترفوا.

﴿قُلْ﴾ أنتَ إلزاماً لهم: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ أي: دونِ اللهِ.

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أصناماً.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ ومَنْ لا يملكُ لنفسِه شيئاً، فلا يملكُ لغيرِه، ومن هو كذلكَ، فكيف يُعْبَدُ ويُتَّخَذُ وَلِيّاً. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ، ورُويسٌ عن يعقوبَ: (أَفَتَّخَذْتُمْ) بإظهارِ الذالِ عندَ التاء، والباقون: بالإدغام[1]، ثم ضربَ لهم مثلاً فقال:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ يعني: الكافرُ والمؤمنُ ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ يعني: الكفرُ والإيمانُ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ (أَمْ هَلْ يَسْتَوِي) بالياءِ على التذكير؛ لأنه تأنيثٌ غيرُ حقيقيٍّ، والفعلُ مقدَّمٌ، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث[2]؛ لأنه مؤنَّثٌ لم يفصلْ بينَه وبينَ فاعلِه شيءٌ، ثم استفهمَ مُنْكِراً مُعَجِّباً منهم فقالَ:

﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ المعنى: لم يَتَّخِذوا آلهةً يخلقونَ شيئاً فيشتبهُ خلقُهم بخلقِ اللهِ تعالى.

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ بلا شريكٍ، فيعبَدُ بلا شركةٍ.

﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾ المتوحِّدُ بالألوهيةِ ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾ الغالبُ على كلِّ شيءٍ.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٤).

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ثم ضربَ مثلَين للحقِّ والباطلِ، فقال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يعني: المطرَ.

﴿ فَسَالَتْ ﴾ من ذلكَ الماءِ ﴿ أَوْدِيَةٌۢ ﴾ جمعُ وادٍ ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ صغيراً وكبيراً.

﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا ﴾ هو ما علا وجهَ الماءِ من رغوةِ الماءِ وغيرِها.

﴿ رَّابِيًاۚ ﴾ عالياً على الماءِ، فالماءُ الصافي هو الحقُّ، والذاهبُ الزائلُ الذي يتعلَّقُ بالأشجارِ وجوانبِ الأودية هو الباطلُ، فهذا أحدُ المثلين، والمثلُ الآخرُ قولُه تعالى:

﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يُوقِدُونَ) بالغيب؛ لقولِه تعالى: (مَا يَنْفَعُ النَّاسَ)، ولا مخاطبةَ هاهنا، وقرأ الباقون: بالخطاب[١]؛ أي: ومن الذي توقدون.

﴿ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ﴾ كالذهبِ والفضةِ ﴿ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ ﴾ طلبَ زينةٍ يُتزَيَّنُ بها.

﴿ أَوْ مَتَٰعٍ ﴾ وهو ما يُنْتَفَعُ بهِ؛ كالنحاسِ والرصاصِ يُذابُ فيُتَّخَذُ منه الأواني، والإيقادُ: جعلُ النارِ تحتَ الشيءِ ليذوبَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧-٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٤).

﴿ زَبَدٗا مِّثۡلُهُۥۚ ﴾ أي: إذا سُبكَ بالنارِ، كانَ له زبدٌ، وهو خَبَثُهُ، فالصافي يُنتفعُ به كالماءِ مَثَلُ الحقِّ، وزبدُه يبطلُ كزبدِ الماءِ مَثَلُ الباطلِ.

﴿ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ﴾ أي: يُمَثِّلُ ﴿ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ ﴾ الذي يتقرَّرُ في القلوب.

﴿ وَٱلۡبَٰطِلَۚ ﴾ الذي يعتريها أيضاً.

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ ﴾ الذي علا السيلَ والفلزَّ، وهو ما يَنْفيه الكيرُ مما يُذاب من جُواهرِ الأرض.

﴿ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ ﴾ باطِلاً، والجفاءُ: هو ما يرمي به سيلُ الوادي إلى جنباته من الغُثاءِ، وجفَأَتِ القِدْرُ: إذا غَلَتْ وألقتْ زبَدَها.

﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ من الماءِ وخلاصةِ الفلزِّ من الذهبِ والفضةِ والنحاسِ.

﴿ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ لمنافِعهم.

﴿ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ فيظهرُ الحقُّ منَ الباطلِ.

* * *

﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨ ﴾.

[١٨] ﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ ﴾ أجابوا ﴿ لِرَبِّهِمُ ﴾ وأطاعوه.

﴿ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ الجنةُ، وكلُّ ما يختصُّ به المؤمنُ من نعمِ اللهِ سبحانه، و(السُّوءَى) النارُ.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ ﴾ هم الكافرون ﴿ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا

﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ لبذلوه افتداءً لأنفسِهم من النارِ، فلا يُقْبَلُ منهم.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ هو المناقشةُ فيه، فلا يُغْفَرُ لهم شيءٌ من ذنوبهم.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾ في الآخرةِ ﴿جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ المستقرُّ.

* * *

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ثم أدخلَ همزةَ الإنكارِ على الفاءِ مبيناً أَنْ لا مساواةَ بينَ حالِ المستجيبِ وضدِّهِ فقالَ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ ويؤمنُ به، وهو حمزةُ رضيَ اللهُ عنهُ ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ عن الحقِّ لا يبصرُه، وهو أبو جهلٍ وغيرُه ممن كانَ كذلك.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يَتَّعِظُ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ ذَوو العقولِ فيستجيبونَ.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ إذا عاهدوا.

﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ﴾ العهدَ الموثَّقَ.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ والمرادُ: صلةُ الرَّحِمِ

عن النبيِّ ﷺ قال: «ثلاثةٌ تحتَ العَرْشِ يومَ القِيامَةِ: القُرآنُ يُحاجُّ العِبادَ لَهُ ظَهْرٌ وبَطْنٌ، وَالأَمانَةُ، وَالرَّحِمُ تُنادِي: أَلاَ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ»(١).

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ سراً وعلانيةً.

﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو عدمُ المسامحةِ فيه.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على المكارهِ ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا غيرُ ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ في مواساةِ المحتاجِ.

﴿سِرًّا﴾ هو ما يُنْفَق تطوُّعاً ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ هي الزكاةُ المفروضةُ.

﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ فيجازونَ الإساءةَ بالإحسانِ، وهذا بخلافِ خُلُقِ الجاهليَّةِ، رُويَ أنها نزلَتْ في الأنصارِ، ثم هي عامَّةٌ بعدَ ذلكَ في كلِّ مَنِ اتصفَ بهذهِ الصفة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ عاقبةُ الدنيا، وهي الجنةُ.

* * *

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ١٨٧)، عن عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ.

[٢٣] ثم بيَّنَهُ بقولِه تعالى: ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ ﴾ بساتينُ إقامةٍ.

﴿ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ ﴾ أي: من عملَ صالحاً.

﴿ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ﴾ المعنى: يدخلون الجنةَ بجميعِ أهلِهم؛ تكميلاً لفرحِهم.

﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ من أبوابِ الجنةِ.

* * *

﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ويقولون لهم: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ أي: هذا الثوابُ لكم بسببِ صبرِكم على مشاقِّ الدينِ، تلخيصُه: تعبتُمْ ثَمَّ، فاسترحْتُم هنا ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ونزلَ في الكفارِ صفةٌ حالة مضادَّة للمتقدمةِ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ﴾ المأخوذَ عليهم بالطاعةِ.

﴿ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ فيؤمنون ببعضِ الأنبياءِ، ويكفرون ببعضٍ ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالمعاصي والظلمِ.

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ ﴾ الإبعادُ من رحمةِ اللهِ ﴿ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ ضدُّ (عُقْبى الدَّارِ)، والأظهرُ في الدارِ هنا أنها دارُ الآخرةِ.

* * *

﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦ ﴾.

[٢٦] ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ﴾ يُوسِّعُ.

﴿ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ يَهَبُ للكافرِ المالَ ليهلكَهُ به.

﴿ وَيَقۡدِرُۚ ﴾ يُضَيِّقُ على المؤمنِ لِيَعْظُمَ بذلكَ أَجْرُهُ، فالكلُّ بمشيئةِ الله تعالى، ثُم استجهلَهم في قوله: ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فرحَ بَطَرٍ لا فرحَ شكرٍ للنعمةِ.

﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ ﴾ كائنةً ﴿ فِي ﴾ جنبِ ﴿ ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴾ ذاهبٌ يُستمتعُ به قليلاً، ثم يفنى.

* * *

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٢٧ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من أهلِ مكةَ:

﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾ تكونُ دليلاً على صدقِهِ.

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ إضلالَهُ.

﴿ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ ﴾ يرشدُ إلى دينه ﴿ مَنۡ أَنَابَ ﴾ رجعَ عن مُنْكَرٍ.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾.

[٢٨] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ ﴾ تسكنُ ﴿ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ إذا ذكروه، أو ذُكِر لهم.

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ فيستقرُّ فيها اليقينُ.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ أي: طيبُ العيشِ ﴿ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ مرجعٌ إلى الجنةِ. قرأ يعقوبُ: (مَآبِي) بإثباتِ الياءِ في الحالين حيثُ وقعَ إذا لم ينون، والباقون: بحذفها[(١)]، وقرأ أبو عمرٍو: (الصَّالِحَات طُّوبَى) بإدغامِ التاءِ في الطاءِ[(٢)].

* * *

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ إرسالِنا الرسلَ قبلَكَ يا محمدُ ﴿ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ ثُمَّ بينَ المرسَلَ إليهم فقال: ﴿ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ ﴾ علَّلَ ذلكَ فقال: ﴿ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ من القرآنِ وشرائعِ الإسلامِ.

﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ ﴾ الواسعِ الرحمةِ.

﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ: ﴿ هُوَ ﴾ أي: الرحمنُ الذي كفرتُم به.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٦).

﴿رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ اعتمدْتُ ﴿وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ أي: توبتي.
قرأ يعقوبُ: (مَتَابِي) بإثباتِ الياء، والباقون: بحذفها[1].

* * *

﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ولما اقترحَ مشركو مكةَ منهم أبو جهلِ بنُ هشامٍ، وعبدُ اللهِ بنُ أبي أميةَ على النبيِّ ﷺ إزالةَ جبالِ مكةَ لتتفسَّحَ، وجَرْيَ مياهٍ بأرضِهم ليغرسوا الأشجارَ ويزرعوا، وإحياءَ موتاهم، وأنه إنْ فعلَ ذلكَ، آمنوا به، نزل:

﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ﴾[2] نُقِلَتْ ﴿بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ عن أماكنِها.

﴿أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: شُقَّتْ فجُعِلَتْ أنهاراً وعيوناً.

﴿أَوۡ كُلِّمَ﴾ أي: أُحْيِيَ.

﴿بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ﴾ وجوابُ (لو) محذوفٌ، وتقديرُه: لكانَ هذا القرآنَ؛

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٧).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٥ ـ ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٣٢).

لكونه غايةً في التذكيرِ، ونهايةً في الإنذارِ ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ في إيمانِ مَنْ آمنَ(١)، وكفرِ مَنْ كفرَ.

﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ﴾ أي: يعلم، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ﴾ فآمنوا ﴿جَمِيعًا﴾ وتقدم اختلاف القراء في ﴿ييأس﴾ في سورة يوسف عند قوله تعالى ﴿فلما استيأسوا منه﴾.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟﴾ من الكفر.

﴿قَارِعَةٌ﴾ واهية تقرعهم بأنواع البلايا من سرايا رسول الله ﷺ وغزواته.

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ أي: تنزل أنت يا محمد بنفسك.

﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ وهو فتح مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

* * *

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] وكانَ الكفارُ يسألونَ عن هذهِ الأشياءِ على سبيلِ الاستهزاءِ، فأنزلَ اللهُ تسليةً لنبيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كاستهزائِهم بكَ. قرأ أبو جعفرٍ: (اسْتُهْزِيَ) بفتحِ الياءِ بغيرِ همزٍ.

---

(١) من قوله: «والباقون (غيابة)...» من سورة يوسف (الآية: ١٠) (ص: ٣٩٦) إلى قوله: «إيمان من آمن» من سورة الرعد (الآية: ٣١) سقط من «ش»، بمقدار عشر لوحات من باقي النسخ الخطية.

﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أَمْهَلْتُ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ في الدنيا بالقتلِ، وفي الآخرةِ بالنارِ.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ تعجيبٌ من شِدَّةِ أخذِهِ لهم. قرأ يعقوبُ: (عِقَابِي) بإثباتِ الياءِ[1].

* * *

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ثم احتجَّ عليهم موبِّخاً فقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: أَفَاللهُ الذي هو رقيبٌ على كلِّ نفسٍ، يعلَمُ خيرَها وشرَّها، وجوابُه محذوفٌ تقديرُه: كَمَنْ ليسَ كذلك، وهم أصنامُكم؟

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ المعنى: أَفَمَنْ له القدرةُ والوحدانيَّةُ، ويُجْعَلُ له شريكٌ، أَهْلٌ أَنْ ينتقمَ ويعاقِبَ أم لا؟ والأنفسُ من مخلوقاتِه، وهو قائمٌ على الكُلِّ.

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ بيِّنوا شركاءَكم بأسمائِهم وصفاتِهم حتى نعرفَ هل يجوزُ أن يُعْبَدوا.

﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ أي: تخبرون اللهَ ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه لا يعلمُ لنفسِهِ شريكاً.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٨).

﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: تُسمُّونهم شركاءَ من غيرِ أن يكونَ لذلك حقيقةٌ.

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ كيدُهم بِشِرْكِهم. قرأ الكسائيُّ، وهشامٌ: (بَل زُّيِّنَ) بإدغامِ اللامِ في الزاي، والباقون: بالإظهار[1].

﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قرأ الكوفيونَ، ويعقوبُ: (وَصُدُّوا) بضمِّ الصادِ على تعدِّي الفعل، وقرأ الباقون: بالفتح[2]؛ أي: وصَدُّوا الناسَ: صَرَفوهم عن الدينِ.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ بخذلانِه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يوفِّقُه.

***

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتلِ والأَسْرِ.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشدُّ شَقّاً للقلبِ.

﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ مانعٍ يمنعُهم من العذابِ: تقدم التنبيهُ على مذاهبِ القراء في (هَادِي)، ومثلُه (وَاقِي)[3].

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٩).

(٣) عند تفسير الاية (٧) من هذه السورة.

﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ مَّثَلُ ﴾ أي: صفةُ ﴿ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ كقولهِ تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل: ٦٠]؛ أي: الصفةُ العليا.

﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ ثمرُها دائمٌ لا ينقطعُ. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (أُكْلُهَا) بإسكانِ الكافِ، والباقون: بضمِّها(١).

﴿ وَظِلُّهَا ﴾ ظليلٌ لا يزولُ، وهو ردٌّ على الجهميَّةِ حيثُ قالوا: إن نعيمَ الجنةِ يَفْنى.

﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ﴾ أي: مصيرُهم.

﴿ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ لا غيرُ.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ القرآنَ، وهم الصحابةُ رضي الله عنهم.

﴿ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ من القرآنِ.

﴿ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ يعني: الكفارَ الذين تَحَزَّبوا على رسولِ الله ﷺ من

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٢٠).

اليهودِ والنصارى ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ أي: بعضَ القرآنِ، وهو ما يخالفُ شرائِعَهم، أو يوافقُ ما حَرَّفوه منها، قالَ ابنُ عباسٍ: «آمَنَ اليهودُ بسورةِ يوسُفَ، وكفرَ المشركونَ بجميعِهِ»(١).

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ نصباً عطفاً على (أَنْ أَعْبُدَ)؛ أي: أُمرت فيما أُوحيَ عليَّ بأَنْ أعبدَ اللهَ، وبأَنْ لا أُشركَ به.

﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟﴾ لا إلى غيرِه ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ مَرْجِعي.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثلَ هذا الإنزالِ المشتملِ على أصولِ الدياناتِ المجمَعِ عليها ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآنَ ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ أي: حكمةً مترجمةً بلسانِ العربِ ليسهُلَ لهم فهمُه.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ باستقبالِ قبلتِهم بعدَما حُوِّلْتَ عنها.

﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بأنهم كفارٌ.

﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ ناصرٍ ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ حاجزٍ، وهذا خطابٌ له ﷺ، وتحريضٌ للسامعينَ على التمسُّكِ بالدين. وتقدَّمَ التنبيهُ على مذاهِب القراءِ في (مَآبِي) و(وَاقِي)(٢).

* * *

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٩٥).

(٢) عند تفسير الآية (٧) من هذه السورة.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ولما عيَّره اليهودُ، وقيل: المشركون بكثرةِ الزوجاتِ، واقترحوا عليه الآياتِ، نزلَ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾(١) ولم نجعلْهم ملائكةً.

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ ﴾ ولم يكنْ في وُسْعِهِ.

﴿ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فإنه القادرُ على ذلك.

﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ ﴾ أمرٍ قضاهُ اللهُ ﴿ كِتَابٌ ﴾ وقتٌ معلومٌ يقعُ فيه.

* * *

﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ من الشرائعِ بنسخِها ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ ما يشاءُ فيتركُهُ غيرَ منسوخ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (وَيُثْبِتُ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَابِ ﴾ أصلُه؛ يعني: اللوحَ المحفوظَ، فلا يُبدَّلُ فيه ولا يُغيَّرُ.

* * *

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ في حياتِكَ يا محمدُ.

﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ من إنزالِ العذابِ بهم.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٦).

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ ذلكَ، فلا تحزنْ.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ تبليغُ الرسالةِ لا غيرُ ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ والجزاءُ يومَ القيامةَ، قال ابنُ عباسٍ: «نُسِخَتْ بآيةِ السيفِ وفرضِ الجهادِ»[1].

***

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ أهلُ مكةَ ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾ بفتحِ ديارِ الشركِ، فما زادَ في بلادِ الإسلام، نقصَ من بلادِ الشركِ، أفلا يعتبرون؟

﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ﴾ لا ناقض[2] ﴿لِحُكْمِهِۦ ۚ﴾ والمعنى: إنه حكمَ للإسلامِ بالإقبالِ، وعلى الكفرِ بالإدبارِ ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فيحاسبُهم عمَّا قليلٍ في الآخرة بعدَما عَذَّبَهم بالقتلِ والإجلاءِ في الدنيا.

***

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كادوا أنبياءَهم، والمكرُ: إيصالُ

---

(١) تقدم تخريجه. وانظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٢٠).

(٢) «لا ناقض» سقط من «ش».

المكروهِ إلى الإنسانِ من حيثُ لا يشعرُ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أي: عندَ اللهِ جزاءُ مكرِهم، لا يغلبه أحدٌ على مرادِه.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ تنبيهٌ وتحذيرٌ في طَيِّ إخبارٍ، ثم توعَّدهم بقوله:

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾: قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (الْكَافِرُ) على التوحيدِ؛ إرادةً للجنسِ، وقرأ الباقون: (الْكُفَّارُ) على الجمعِ[1] ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ الآخرة، فيدخلُ المؤمنون الجنةَ، والكافرون النار.

* * *

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هم أهلُ الكتابِ:

﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ من اللهِ، وإنما أنت مُدَّعٍ.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لما أظهرُ من الأدلةِ على رسالتي.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: مؤمني أهلِ الكتابِ يشهدون بنعتي في كتبِهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٢١).

سورة ابراهيم
عليه السلام

مَكِّيَّةٌ، إلا من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾، وآيُها: ثلاث وخمسونَ، وحروفُها ثلاثةُ آلافٍ وأربعُ مئةٍ وأربعةٌ وثلاثون حرفاً، وكَلِمُها: ثمانُ مئةٍ وثلاثون كلمةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿الر﴾ تقدَّمَ الكلامُ عليه، ومذاهبُ القراءِ فيه في أولِ سورة يونَس[1] ﴿كِتَابٌ﴾ رفعٌ على خبرِ ابتداءٍ مضمرٍ تقديرُه: هذا كتابٌ.

﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ صفةٌ لكتاب ﴿إِلَيْكَ﴾ يا محمُد، وهو القرآنُ.

﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ بالدعاءِ والإنذارِ، وعَمَّ الناسَ؛ إذ هو مبعوثٌ إلى جميعِ الخلقِ.

﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفرِ ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمانِ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بتسهيلِه وتمكينِه لهم.

---

(١) الآية (١) منها.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ إلى دين ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالبِ.

﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ المستحقِّ للحمدِ.

* * *

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿ٱللَّهِ﴾ **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (اللهُ) بالرفع على القطع على الابتداءِ، وخبرُه (الذي)، ويصحُّ رفعُه على تقديرِ: هو الله الذي، وافقَهم رويسٌ راوي يعقوبَ في الابتداءِ خاصة، وإذا وصلَ خَفَضَ، **وقرأ** الباقون: بالخفضِ في الحالين نعتاً للعزيزِ الحميدِ، وقال أبو عمرٍو: والخفض على التقديمِ والتأخيرِ، مجازُه: إلى صراطِ اللهِ العزيزِ الحميدِ[١].

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ﴾ أي: شِدَّةٌ وبلاءٌ ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ يلقونَهُ.

﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وعيدٌ لمن كفرَ ولم يخرجْ من الظلماتِ إلى النور.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ يُؤْثِرون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٢٧ـ٢٢٨).

﴿ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ يأخذونَ ما تعجَّل منها تهاوناً بأمرِ الآخرةِ.

﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يمنعونَ الناسَ عن الإيمان ﴿ وَيَبْغُونَهَا ﴾ يطلبونَها؛ أي: سبيلَ اللهِ ﴿ عِوَجًا ﴾ زَيْغاً ومَيْلاً عن الحقِّ.

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ ووصفُ الضلالِ بالبعدِ عبارةٌ عن تعمُّقِهم فيه، وصعوبةِ خروجهم.

* * *

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ بلغتِهم؛ ليفهموا عنه، وقد بُعث النبيُّ ﷺ من العربِ بلسانِهم، والناسُ تبعٌ لهم، وبَعَثَ رسلَه منهم إلى الأطرافِ يترجمون لكلِّ قومٍ بلغتِهم.

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ما أُمروا به، فتلزمُهم الحجةُ ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾ بالخذلانِ ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ بالتوفيقِ.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ فلا يُغْلَبُ على مشيئتهِ.

﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الذي لا يُضِلُّ ولا يَهْدي إلا بحكمةٍ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ وهي العصا، واليدُ، وسائرُ التسعِ.

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بالدعوة.

﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ تقدَّمَ تفسيرُهما قريباً.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: وقائعِه في الأممِ الماضيةِ من الكفارِ، وأَنْعُمِهِ عليهم وعلى غيرِهم من أهلِ طاعتِه، وعَبَّرَ عن النعمِ والنقمِ بأيامٍ؛ إذْ هي في أيام.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على البلاءِ.

﴿شَكُورٍ﴾ للنعماءِ، وفيه تنبيهٌ على أَن الصبرَ والشكرَ عنوانُ المؤمنِ.

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يُذيقونَكُم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أشدَّهُ وأسوأَهُ.

﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ وقال هنا (يَذْبِّحُونَ)، وفي البقرةِ بغيرِ واو؛ فحيثُ طرحَ الواوَ، فَسَّرَ العذابَ بالتذبيحِ، وحيثُ أثبتَها، جعلَ التذبيحَ جنساً مستقلاً بنفسِه، فعطفه على العذابِ يوضِّحُه.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ﴾ يتركوهن أحياءً.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ والبلاءُ في هذهِ الآيةِ يحتملُ أن يريدَ به المحنةَ، ويحتملُ أن يريدَ به الاختبارَ، والمعنى متقاربٌ.

* * *

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ ﴾ أي: أعلمَ ﴿ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ ﴾ يا بني إسرائيل نِعَمي، ووَحَّدْتموني ﴿ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ من فَضْلي وثَوابي.

﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ إحساني إليكم ﴿ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ فَلَعَلِّي أُعذِّبُكم على الكفرِ عذاباً شديداً، ومن عادةِ أكرمِ الأكرمينَ أن يصرِّحَ بالوعدِ، ويُعرِّضَ بالوعيدِ.

* * *

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ من الثقلينِ.

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ ﴾ عن خلقِه ﴿ حَمِيدٌ ﴾ يستوجبُ المحامدَ كلَّها، دائمٌ في ذلكَ في ذاتِه وهذا القولُ يتضمَّنُ عظمتَه تعالى، وتحقيرَهم وتوبيخَهم.

* * *

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ من كلامِ

موسى عليه السلام ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ مبتدأ، خبره ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ المعنى: لكثرتهم لا يُحصى: عددهم إلا اللهُ. لَمَّا قرأ ابنُ مسعودٍ هذهِ الآيةَ، قالَ: «كذبَ النَّسَّابونَ من بعدُ»[1]؛ يعني: أن النسابين يدعون علمَ الأنسابِ، وقد نفى تعالى علمَها إلا عنهُ، وقالَ ابن عباس: «بين إبراهيم وبينَ عدنانَ ثلاثونَ قرناً، لا يعلمُهم إلا الله»[2].

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلالاتِ الواضحات. قرأ أبو عمروٍ: (رُسْلُهُمْ) (لِرُسْلِهِمْ) وشبهَه بإسكانِ السين، والباقون: بضمها[3].

﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ عضُّوا أناملَهم غيظاً على الرسلِ.

﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ على زَعْمِكم.

﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ من الإيمانِ ﴿مُرِيبٍ﴾ موجبِ الريبة.

***

﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠)﴾.

[١٠] ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ هذا استفهامٌ بمعنى نفيِ

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٨٧). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٤٧).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٠ـ٢٣١).

ما اعتقدوه، والشكُّ: ما استوى طَرَفاهُ وهو الوقوفُ بينَ الشيئينِ لا يميلُ القلبُ إلى أحدِهما.

﴿فَاطِرِ﴾ أي: خالقِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى الإيمانِ والتوبةِ ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ شيئاً ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ وهو ما بينَكم وبينَه تعالى؛ فإنَّ الإسلامَ يَجبُّـهُ دونَ المظالمِ.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (وُيُوَخِّرَكُمْ) وشبهَه بفتحِ الواوِ بغيرِ همزٍ، والباقونَ: بالهمزِ[1].

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ وهو الموتُ، فلا يعاجلُكم بالعذابِ والهلاكِ ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا فضلَ لكم علينا، وإنما.

﴿تُرِيدُونَ﴾ بقولِكم ﴿أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ﴾ برهانٍ ﴿مُّبِينٍ﴾ ظاهرٍ على صدقِكم.

***

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (11)﴾.

[11] فثَمَّ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ معترفةً بالبشريةِ.

---

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣١).

﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالنبوةِ والتوحيدِ.

﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: ليسَ في استطاعتِنا أن نأتيَ بما اقْتَرحْتُموه، وإنما هو أمرٌ متعلِّقٌ بمشيئةِ الله تعالى، فيخُصُّ كلَّ نبيٍّ بنوعٍ من الآياتِ.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ واللامُ في قوله (فَلْيَتوكَّلِ) لامُ الأمرِ، وسُكِّنَتْ طلباً للتخفيف، ولِكثرةِ استعمالِها، وللفرقِ بينها وبين لامِ (كَيْ) التي أُلزِمَتِ الحركةَ إجماعاً.

***

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ﴾ المعنى: وأيُّ عذرٍ لنا في تركِ التوكل.

﴿عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ بيَّنَ لنا طرقَ النجاة. قرأ أبو عمرٍو: (سُبْلَنَا) بإسكانِ الباءِ، والباقون: بضمها[١]. ثم أقسموا أن يقعَ منهم الصبرُ على الأذيَّةِ في ذاتِ الله فقالوا:

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ في أبدانِنا وأعراضِنا.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ لِيَثبُتَ الثابتونَ.

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٩-٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣١-٢٣٢).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ ﴾ لَتَصِيرُنَّ.

﴿ فِى مِلَّتِنَا ۖ ﴾ حَلَفوا على أن يكونَ أحدُ الأمرين، وليسَ المرادُ الرجوعَ، لأنهم لم يكونوا في مِلَّتهم قطُّ، وإنما هو بمعنى الصيرورة.

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي: إلى رسلهم: ﴿ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

***

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: أرضهم.

﴿ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ﴾ من بعدِ هلاكِهم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الإسكانُ.

﴿ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى ﴾ أي: موقفَ الحسابِ.

﴿ وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ بالعذابِ. قرأ ورشٌ عن نافعٍ (وَعِيدي) بإثباتِ الياءِ وصلاً، ويعقوبُ: بإثباتها في الحالين، وحذفَها الباقونَ فيهما[١].

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٢).

﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ ﴾ أي : سأل الأنبياءُ النصرَ ﴿ وَخَابَ ﴾ خسرَ .

﴿ كُلِّ جَبَّارٍ ﴾ الذي يجبرُ الخلق على مرادِه ﴿ عَنِيدٍ ﴾ معاندٍ للحق . قرأ حمزةُ : (خَافَ) و(خَابَ) بالإمالةِ[1] .

***

﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ ﴾ أي : أمامه ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ يُلْقى فيها .

﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ هو ما يسيلُ من جلودِ أهلِ النارِ من القيحِ والدَّمِ .

***

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾ يتكلَّفُ جرْعَهُ .

﴿ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ أي : يُجوِّزُه حلْقَهُ .

﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ أي : كأن أسبابَ الموتِ أحاطَتْ به من جميعِ جهاتِه .

﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ فيستريح .

---

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٣).

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ أي: بين يديهِ في كُلِّ وقتٍ يستقبلُه.

﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وهو الخلودُ في النار.

***

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿مَّثَلُ﴾ أي: صفةُ.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ التقديرُ: مثلُ أعمالِ الذين كفروا.

﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي: قَوِيَتْ عليه ففرَّقَتْهُ.

﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾ ريحُهُ، فحُذِفَتِ الريحُ، ووُصِفَ اليومُ بالعصوفِ مجازاً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (الرِّيَاحُ) على الجمعِ، والباقون: بالإفراد(١). وهذا مثلٌ ضربَهُ اللهُ لأعمالِ الكفارِ، يريدُ أنهم لا ينتفعون بأعمالِهم التي عملوها في الدنيا؛ من الصدقةِ، وصلةِ الرحمِ، وإغاثةِ الملهوفِ، لأنهم أشركوا فيها غيرَ الله، فهي كالرمادِ الذي ذرتْهُ الريحُ، لا ينتفعُ به، فذلك قوله:

﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ في الآخرةِ ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ في الدنيا ﴿عَلَىٰ شَيْءٍۚ﴾ أي: لا ينتفعون ثَمَّ بما صنعوا هنا.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ الذي لا تُدْركُ غايتُه فيُرجَى الخلوصُ منه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٣)، وهي بخلاف عن عاصم.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ خطابٌ للنبيِّ ﷺ، والمرادُ به أُمَّتُهُ .

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (خَالِقُ) بألفٍ وكسرِ اللام ورفعِ القافِ على وزن فاعِل، وجَرِّ ما بعدَهُ إضافةً، وقرأ الباقون: (خَلَقَ) بفتح اللام والقافِ بغيرِ ألفٍ على وزن فَعَلَ، ونصبِ ما بعدَه، إلا أن التاء من السمواتِ تكسر لأنها تاءُ جمع المؤنث[١] .

﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ لم يخلُقهنَّ عبثاً سبحانَهُ ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ يُعْدِمْكُم .

﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ يخلقُه مكانكم أطوعَ له منكم .

* * *

﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ ممتنعٍ، بل هو سهلٌ يسيرٌ .

* * *

﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٥٤)، و«الكشاف» للزمخشري (٢/ ٣٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨ـ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٤).

﴿لَهَدَيْنَٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ٢١﴾ .

[٢١] ﴿وَبَرَزُواْ﴾ أي: ويبرزُ الكفارُ من قبورِهم .

﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: لحسابه .

﴿فَقَالَ﴾ أي: فيقولُ ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ هم الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ عن الإيمانِ، وهم المتبوعون: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمعُ تابعٍ، وهو المستَنُّ بآثارِ مَنْ يتبعُه .

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعونَ .

﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي: هل أنتم مُغْنونَ عنا بعضَ شيءٍ هو بعضُ عذابِ اللهِ، فَثَمَّ .

﴿قَالُواْ﴾ يعني: القادةَ المتبوعين .

﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإيمان ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْۖ﴾ إليه .

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ الألفُ للتسويةِ، وليستْ بألفِ استفهامٍ، بل هي كقولِه: (أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ)، المعنى: مستوٍ علينا الجزعُ والصبرُ ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ مخلصٍ .

* * *

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِىۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٢﴾ .

[٢٢] ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ فُرِغَ من الحسابِ، ودخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، قامَ خطيباً في الأشقياء فقالَ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ الذي لا ريبَ فيه، وهو البعثُ والحسابُ، والجنةُ والنارُ، فوفى لكم به.

﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ وعدَ الباطلِ، وهو أنْ لا بعثَ ولا حسابَ، ولا جنةَ ولا نارَ.

﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ كَذَبْتُكم.

﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ تسلُّطٍ أُلْجِئُكُم به إلى الكفرِ. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (لِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1] ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ إلاَّ دعائي إياكُم، وهو استثناءٌ منقطعٌ، تقديره: لكنْ دعوتُكم.

﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ أسرعْتُم إجابتي.

﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾ بوسوستي.

﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ حيثُ أطعتموني، ولم تُطيعوا ربَّكم.

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثِكم.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ قراءة العامةِ: (بِمُصْرِخِيَّ) بفتحِ الياء، وقرأ حمزةُ: بكسرِها، قالَ ابنُ الجزريِّ: وهو لغةُ بني يربوعٍ، نصَّ على ذلك

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٤).

قُطْرُبٌ، وأجازَها هو والفَرَّاءُ، وإمامُ اللغةِ والنحوِ والقراءةِ أبو عمرِو بنُ العلاء، وقالَ القاسمُ بنُ مَعْنٍ النَّحْوِيُّ: هي صوابٌ، ولا عبرةَ بقولِ الزمخشريِّ وغيرِه مِمَّنْ ضَعَّفَها أَوْ لَحَّنَها؛ فإنها قراءةٌ صحيحةٌ اجتمعتْ فيها الأركانُ الثلاثةُ، وقرأ بها أيضاً يحيى بنُ وَثَّابٍ، وسليمانُ بنُ مهرانَ الأعمشُ، وحمرانُ بنُ أعين، وجماعةٌ من التابعينَ، وقياسُها في النحوِ صحيحٌ، وذلكَ أن الياءَ الأولى، وهي ياءُ الجمع، جَرَتْ مَجرى الصحيحِ لأجلِ الإدغامِ، فدخلتْ ساكنةً عليها ياءُ الإضافةِ، وحُرِّكت بالكسرِ على الأصلِ في اجتماعِ الساكنين، وهذه اللغةُ شائعةٌ ذائعةٌ باقيةٌ في أفواهِ الناسِ إلى اليومِ، يقولون: ما فِيِّ أفعلُ كذا، ويطلقونها في كلِّ ياءاتِ الإضافةِ المدغمِ فيها، فيقولون: ما عَلَيِّ منكَ، ولا إِلَيِّ أمرُك، وبعضُهم يبالغُ في كسرَتِها حتى تصيرَ ياءً، انتهى[1]. وقال الشيطانُ:

﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ ﴾ أي: بإشراكِكم إيايَ في الدنيا معَ اللهِ في الطاعة؛ أي: تبرأْتُ منهُ واستنكرتُه. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (أَشْرَكْتُمُونِي) بإثباتِ الياءِ وَصْلاً، ويعقوبُ: بإثباتِها في الحالينِ، وحَذَفَها الباقون فيهما.

﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تتمةُ كلامِ الخبيثِ.

***

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ (٢٣) ﴾.

[٢٣] ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ﴾ أي:

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨-٢٩٩).

من تحتِ ما علا منها؛ كالمباني والأشجارِ ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ دائمينَ فيها.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ المعنى: أدخلَتْهم الملائكةُ الجنة بأمرِ الله تعالى.

﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ أي: يسلِّمُ بعضُهم على بعضٍ، ويسلِّمُ الملائكةُ عليهم.

***

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلَمْ.

﴿كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هي كلمةُ التوحيدِ.

﴿كَشَجَرَةٍ﴾ أي: كثمرةِ شجرةٍ ﴿طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلةُ.

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ متمكِّنٌ في الأرضِ ﴿وَفَرْعُهَا﴾ أغصانُها مرتفعةٌ.

﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: نحوَ السماءِ، كذلك أصلُ هذهِ الكلمةِ راسخٌ في قلبِ المؤمنِ بالمعرفةِ والتصديقِ، فإذا تكلَّمَ بها، صَعِدَتْ نحوَ السماءِ كصعودِ هذهِ الشجرة.

***

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا﴾ تُعطي جَناها. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو:

(أُكْلَهَا) بإسكانِ الكافِ، والباقونَ: بضمها[1].

﴿كُلَّ حِينٍ﴾ أَقَّتَهُ اللهُ لإثمارِها، والحينُ في اللغةِ: الوقتُ، واختلفوا في معناهُ هنا، فقيل: هو سنةٌ؛ لأَنَّ النخلةَ تحملُ كلَّ سنةٍ مرةً، وقيلَ: ستةُ أشهرٍ؛ لأن ذلكَ مدةُ إطلاعِها إلى وقتِ صِرامِها.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بإرادةِ خالقِها، كذلكَ عملُ المؤمنِ يصعدُ كلَّ وقتٍ، وشُبِّهَ الإيمانُ بالشجرةِ؛ لأنَّ الشجرةَ لا بدَّ لها من أصلٍ ثابتٍ، وفرعٍ قائمٍ، ورأسٍ عالٍ، كذلكَ الإيمانُ لا بدَّ له من تصديقٍ بالقلبِ، وقولٍ باللسانِ، وعملٍ بالأبدانِ.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ بضربِ الأمثالِ؛ لأن فيها زيادةَ إفهامٍ لذوي العقولِ والأفهامِ.

* * *

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦)﴾.

[٢٦] ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمةُ الشِّرْكِ.

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحَنْظَلُ. قرأ الكسائيُّ: (خَبِيثَةٍ) بإمالةِ التاءِ حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيثِ.

﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾ اسْتُؤْصِلَت قَلْعاً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ٣٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٥).

كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (خَبِيثَةٌ اجْتُثَّتْ) بضمِّ التنوينِ في الوصلِ، واختلِفَ عن ابنِ ذكوانَ(١).

﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ استقرارٍ.

***

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ هو قولُ: لا إلهَ إلا اللهُ ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قبلَ الموتِ ﴿ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ يعني: في القبرِ، وردَ في الحديثِ: «إِنَّ الرُّوحَ تَعُودُ إِلَى الْمَيِّتِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فِي قَبْرِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، فَيَنْتَهِرَانِهِ الثَّانِيَةَ وَيَقُولَانِ: مَا رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ، فَيَقُولُ: اللهُ رَبِّي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي، وَالإِسْلَامُ دِينِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي»، وذلكَ قولُه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ الآية»(٢)، وكانَ ﷺ إذا فرغَ من دفنِ الميتِ، وقفَ عليهِ وقالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»(٣).

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٥).

(٢) رواه البخاري (١٣٠٣)، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (٢٨٧١)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ نحوه.

(٣) رواه أبوداود (٣٢٢١)، كتاب: الجنائز، باب: الاستغفار عند القبر للميت في =

﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ ﴾ المشركينَ، فلا يُثبِّتُهُمْ.

﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ من توفيقٍ وخذلانٍ وغيرِهما، لا اعتراضَ عليه.

* * *

﴿ ۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ ۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ أي: شكرَ نعمتِه عليهم في محمدٍ ﷺ.

﴿ كُفْرًا ﴾ كفروا به. واختلافُ القراء في الهمزتينِ من (يَشَاءُ أَلَمْ) كاختلافِهم فيهما من (السُّفَهاءُ أَلَا) في سورة البقرة [الآية: ١٣]، و(نِعْمَت) رُسِمَتْ بالتاءِ في أحدَ عشرَ موضعاً، وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ(١).

﴿ وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ ﴾ الذينَ شايعَوهم في الكفرِ.

﴿ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ الهلاكِ. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، وورشٌ عن نافعٍ، والدوريُّ عن الكسائيِّ، وابنُ ذكوانَ عنِ ابنِ عامرٍ: (البَوَارِ) بالإمالةِ، واختلِفَ فيه عن حمزةَ، وابنِ ذكوانَ، فرُوِيَ عن الأولِ الإمالةُ بينَ بينَ، وعنِ الثاني الإمالةُ والفتحُ، وقرأ الباقون: بالفتح(٢).

= وقت الانصراف، والحاكم في «المستدرك» (١٣٧٢)، وغيرهما عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ.

(١) انظر: الآية (٢٣٢) من سورة البقرة.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٦).

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ .

[٢٩] ثمَّ بيَّنَ دارَ البوارِ فقالَ: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يدخلونها، فيُقاسونَ حَرَّها.

﴿ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ المستقرُّ.

* * *

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ .

[٣٠] ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أمثالاً، وليسَ للهِ ندٌّ.

﴿ لِّيُضِلُّوا ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (لِيَضِلُّوا) بفتحِ الياءِ على اللزومِ، واختلِفَ عن رويسٍ راوي يعقوبَ، وليسَ الضلالُ ولا الإضلالُ غرضَهم في اتخاذِ الأندادِ، لكنْ لما كانَ نتيجتَه، كانَ كالغرضِ، وقرأ الباقونَ: بالضمِّ؛ أي: لِيُضلوا هم الناسَ(١).

﴿ عَن سَبِيلِهِ ﴾ الذي هو التوحيدُ.

﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا ﴾ في الدنيا بشهواتِكم ﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ؛ كقولِه: ﴿ ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت: ٤٠].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٧).

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وروحٌ عن يعقوبَ: (لِعِبَادِي) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها(١).

﴿ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: الصلواتِ الخمسَ.

﴿ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا ﴾ صدقةَ التنفُّلِ.

﴿ وَعَلَانِيَةً ﴾ الزكاةَ المفروضةَ، ونصبُهما على المصدرِ؛ أي: إنفاقَ سرٍّ وعلانيةٍ، وقولُه: (يُقِيمُوا) قالتْ فرقةٌ من النحويينَ: جزمُه بإضمارِ لام الأمرِ، وقال فرقةٌ: وهو فعلٌ مضارعٌ يبنى لما كانَ في معنى فعلِ الأمرِ، لأنَّ المرادَ: أقيموا.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ مُخَالَّةٌ؛ أي: مصادَقَةٌ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (لاَ بَيْعَ)، (وَلا خِلاَلَ) بالفتحِ وعدمِ التنوينِ، والباقون: بالرفعِ والتنوينِ(٢).

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٧).

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ ٱللَّهُ ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ ﴾ تعيشونَ به، وهو يشملُ المطعومَ والملبوسَ.

﴿ وَسَخَّرَ ﴾ ذَلَّل ﴿ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ ﴾ السفنَ.

﴿ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ ﴾ حيثُ توجَّهْتم.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ لانتفاعِكم.

* * *

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ ﴾ أي: مُتَّصِلَي السيرِ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ يتعاقبان بالزيادةِ والنقصانِ، والإضاءةِ والإظلامِ، والحركةِ والسكون فيهما.

* * *

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ ﴾ أي: بعضِ جميعِ ﴿ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ ﴾ فإنَّ الموجودَ من كلِّ صنفٍ بعضُ ما في قدرةِ الله.

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ أي: تستوفوا عَدَّها. وتقدمَ التنبيهُ على مذاهب القراء في (نِعْمَتَ) ورسمِها.

﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ ﴾ بالمعصيةِ ﴿ كَفَّارٞ ﴾ لِنِعَمِ ربِّه.

* * *

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَإِذۡ قَالَ ﴾ أي: واذكرْ إذْ قالَ ﴿ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ **قرأ** هشامٌ عن ابنِ عامرِ (إِبْرَاهَامَ) بالألف[١]، ومعنى إبراهيم بالسريانية: الأبُ الرحيمُ.

﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ﴾ مكةَ ﴿ ءَامِنٗا ﴾ يُؤْمَنُ فيه، والفرقُ بينَه وبينَ قولِه: ﴿ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا ﴾ [البقرة: ١٢٦] أن المسؤولَ في الأولِ إزالةُ الخوفِ عنه، وتصييرُهُ آمِناً، وفي الثانيةِ جعلُه من البلادِ الآمنة.

﴿ وَٱجۡنُبۡنِي ﴾ بعِّدْني.

﴿ وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ جمعُ صَنَمٍ، وهو ما كانَ مُصَوَّراً، والوثنُ ما كانَ غيرَ مصوَّرٍ.

* * *

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ ﴾.

---

(١) كما تقدم عنه. وانظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٨).

[٣٦] ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: ضلُّوا بسببهنَّ.

﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على الإسلامِ ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ من أهلِ ديني.

﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ ولم يؤمنْ بي ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بتوبتِكَ على الكفرةِ حتى يؤمنوا. قرأ الكسائيُّ (عَصَانِي) بالإمالة[1].

***

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ﴾ قرأ نافعُ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، (إِنِّيَ) بفتحِ الياءِ، والباقون: بإسكانها[2].

﴿أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي: بعضَ ذريتي، وهم إسماعيلُ ومَنْ وُلِدَ منه، وذلك أن إبراهيمَ عليه السلام لما سارَ إلى مصرَ، ومعه زوجتُه سارةُ، وهبهَا فرعونُ مصرَ هاجرَ، فلما قدمَ إلى الشام، وأقامَ بينَ الرملةِ وإيليا، وكانت سارةُ لا تحمل، فوهبَتْ هاجرَ لإبراهيمَ عليه السلام، فوقعَ عليها، فولدَتْ

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٩).

له إسماعيلَ عليه السلام، ومعناهُ بالعبرانيِّ مُطيعُ اللهِ، وكانَتْ ولادتُه لمضيِّ ستٍّ، وثمانينَ سنةً من عُمْرِ إبراهيمَ، فحزنَتْ سارةُ لذلك، ووهبهَا اللهُ إسحَقَ، وولدَتْهُ ولها تسعونَ سنةً، ثم غارَتْ سارةُ من هاجرَ وابنِها، وطلبتْ من إبراهيمَ أن يُخْرِجَهما عنها، فسارَ بهما إلى الحجاز، وتركَهما بمكةَ بإذنِ اللهِ تعالى، وليس بمكةَ يومئذٍ أحدٌ، ولا بها ماءٌ، ووضعَ عندَهما جراباً فيه تمرٌ، وسقاءً فيه ماءٌ، ثم قَفّى إبراهيمُ منطلقاً، فتبعَتْه أمُّ إسماعيلَ فقالَتْ: يا إبراهيمُ! أينَ تذهبُ وتترُكُنا بهذا الوادي الذي ليسَ فيه أنيسٌ ولا شيء؟ وقالتْ له ذلكَ مِراراً، وهو لا يلتفِتُ إليها، فقالت له: آللهُ أَمَرَكَ بهذا؟ قال: نعم، فقالت: إذاً لا يُضَيِّعُنا الله، ثم رجعتْ، فانطلق إبراهيمَ عليه السلام، حتى إذا كانَ عندَ الثنيةِ حيثُ لا يرونَهُ، استقبلَ القبلةَ بِوَجْهِه، ثم دعا بهؤلاءِ الدَّعواتِ، ورفعَ يديهِ فقال:

﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾ يعني: وادي مكةَ؛ لأنها حجريةٌ لا تُنبتُ ﴿ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ سماه محرَّماً لأنه يحرم عندَهُ ما لا يحرُمُ عندَ غيرِه.

﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ واللامُ لامُ (كي)، وهي متعلقة بـ(أسكنتُ).

﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً ﴾ أي: قلوباً ﴿ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ (أَفْئِيدَةً) بياءٍ بعدَ الهمزةِ[1]، و(مِنْ) للتبعيضِ؛ أي: أفئدةً من أفئدةِ الناسِ، قالَ مجاهدٌ: لو قالَ: (أَفْئِدَةَ النَّاسِ)، لزاحَمَتْهم فارسُ والرومُ والتركُ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٩ـ٣٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٩).

والهندُ، وقال سعيدُ بنُ جبير: لحجَّ اليهودُ والنصارى والمجوسُ، ولكنَّه قالَ: (أفئدةً من الناسِ)، فهم المسلمون[1].

﴿تَهْوِىٓ﴾ تميلُ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ وتقصدُهم بسرعة.

﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ما رزقْتَ سكانَ القرى ذواتِ الماءِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ تلكَ النعمةَ، فأجابَ اللهُ دعوتَهُ، وجعله حَرَماً آمناً يُجبى إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ.

ورُوِيَ أنَّ الطائفَ كانتْ من مدائنِ الشام بأُرْدُنّ، فلما دعا إبراهيمُ بهذا الدعاء، أمرَ اللهُ جبريلَ عليه السلام حتى قَلَعَها من أصلِها، فأدارَها حولَ البيتِ سَبْعاً، ووضعَها قريبَ مكةَ، وبهذهِ القصَّةِ سُمِّيَت الطائفَ، وهو موضعُ ثقيف، ومنها أكثرُ ثمراتِ مكةَ.

وجعلَتْ أمُّ إسماعيلَ تُرضعه وتشربُ من ذلكَ الماءِ حتَّى إذا نَفِدَ ما في السقاءِ، وعطشَتْ، وعطشَ ابنُها، وجعلَتْ تنظرُ إليه يتلوَّى، فانطلقتْ كراهةَ أن تنظرَ إليه، فوجدتِ الصفا أقربَ جبلٍ في الأرض يَليها، فقامَتْ عليه، ثم استقبلتِ الواديَ تنظُر إليهِ هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطَتْ من الصفا، حتى إذا بلغتِ الواديَ رفعتْ طرفَ درعِها، ثم سَعَتْ سعيَ الإنسانِ المجهودِ حتَّى جاوزتِ الواديَ، ثم أَتَتِ المروةَ، فقامتْ عليها ونظرتْ هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً، ففعلتْ ذلكَ سبعَ مراتٍ، قالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنه: قالَ النبيُّ ﷺ: «فَلِذَلِكَ سَعَى النَّاسُ بَيْنَهُمَا»، فلما أشرفتْ على المروةِ، سمعتْ صوتاً فقالت: مَهْ؛ تريدُ نفسَها، ثم تسمَّعَتْ،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٦٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٧).

فسمعتْ أيضاً، فقالتْ: قد أَسْمعْتَ إنْ كانَ عندَكَ غوثٌ، فإذا هي بالمَلَكِ عندَ موضعِ زمزم، فبحثَ بعقِبه، أو قالَ بجناحِه حتى ظهرَ الماءُ، فجعلَتْ تُحَوِّضُهُ وتقولُ بيدِها هكذا، وجعلت تغرفُ من الماءِ في سقائِها، وهي تقولُ بعدَما تغرفُ: زَمْ زَمْ، قالَ ابن عباس: قالَ النبيُّ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ، أو قال: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ، لَكَانَ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً».

قال: فشربتْ وأرضعتْ ولدَها، فقالَ لها الملَكُ: لا تخافي الضَّيْعَةَ؛ فإنَّ هاهنا بيتَ اللهِ عز وجل يَبْنِيه هذا الغلامُ وأبوه، وإن اللهَ عز وجل لا يُضَيِّعُ أهلَه، وكان البيتُ مرتفعاً من الأرضِ كالرابيةِ تأتيهِ السيولُ فتأخذُ عن يمينِه وشمالِه، فكانَ كذلكَ حتَّى مَرَّتْ بهم رُفْقَةٌ من جُرْهُم مُقبلينَ من طريقِ كُدَيٍّ، فنزلوا في أسفلِ مكةَ، فرأوا طائراً عائِفاً، فقالوا: إن هذا الطائرَ لَيدورُ على ماءٍ، لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماءٌ، فأرسلوا جَرِيّاً أَوْ جَرِيَّيْنِ، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا وأمُّ إسماعيلَ عندَ الماءِ، فقالوا: أتأذنينَ لنا أن ننزلَ عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حَقَّ لكم في الماء، قالوا: نعم، ورُوي أنهم قالوا: أَشْرِكينا في مائك نُشْرِكْكِ في ألبانِنا، ففعلتْ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم، فنزلوا معهم، حتى إذا كانَ بها أهلُ أبياتٍ منهم، وشبَّ إسماعيلُ عليه السلام وتعلَّمَ العربيةَ منهم، أعجَبَهم حينَ شَبَّ، فلما أدركَ زَوَّجوهُ امرأةً منهم، وماتتْ هاجرُ، وجاءَ إبراهيمُ عليه السلام مكةَ[1]، وتقدَّمَ ذكرُ قصتِه مستوفىً، وبناءُ الكعبةِ

---

(١) رواه البخاري (٣١٨٤)، كتاب: الأنبياء، باب: «يزفُّون»، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

الشريفةِ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [الآية: ١٢٥].

* * *

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾.

[٣٨] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي﴾ من فراقِ إسماعيلَ وأُمِّهِ.

﴿وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ نُظْهِرُ من التجلُّدِ لِسارةَ.

﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنه العالِمُ بعلمٍ ذاتِيٍّ تستوي نسبتُه إلى كلِّ معلومٍ، و(مِنْ) للاستغراق.

* * *

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾.

[٣٩] ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي﴾ أَعْطاني.

﴿عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ وتقدَّمَ أن إسماعيلَ وُلِدَ لمضيِّ ستٍّ وثمانينَ سنةً من عمرِ أبيه، وأما إسحاقُ ولدَ لمضيِّ تسعينَ سنةً من عمرِ أبيه، وقيلَ غيرُ ذلك، وتقدَّم ذكرُ إسماعيلَ وإسحاقَ، ومقدارُ عمرِهما في سورةِ البقرة ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ لَمجيبُهُ.

* * *

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾.

[٤٠] ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مُتمِّمَها.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ وبعضٍ؛ لأنه علمَ أنَّ من ذُرِّيته من لا يؤمنُ.

﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ أثبتَ أبو عمرٍو، أبو جعفرٍ، وورشٌ، حمزةُ الياءَ في (دُعَائِي) وصلاً، وفي الحالينِ يعقوبُ والبزيُّ، واختلِفَ عن قنبلٍ وصلاً ووقفاً، وحذفَها الباقونَ في الحالين(١).

* * *

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ قيل: استغفرَ لهما وهما حيَّانِ رجاءَ إسلامِهما، وقيلَ: إن أُمَّهُ أسلمَتْ، فأرادَ إسلامَ أبيه.

﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ﴾ أي: يَثْبُتُ ﴿ ٱلْحِسَابُ ﴾.

* * *

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ثم وعدَ المظلومَ وأوعدَ الظالم فقالَ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ ﴾ الخطابُ للنبيِّ ﷺ، والمرادُ بالنهي غيرُه ممَّنْ يليقُ به أن يحسبَ مثلَ هذا، والغفلةُ معنىً تمنعُ الإنسانَ منَ الوقوفِ على حقيقةِ الأمورِ، واستدلَّ بعضُهم على قيامِ الساعةِ بموتِ المظلومِ مظلوماً، ورُوي أنه وُجِدَ على جدارِ صَخْرَةِ بيتِ المقدسِ:

نَـامَـتْ عُيُـونُـكَ وَالْمَظْلُـومُ مُنْتَبِـهٌ ... يَـدْعُـو عَلَيْـكَ وَعَيْـنُ اللهِ لَـمْ تَنَـمِ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٠).

﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ بالياء. قراءة العامة: (يُؤَخِّرُهُمْ) بالياء؛ أي: اللهُ تعالى، وأبو جعفرٍ، وورشٌ ينصِبان الواوَ بغيرِ همزٍ، وقرأ رويسٌ عن يعقوبَ: (نُؤَخِّرُهُمْ) بنونِ العظَمَةِ(١).

﴿ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ ﴾ أي: لا تغمضُ.

﴿ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ من هولِ ما تراهُ من ذلكَ اليوم.

***

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعينَ في خوفٍ ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ أي: رافعِيها.

﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ أي: لا تغمضُ عينُهم فهي شاخصةٌ.

﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ أي: صِفْرٌ من الخير، لا تعي شيئاً؛ لخوفِها، ويقالُ لكلِّ أجوفٍ خالٍ: هواءٌ، فكأنه سُمِّي بذلكَ لحلولِ الهواءِ فيه.

***

﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ ﴾ يا محمدُ ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ﴾ وهو يومُ القيامةِ.

﴿ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أشركوا.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٤/ ٣٧٠)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (٢/ ٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠، ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٢).

﴿ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ ﴾ أَمهِلْنا ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ ﴾ أي: رُدَّنا إلى الدنيا.

﴿ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ ﴾ إلى التوحيدِ.

﴿ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ ﴾ فيما جاؤونا به، فيجابون توبيخاً على إنكارِهم البعثَ:

﴿ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم ﴾ حلفتُم ﴿ مِّن قَبۡلُ ﴾ في الدنيا.

﴿ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴾ عنها؟!

* * *

﴿ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ٤٥ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَسَكَنتُمۡ ﴾ قَرَرْتُمْ ﴿ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ كقومِ نوحٍ وعادٍ ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ ﴾ عَرَفْتُم عقوبتَنا إياهم ﴿ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ من أحوالِهم؛ أي: بيَّنَّا لكم أنكم مثلُهم في الكفرِ واستحقاقِ العذابِ.

* * *

﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ٤٦ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ ﴾ وهو تكذيبُ الرسل.

﴿ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ ﴾ أي: محفوظٌ عندَهُ يجازيهم عليه.

﴿ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ ﴾ أي: قريشٍ ومتقدمي الكفارِ.

﴿ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾ قراءة العامة: (لِتَزُولَ) بكسرِ اللامِ الأولى وفتح

الثانية، معناه: لم يكنْ مكرُهم بمزيلِ الجبالَ، وقرأ الكسائيُّ بفتحِ اللام الأولى وضمِّ الثانية[1]؛ أي: إنَّ مكرَهم وإنْ عَظُمَ حتى بلغَ بمحلٍّ يزيلُ الجبالَ لم يقدِروا على إزالةِ أمرِ محمدٍ ﷺ.

وروي أن الآيةَ نزلَتْ في نمرود الجبارِ الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّه، قال النمرودُ: إنْ كانَ ما يقولُ إبراهيمُ حقاً، فلا أنتهي حتى أعلمَ ما في السمواتِ، فبنى صرحاً عظيماً ببابلَ، ورامَ الصعودَ إلى السماءِ ينظرُ إلى إله إبراهيمَ، واختلِفَ في طولِ الصَّرحِ في السماء، فقيل: خمسةُ آلافِ ذراعٍ، وهو قولُ ابنِ عباسٍ، ووَهْبٍ، وقيل: فرسخانِ، وهو قولُ كعبٍ، ومقاتلٍ، ثم عمدَ إلى أربعةِ أفراخٍ من النسورِ، وأطعمَها اللحمَ والخبزَ حتى كبَرتْ، ثم قعدَ في تابوتٍ ومعه غلامٌ له، وقد حملَ القوسَ والنشَّابَ، وجعلَ لذلكَ التابوتِ باباً من أعلاه، وباباً من أسفلِه، ثم ربطَ التابوتَ بأرجلِ النسورِ، وعلَّق اللحمَ على عصًا فوقَ التابوتِ، ثم خَلَّى عن النسورِ فَطِرْنَ طمَعاً في اللحمِ حتى أَبْعَدْنَ في الهواءِ، وحالتِ الريحُ بينَها وبينَ الطيرانِ، وقالَ لغلامه: افتحِ البابَ الأعلى فانظرْ ففتحَ، فإذا السماءُ كهيئتِها، وفتحَ البابَ الأسفلَ فإذا الأرضُ سوداءُ مظلمةٌ، ونودي: أيها الطاغي! أين تريد؟! فأمرَ عند ذلكَ غلامَه فرمى بسهمٍ، فعادَ إليه السهمُ متلطِّخاً بالدم، فقال: كُفِيتُ شُغْلَ إلهِ السماءِ، واختلِفَ في ذلكَ السهمِ بأيِّ شيءٍ تلَطَّخَ؟ فقيل: من سمكةٍ في السماءِ، من بحرٍ معلَّقٍ في الهواء، وقيل: أصابَ طيراً من الطيورِ فتلطخ بدمِه، ثم أمرَ نمرودُ غلامَه أن يضربَ العصا، وينكسَ اللحمَ، ففعل

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٣).

ذلك، فهبط النسورُ بالتابوتِ، فسمعت الجبالُ حفيفَ التابوتِ والنسورِ، ففزعَتْ، وظنتْ أن حدثَ في السماءِ أمرٌ، أو أنَّ الساعةَ قد قامت، فكادتْ تزولُ عن أماكِنها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ ثم أرسلَ اللهُ ريحاً على صرحِ نمرود، فألقتْ رأسَه في البحرِ، وانكفأتْ بيوتُهم، وأخذت النمرودَ الرجفةُ، وتبلبلَتْ ألسنةُ الناسِ حينَ سقطَ الصرحُ من الفزعِ، فتكلموا بثلاثةٍ وسبعينَ لساناً، فلذلك سميت: بابِل؛ لتبلبلِ الألسنِ بها، وكانَ لسانُ الناسِ يومئذٍ بالسريانيةِ[1].

* * *

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ تقديُره: فلا تحسبنَّ اللهَ مخلِفَ رسلِه وعدَهُ من النصرِ لأوليائِه، وهلاكِ أعدائِه، وهذا تثبيتٌ للنبيِّ ﷺ ولغيره من أُمَّتهِ، المعنى: لا تحسَبْ يا محمدُ أنتَ ومن اعتبرَ بالأمرِ من أمتكَ أنَّ اللهَ لا ينجِزُ ميعادَه في نصرةِ رسلِه ومعاقبةِ مَنْ كفرَ بهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالبٌ لا يُدافَعُ.

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ من الكَفَرَةِ، لا سبيلَ إلى عفوِه عنهم.

* * *

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٢٤٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٦٩).

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: تبدَّلُ أوصافُها بتغيرِ آكامِها وآجامِها وأشجارِها ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ أيضاً تُبَدَّلُ بزوالِ شمسِها وقمرِها، وكونِها مرةً كالدِّهانِ، ومرةً كالمُهْلِ.

﴿ وَبَرَزُوا۟ ﴾ خرجوا من قبورِهم ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ أي: لحسابه. **قرأ** أبو عمرٍو، وورشٌ عن نافعٍ، والدوريُّ عن الكسائيِّ: (القَهَّارِ) بالإمالةِ حيثُ وقعَ، واختلفَ عن حمزةَ وابنِ ذكوانَ(١).

***

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ ﴾ أي: مقرونينَ مع شياطينِهم.

﴿ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ القيودِ، واحِدُه صَفَدٌ.

***

﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ سَرَابِيلُهُم ﴾ قُمُصُهُمْ.

﴿ مِّن قَطِرَانٍ ﴾ وهو عصارةُ شجرٍ تسمَّى الأَبْهُلَ يُستخرَجُ بالنارِ، وهو كريهُ اللونِ والطعمِ والرائحةِ، سريعُ الالتهابِ، تُطْلَى به الإبلُ الجَرْبى، فيحرقُ الجربَ والجلدَ، تُطلى به جلودُ الكفارِ فيصيرُ قُمُصاً لهم، فيضطرِمُ عليهم

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٤).

ناراً. قراءة العامة: بفتحِ القاف وكسر الطاءِ على كلمةٍ واحدةٍ، وقرأ يعقوبُ بروايةِ زيدٍ: (قِطْرٍ) بكسر القاف وسكون الطاء وتنوينِ الراء (آنٍ) بهمزةٍ مقطوعةٍ ممدودة على كلمتين؛ أي: من نحاسٍ مُذابٍ انتهى حَرُّه[1]، وأبو عمرٍو يُدغم الدالَ من (الأَصْفَادِ) في السينِ من (سَرَابِيلُهُمْ)[2].

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ﴾ أي: تُغَطِّيها.

﴿ٱلنَّارُ﴾ لأنهم لم يتوجَّهوا بها إلى الحقِّ.

* * *

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٥١﴾.

[٥١] ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خيرٍ وشرٍّ، تلخيصُه: برزوا للجزاءِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: فاصلُه بينَ خلقِه بالإحاطةِ التي له بدقيقِ أمورِهم وجليلِها.

* * *

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾.

[٥٢] ﴿هَٰذَا﴾ أي: القرآنُ ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ كفايةٌ لهم ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٧٢)، و«القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ٧٠)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٤_٢٤٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٤).

لِيُخَوَّفوا به ﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ﴾ بالحجَجِ التي أقامَها اللهُ تعالى.

﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريكَ له ﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾ ليتَّعِظَ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذَوو العقولِ.

روي أن قولَه: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ نزلت في أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه[1]، واللهُ أعلمُ.

* * *

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٣٨٦).



سورة الحجر

مكيةٌ، وآيُها تسعٌ وتسعونَ آيةً، وحروفُها ألفانِ وسبعُ مئةٍ وأحد وسبعونَ حرفاً، وكَلِمُها ستُّ مئةٍ وأربعٌ وخمسونَ كلمةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ①﴾.

[١] ﴿الٓر ۚ﴾ تقدَّمَ الكلامُ عليه، ومذاهبُ القراء فيه أولَ سورةِ يونسَ(١) ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ﴾ أي: وآياتُ قرآنٍ.

﴿مُّبِينٍ﴾ يُبيِّنُ الحقَّ من الباطلِ، والحلالَ من الحرامِ، عطفُ القرآنِ على الكتابِ، وإن كان هو هو؛ لاختلافِ لفظيهما، وتنكيرُه للتفخيمِ؛ أي: آياتُ الجامعِ؛ لكونِه كتاباً كاملاً، وقرآناً يبينُ الرشدَ من الغيِّ بياناً عربياً.

***

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ②﴾.

[٢] ﴿رُّبَمَا﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ: بتخفيف الباءِ، والباقونَ: بتشديدها، وهما لغتان، و(رُبَّ) للتقليلِ، و(كَمْ) للتكثيرِ،

---

(١) الآية (١) منها.

و(رُبَّ) تدخلُ على الاسمِ، و(رُبَّمَا) على الفعل، يقال: رُبَّ رجلٍ جاءني، ورُبَّما جاءني رجلٌ، وأدخل (ما) هاهنا؛ للفعلِ بعدَها[1].

﴿يَوَدُّ﴾ يتمنَّى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يومَ القيامةِ عندَ دخولِهم النارَ، ومعرفتِهم بدخولِ المسلمينَ الجنةَ.

﴿لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ في الدنيا، فينجون النَّجاءَ الذي مانِعُه أن لم يكونوا مسلمين، فإن قيلَ: (ربما) للتقليل، وهذا التمنِّي يكثرُ من الكفار، فالجواب: أنهم إذا شاهدوا أهوالَ يومِ القيامةِ، تذهبُ عقولُهم، فإذا ثابَتْ إليهم عقولُهم، وذلك قليلٌ، سألوا الإسلامَ، ويجوزُ أنهم لما تَمَنَّوا الإسلامَ، فلم ينفعْهم تَمَنِّيهم شيئاً، كان قليلاً؛ لأنه لم تحصلْ به فائدةٌ.

***

﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾.

[٣] ثم تَهَدَّدَهم بقوله: ﴿ذَرۡهُمۡ﴾ يا محمدُ.

﴿يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بنيلِ شهواتِ الدنيا.

﴿وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُ﴾ أي: يشغلْهم أملُهم لطولِ أعمارِهم عنِ النظر، والإيمانِ باللهِ ورسولِه. قرأ رويسٌ عن يعقوبَ: (وَيُلْهِهُمُ) بضمِّ الهاءِ الثانيةِ والميمِ[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٠).

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وَبالَ صنيعِهِم إذا عاينوا جزاءَهُ، والآيةُ منسوخةٌ بآيةِ القتال .

* * *

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ أي : وما أهلَكْنا أهلَ قريةٍ إلا لوقتِ أجلِها المحدودِ، والواوُ في (ولها) لتأكيدِ لصوقِ الصفةِ بالموصوفِ، فيقالُ : جاءني زيدٌ عليه ثوبٌ، وجاءني زيدٌ وعليهِ ثوبٌ .

* * *

﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ المعلوم، (مِنْ) صلةٌ .

﴿ وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ عنه .

* * *

﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ يعني : مشركي مكةَ للنبيِّ ﷺ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ أي : القرآنُ .

﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ أي : إنكَ لتقولُ قولَ المجانين حين تَدَّعي أن اللهَ نَزَّلَ عليكَ الذِّكْرَ .

* * *

﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ لَّوْ مَا ﴾ هلاَّ ﴿ تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ يشهدون لكَ .

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في دعواكَ.

* * *

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾.

[٨] قال الله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالقرآن. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (نُنَزِّلُ) بنونين، الأولى مضمومةٌ، والثانيةُ مفتوحةٌ، وكسرِ الزاي (الْمَلاَئِكَةَ) بالنصبِ، وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: بالتاءِ مضمومةً، وفتحِ النونِ والزاي (الْمَلاَئِكَةُ) بالرفع، وقرأ الباقونَ كذلكَ، غير أنهم يفتحون التاءَ، والبزيُّ عن ابنِ كثيرٍ يشدِّدُ التاءَ وصلاً[١].

﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ و(إذاً) جوابٌ للمشركين، وجزاءُ الشرطِ مقدَّرٌ، تقديرُه: ولو نزَّلْنا الملائكةَ، ما أَخَّرْنا عنهم العذابَ عندَ معاينةِ الملائكةِ.

* * *

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ ردٌّ لإنكارِهم ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ للقرآنِ ﴿لَحَـٰفِظُونَ﴾ من الزيادةِ والنقصانِ والتبديلِ، وقيل: الضميرُ في (له) راجعٌ إلى محمدٍ ﷺ؛ أي: نحفظُه من الأسْوأ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٠-٣٥١).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾ رُسُلاً ﴿ فِي شِيَعِ ﴾ أي: أُمَمِ .

﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ والشيعةُ: هم القومُ المجتمعةُ المتفقةُ كلمتُهم .

***

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ كما فعلوا بكَ، ذَكَرَهُ تسليةً للنبيِّ ﷺ .

***

﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كما سَلَكْنا الكفرَ والاستهزاءَ بالرسلِ في قلوبِ شيعِ الأولينَ، كذلكَ ﴿ نَسْلُكُهُۥ ﴾ نُدْخِلُهُ .

﴿ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ من أهلِ مكةَ، والسَّلْكُ: إدخالُ الشيءِ في الشيءِ .

***

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ يعني: حتى لا يؤمنوا بمحمدٍ ﷺ وبالقرآنِ ﴿ وَقَدْ خَلَتْ ﴾ مضتْ .

﴿ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: سنةُ اللهِ فيهم بإهلاكِ مَنْ لم يؤمنْ منهم، وهذا وعيدٌ لأهلِ مكةَ .

***

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾ أي: على هؤلاءِ المقترِحين.

﴿ بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ ﴾ أي: الملائكةُ في البابِ.

﴿ يَعْرُجُونَ ﴾ يصعَدُون وهم يرونَهم عياناً.

* * *

﴿ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (سُكِرَتْ) بتخفيفِ الكاف؛ أي: حُبِسَتْ ومُنِعَتِ النظرَ، وقرأ الباقون: بتشديدها؛ أي: سُدَّتْ(١).

﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ بَلْ سحرَنا محمدٌ بذلك.

* * *

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ أي: قصوراً، وهي منازلُ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ السيارةِ، وهي اثنا عَشَرَ برجاً: الحملُ، والثورُ، والجوزاءُ والسَّرَطانُ، والأسدُ، والسنبلَةُ، والميزانُ، والعقربُ، والقَوْسُ، والجَدْيُ، والدَّلْوُ، والحوتُ.

﴿ وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ أي: السماءَ بالنجومِ.

﴿ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ المستدِلِّين بها على قدرةِ خالقِها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٢).

﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ فلا يقدرُ أن يصعدَ إليها ويطِّلعَ على أحوالها .

* * *

﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: ولكنْ منِ استرقَ السمعَ؛ أي: اختلَسَهُ سِرّاً .

﴿ فَأَتْبَعَهُۥ ﴾ لَحِقَهُ .

﴿ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ كوكبٌ مضيءٌ، وذلك أنَّ الشياطينَ يركبُ بعضُهم بعضاً إلى السماءِ الدنيا، فَيَسْتَرِقونَ السمعَ منَ الملائكةِ، فَيُرْمَوْنَ بالكواكبِ، فلا يخطىء أبداً، فمنهم من يقتلُه، ومنهم من يحرقُ وجهَهُ أو يدهُ أو حيثُ شاءَ الله، أو يُخَبِّلُهُ لئلاَّ يعودَ إلى استراقِ السمع، فيصيرُ غولاً في الأرض يغتالُ الناسَ .

عن ابنِ عباسٍ: أنهم كانوا لا يُحْجَبونَ عن السَّمواتِ إلى أن وُلِدَ عِيسى، فَمُنِعوا عن ثلاثِ سمواتٍ، فلما وُلِدَ محمدٌ ﷺ، مُنِعُوا عن السمواتِ كلِّها[١] .

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٧٧)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ١٠) .

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ بَسَطْناها على وجهِ الماءِ، يقال: إنها مسيرةُ خمسِ مئةِ سنةٍ في مثلِها دُحِيَتْ من تحتِ الكعبةِ.

﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾ جِبالاً ثوابِتَ، وقد كانتِ الأرضُ تميدُ إلى أن أرساها بالجبالِ.

﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا ﴾ أي: في الأرض.

﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ مقدَّرٍ بما تقتضيه حكمتُه.

* * *

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾ ما تعيشون به من المطاعِمِ والملابِسِ.

﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ أي: وجعَلْنا لكم مَنْ لستم له برازقينَ من العيالِ والخدمِ وسائرِ ما يظنون أنهم يرزقونهم ظناً كاذباً، المعنى: اللهُ الرزاقُ، فلا تعتقدوا أنكم تَرْزُقون أحداً.

* * *

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ثم أوضحَهُ بقوله: ﴿ وَإِن ﴾ أي: وما ﴿ مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ أي: و[١] إلا ونحن قادرونَ على إيجادِه.

---

(١) «و» زيادة من «ت».

﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ مع كثرته، وتمكُّننا منه.

﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ بحدٍّ محسوبٍ على قدرِ المصلحةِ.

***

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ﴾ قرأ حمزةُ، وخلفٌ: (الرِّيحَ) على الإفراد، وعلى تأويلِ الجنس، والباقون: بالجمع[1] ﴿لَوَٰقِحَ﴾ حوامِلَ تحملُ الماءَ إلى السحابِ، فهي جمعُ لاقحةٍ، يقال: ناقةٌ لاقحةٌ: إذا حملتِ الولدَ.

﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ فجعلْناه لكم سَقْياً.

﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ أي: ليستْ خزائنهُ في أيديكم.

***

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ الباقونَ، والوارثُ من صفاتِ الله.

***

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ أي: مَنْ تقدَّمَ من الأممِ من لَدُنْ أُهْبِطَ آدمُ إلى الأرضِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٣).

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ أي: بمن تأخَّرَ في الزمنِ إلى يوم القيامة، فنجازي كُلاًّ بعملِه.

* * *

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ جميعاً للجزاءِ.

﴿ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ ﴾ متقنٌ أفعالَهُ.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بكلِّ شيءٍ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ المرادُ: آدم عليه السلام، سُمِّيَ إنساناً، لأنه عُهِدَ إليهِ فنسيَ، ودخلَ مَنْ بعدَهُ في ذلكَ؛ إذ هو من نسلِهِ.

﴿ مِن صَلْصَـٰلٍ ﴾ طينٍ يابسٍ غيرِ مطبوخٍ، فإذا طُبِخَ، فهو فَخَّارٌ.

﴿ مِّنْ حَمَإٍ ﴾ جمع حَمْأَةٍ، وهو الطينُ الأسودُ المتغيِّرُ ﴿ مَّسْنُونٍ ﴾ مصوَّرٍ.

* * *

﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَٱلْجَآنَّ ﴾ هو أبو الجنِّ، كآدم أبو البشرِ، وقيلَ: هو إبليسُ ﴿ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي: قبل آدمَ ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ أي: نارِ الحرِّ الشديدِ بالنهار؛ لأنه ينفذُ في المسامِّ.

* * *

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ واذكرْ وقتَ قولِه ﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ ﴾ أي: سأخلقُ.

﴿ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ والبشرُ آدمُ، وهو مأخوذٌ من البشرةِ، وهو وجهُ الجلدِ في الأشْهَرِ منَ القولِ.

* * *

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾ عدَّلْتُ خلْقَه ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ فصارَ بشراً حَيّاً، والروحُ: جسمٌ لطيفٌ يحيا به الإنسانُ، وأضافَه إلى نفسِه تشريفاً إضافةَ خَلْقٍ ومُلْكٍ؛ إلى خالقٍ ومالك؛ أي: من الروحِ الذي هو لي.

﴿ فَقَعُوا۟ ﴾ فاسْقُطوا ﴿ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ سجودَ تحيةٍ لا سجودَ عبادةٍ.

* * *

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ أُكِّدَ بتأكيدينِ؛ للمبالغةِ في التعميمِ ومنعِ التخصيصِ.

* * *

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ استثناءٌ من الملائكةِ؛ لأنه كانَ منهم، وهو الظاهرُ من هذهِ الآيةِ ومن كثيرٍ من الأحاديثِ، وذلك أن الله تعالى أمرَ الملائكة

بالسُّجودِ، ولو لم يكنْ إبليسُ منهم لم يذنبْ في تركِ السجودِ، وتقدَّمَ في سورةِ البقرةِ أنه من الملائكةِ على الأصحِّ.

﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ لآدم.

* * *

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ كانَ اسمُهُ: عزازيل، فحينئذٍ سماه: إبليسَ؛ من الإبلاسِ، وهو الإبعادُ؛ أي: يا مُبْعَدُ.

* * *

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ أرادَ: أني أفضلُ منه؛ لأنه طينيٌّ، وأنا ناريٌّ، والنارُ تأكلُ الطينَ، وتقدمَ الكلامُ على ذلكَ في سورةِ الأعرافِ.

* * *

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنةِ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ طريدٌ.

* * *

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فهو ملعونٌ في السماواتِ والأرضِ إلى يومِ الجزاءِ.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

[٣٦] ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ من قبورِهم وقتَ النفخةِ الآخِرَة، أرادَ ألاَّ يموتَ .

* * *

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ .

* * *

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ عندَ الله، هو يومُ موتِ الخلائقِ، وهو وقتُ النفخةِ الأولى، ومدةُ موتِ الخبيثِ أربعونَ سنةً قدرَ ما بينَ النفختينِ .

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ أضلَلْتني، الباءُ للقسم؛ أي: أقسمُ بإغوائِكَ إيايَ ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ حُبَّ الدنيا ومعاصيكَ .

﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ ﴾ أُضِلَّنَّهم ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ .

* * *

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ واستثنى الخبيثُ المخلَصين؛ لعلمِه أنَّ كيدَه لا يضرُّهم. قرأ الكوفيون، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ: (الْمُخْلَصِينَ) بفتحِ اللامِ حيثُ وقعَ؛ أي: من أخلَصْتَهُ بتوحيدِكَ، فهديتَهُ

واصطَفيتُه، وقرأ الباقون: بكسرها؛ يعني: المؤمنينَ الذين أخلصوا لكَ الطاعةَ والتوحيدَ[1].

***

﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ قَالَ ﴾ اللهُ تعالى: ﴿ هَٰذَا ﴾ أي: الإخلاصُ.

﴿ صِرَٰطٌ عَلَيَّ ﴾ بمعنى إليَّ ﴿ مُسْتَقِيمٌ ﴾ والمعنى: هذا طريقٌ عليَّ بأَنْ أُراعيَه وهو ألاَّ يتبعَكَ المخلَصون. قرأ يعقوبُ: (عَلِيٌّ) بكسرِ اللامِ ورفعِ الياءِ وتنوينِها، من العلوِّ أي: رفيع، وقرأ الباقون: بفتح اللامِ والياءِ من غيرِ تنوينٍ على المعنى الأولِ[2].

***

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على قلوبهم.

﴿ سُلْطَٰنٌ ﴾ قدرةٌ وتسلُّطٌ.

﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾ أي: لكنْ من اتبعَكَ.

﴿ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ لكَ عليهم سلطانٌ.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٤).

(٢) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٤).

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ ﴾ لَمصيرُ الغاوينَ ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ تأكيدٌ للضمير.

* * *

﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ بعضُها فوقَ بعضٍ؛ لأنَّها سبعُ طباق، أعلاها جهنمُ، ثم لَظَى، ثم الحُطَمَةُ، ثم السَّعِيرُ، ثمَّ سَقَرُ، ثمَّ الجحيمُ، وفيه أبو جهلٍ، ثم الهاويةُ، وأشهرُ منازلِها جهنمُ، وهو موضعُ العصاةِ من المؤمنينَ الذين لا يخلَّدونَ.

﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ ﴾ من إبليسَ وأتباعِه ﴿ جُزْءٌ ﴾ نصيبٌ.

﴿ مَّقْسُومٌ ﴾ للطبقةِ الأولى، وهي العليا، الموحِّدونَ من أهلِ الكبائرِ، وللثانيةِ النصارى، وللثالثةِ اليهودُ، وللرابعةِ الصابئونَ، وللخامسةِ المجوسُ، وللسادسةِ أهلُ الشركِ، وللسابعةِ المنافقون. قرأ أبو جعفرٍ: (جُزٌّ) بتشديدِ الزاي بغيرِ همزٍ، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: بضمِّ الزاي مع الهمزِ، والباقون: بإسكان الزاي والهمز[1].

* * *

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ ﴾ بساتينَ.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٤-٢٥٥).

﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهارٍ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ، وأبو بكر عن عاصمٍ: (وَعِيُونٍ) بكسرِ العين، والباقون: بضمِّها[1].

* * *

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ أي: الجناتِ. قرأ رويسٌ عن يعقوبَ بخلافٍ عنه: (وَعُيُونٌ ادْخِلُوها) بضمِّ التنوينِ وكسرِ الخاء على ما لم يُسَمَّ فاعلهُ، فهي همزةُ قطعٍ نُقِلَتْ حركتُها إلى التنوينِ، وقرأ الباقون: بضمِّ الخاءِ على أنه فعلُ أمرٍ، والهمزةُ للوصلِ، وهم على أصولِهم في التنوينِ، فأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وحمزةُ، ويعقوبُ يقرؤونَ بكسرِ التنوينِ في الوصلِ، والباقونَ: بالضمِّ بخلافٍ عنِ ابنِ ذكوانَ[2].

﴿بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سالمينَ من كلِّ آفة، وتسلِّمُ عليكمُ الملائكةُ.

﴿ءَامِنِينَ﴾ من كلِّ مخوفٍ.

* * *

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حِقْدٍ بسببِ عداوةٍ كانَتْ بينَهم في الدنيا.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٥).

﴿إِخْوَٰنًا﴾ نصبٌ على الحالِ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جمعُ سَريرٍ.

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ في الوجوهِ، إذ الأسرَّةُ متقابلةٌ، فهي أحسنُ في الرتبةِ.

* * *

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ﴾ لا يُصيبُهم ﴿فِيهَا نَصَبٌ﴾ وهو التعبُ.

﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فإنَّ تمامَ النعمةِ الخلودُ.

* * *

﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿۞ نَبِّئْ﴾ أَعْلِمْ يا محمدُ.

﴿عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن تابَ. قرأ أبو جعفر: (نَبيِّ) بإسكانِ الياءِ بغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمز[١]، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمروٍ، وابنُ كثيرٍ: (عِبَادِيَ) (أَنِّيَ) بفتحِ الياءِ فيهما، والباقون: بإسكانها[٢].

* * *

﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ لمن لم يتب.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ اللهَ

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٦).

خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً واحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، ولَوْ يَعْلَمُ الْمُؤمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»(١).

* * *

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ثم عطفَ على (نَبِّىء عِبَادِي) ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ ﴾ أي: عن خبرِ ضيفِ ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ والضيفُ اسمٌ يقعُ على الواحدِ والجمعِ، والمذكرِ والمؤنثِ، والمرادُ بالضيفِ: الملائكةُ.

* * *

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾ أي: نسلِّم سلاماً.

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيمُ ﴿ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ خائفون؛ لأنهم لم يأكلوا من طعامِهِ.

* * *

﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾ قرأ حمزةُ (نَبْشُرُكَ) بفتحِ النونِ وإسكانِ الباءِ وتخفيفِ الشينِ وضمِّها، من البِشْرِ، وهو البشرى والبِشارَةُ، وقرأ

(١) رواه البخاري (٦١٠٤)، كتاب: الرقاق، باب: الرجاء مع الخوف، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

الباقون: بضمِّ النونِ وفتح الباءِ وتشديدِ الشينِ مكسورةً من بَشَّرَ المضعَّفِ على التكثيرِ(١).

﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ في صغرِه، حكيمٍ في كبرِه، وهو إسحاقُ عليه السلام.

* * *

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ٥٤﴾.

[٥٤] فتعجَّبَ إبراهيمُ من أن يُولَدَ لهُ مع كِبَرِه وكبر امرأتِهِ.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولدِ ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي: على حالَ الكِبَرِ.

﴿فَبِمَ﴾ فبأيِّ شيءٍ ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ قرأ نافعٌ بكسرِ النونِ وتخفيفِها، وتقريرُ هذهِ القراءة أنه حُذِفَتِ النونُ التي للمتكلِّم، وكسرتِ النونُ التي هي علامةُ الرفعِ، ثم حذفتِ الياءُ لدلالةِ الكسرةِ عليها، قال ابنُ عطيةَ: وغلَّطَ أبو حاتم نافعاً في هذهِ القراءةِ، وقال: إنَّ شاهدَ الشِّعْرِ في هذا اضطرارٌ، وهذا حمل منه(٢)، وقالَ الكواشيُّ: ولا يُلْتَفَتُ إلى الطاعنِ في هذهِ القراءةِ؛ لصحَّة نقلِها، بل لتواتُرِها، فتكونُ أصلاً يُحْتَجُّ به، لا لَهُ، وقرأ ابنُ كثيرٍ: بكسرِ النونِ مشدَّدَةً أي: (تُبَشِّرونني)، أدغمت نونُ الجمعِ في نونِ الإضافة، ثم حذفتِ الياءُ للتعليلِ المتقدِّمِ، وقرأ الباقونَ: بفتح النونِ مخففةً علامة الرفعِ(٣).

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧-٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٦٥).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٨).

﴿ قَالُوا۟ بَشَّرۡنَـٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرۡنَـٰكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ بالصدقِ الواجبِ وجودُهُ.

﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَـٰنِطِينَ ﴾ الآيسينَ.

* * *

﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (يَقْنِطُ) بكسر النون، والباقون: بفتحِها، وهما لغتان، أي: يَيْأَسْ[١].

﴿ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ المخطِئون، المعنى: لا أنكرُ وجودَ الولدِ مِنَّا قُنوطاً، بل استبعاداً، والقنوطُ من رحمةِ اللهِ كبيرةٌ؛ كالأَمنِ من مكرِه.

* * *

﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ أي: فما شأنكم الذي أُرسلتُم لأجلِه سوى البشارةِ.

* * *

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٍ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٍ مُّجۡرِمِينَ ﴾ وهم أهلُ مدينةِ سَدومَ الذين بُعِثَ فيهم لوطٌ عليه السلام، والمجرم: الذي يرتكبُ المحظوراتِ.

---

(١) المصادر السابقة.

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ الآلُ: القومُ الذين يؤولُ أمرهم إلى المضافِ إليه، والاستثناءُ منقطِعٌ من قومٍ؛ لأنَّ القومَ موصوفون بالإجرام، وآلُ لوطٍ لم يجرموا.

﴿ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ مما يعذَّبُ به القومُ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (لَمُنْجُوهُمْ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد(١).

* * *

﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ ﴾ استثناءٌ من آلِ لوطٍ، فيكونُ استثناءً من استثناءٍ، تقديره: أهلكناهُم إلا آلَ لوطٍ إلا امرأتَهُ ﴿ قَدَّرۡنَآ ﴾ حكَمْنا.

﴿ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ الباقِين في الهلاكِ الذين لم يُسْتَثْنَوا منه. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (قَدَرْنَا) بتخفيفِ الدالِ، والباقونَ: بتشديدِها(٢).

* * *

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ اختلافُ القراءِ في حكمِ الهمزتينِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٠).

من قولِه: ﴿جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ كاختلافِهم فيهما مِنْ ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ في سورةِ النساءِ.

* * *

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢﴾.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ لوطٌ لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ لا أعرفكُمْ.

* * *

﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٦٣﴾.

[٦٣] ﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكُّونَ أنه نازلٌ بهم، وهو العذابُ، وكان لوطٌ يعدُ قومَه نزولَ العذابِ فلا يُصدِّقونه.

* * *

﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٦٤﴾.

[٦٤] فقالت الملائكةُ: ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ باليقينِ من عَذابِهم.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في قولِنا.

* * *

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۝٦٥﴾.

[٦٥] ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ فاذهبْ بهم. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: (فَاسْرِ) بوصلِ الألفِ من سَرَى، وقرأ الباقون: بقطعِها، من أَسْرَى، ومعناهما واحدٌ، وهو سيرُ الليلِ[١].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ بطائفةٍ منه، قيل: إنه السَّحَرُ الأولُ.

﴿ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾ سِرْ خَلْفَهم.

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ لينظرَ ما وراءَه فيرَى من الهولِ ما لا يُطيقُه.

﴿ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ بالذهابِ إليه، وهو الشامُ. قرأ أبو عمرٍو: (حَيْث تُّؤْمَرُونَ) بإدغامِ الثاءِ في التاءِ[1].

* * *

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾ أي: أعلمناهُ ﴿ أَنَّ دَابِرَ ﴾ أي: آخِرَ.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ ﴾ مهلَكٌ.

﴿ مُّصْبِحِينَ ﴾ أي: أوحينا إليه أنَّهم يهلكونَ جميعاً وقتَ الصُّبحِ.

* * *

﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ أي: سدومَ إلى لوطٍ. واختلاف القراء في (جَاءَ أَهْلُ) كاختلافهم في (جَاءَ آلَ) [الحجر: ٦١].

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ طَمَعاً في نيلِ شهوتِهم الخبيثةِ من الملائكةِ.

* * *

= (٢/ ٢٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٠).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦١).

﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ۝٦٨ ﴾ .

[٦٨] ﴿ قَالَ ﴾ لوطٌ لقومِه: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴾ بفضيحةِ ضَيْفي.

* * *

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ۝٦٩ ﴾ .

[٦٩] ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴾ بفعلِ الخبيثِ فيهم؛ لأن مَنْ أُهِينَ ضيفُه فقد أُهِين. قرأ يعقوبُ (تَفْضَحُونِي) (تُخْزُونِي) بإثباتِ الياءِ فيها، والباقونَ: بحذفِها[١].

* * *

﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٠ ﴾ .

[٧٠] ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أي: عن ضيافةِ الناسِ؛ لأنهم كانوا يأخذون المارَّ بهم لِيَخْبُثُوا به، فيحولُ بينَهم وبينَه، ويُبَيِّتُهُ عندَه ضيفاً، فنَهوْهُ عن ذلكَ.

* * *

﴿ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٧١ ﴾ .

[٧١] ﴿ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ ﴾ أُزَوِّجُهُنَّ إياكُم إن أسلَمْتُم، فَأْتوا الحلالَ، ودعوا الحرامَ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦١).

﴿ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾ ما آمُرُكُمْ به، وقيل: أرادَ بالبناتِ: نساءَ قومِه؛ لأنَّ النبيَّ كالوالدِ لأُمَّتِهِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (بَنَاتِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

***

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] قالَ ابنُ عباسٍ: «ما خلقَ اللهُ تعالى خَلْقاً أكرمَ عليهِ من محمدٍ ﷺ، وما أَقْسَمَ بحياةِ أحدٍ إلا بحياتِه، فقال: ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾»[2] أي: وحياتِكَ، فهو قسمٌ من اللهِ جل جلاله بمدةِ حياةِ محمدٍ ﷺ، وأصلُه ضَمُّ العينِ من العُمُرِ، ولكنَّها فُتِحَتْ لكثرةِ الاستعمالِ، أو معناه: وَبقَائِكَ يا مُحَمَّدُ، ولم يقسم اللهُ بحياةِ أحدٍ غيرِه؛ لأنه أكرمُ البريَّةِ عندَه.

﴿ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ ﴾ ضلالَتِهم ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ يتحيَّرونَ.

***

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ أي: صيحةُ جبريلَ بهم ﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ مصادِفين شروقَ الشمسِ؛ لأنَّ ابتداءَ عذابِهم كانَ عندَ طلوعِ الصُّبْحِ، وآخرَه عندَ طلوعِ الشمسِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٤)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٩٣٤)، وغيرهما.

﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] فإن جبريلَ قلعَ الأرضين بهم، ورفعَها إلى السماءِ، ثم أهوى بها نحوَ الأرضِ، ثم صاحَ بهم صيحةً عظيمةً ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ مُنْخَفِضَها.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ على شذاذِ القُرى، وهُمْ مَنْ لم يَكُنْ فيها.

﴿ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ سِجِّيلٌ وسِجِّينٌ: الصلبُ منَ الحجارةِ والطينِ.

* * *

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أي: المتفرِّسينَ.

* * *

﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ أي: قريةُ قومِ لوطٍ ﴿ لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ بطريقٍ ثابتٍ يسلُكه الناسُ، لم يَنْدَرِسْ بعدُ، فاتَّعِظوا بآثارهم يا قريشُ إذا ذهبتُمْ إلى الشامِ؛ لأنها في طريقِكم.

* * *

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ باللهِ ورسولِه.

* * *

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ الغَيْضَةِ، وهو شجرٌ مجتمعٌ،

والأيكةُ أبعدُ الأرضِ منَ السماء، وهم قومُ شعيبٍ.

﴿لَظَالِمِينَ﴾ بعثَهُ اللهُ إليهم، فكذَّبوه، فأُهْلِكوا بالظُّلَّةِ، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ في سورةِ الأعرافِ.

***

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩)﴾.

[٧٩] ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالإهلاكِ ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي: قريةُ قومِ لوطٍ والأيكةُ.

﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ بطريقٍ واضحٍ مستبينٍ.

***

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠)﴾.

[٨٠] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ هم ثمودُ، والحِجْرُ: واديهم بينَ المدينةِ والشامِ.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ أرادَ صالحاً، وقال: المرسَلين من حيثُ يجبُ بتكذيبِ رسولٍ واحدٍ تكذيبُ جميعِهم؛ إذ القولُ في المعتقَداتِ واحدٌ للرسلِ أجمعَ، فهذهِ العبارةُ أشنعُ على المكذِّبين.

***

﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١)﴾.

[٨١] ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ هي الناقةُ، وخروجُها من الصخرة، وكثرةُ شربِها، وولادتَها مثلَها في العِظَمِ في الحالِ وغزارةِ لبنِها.

﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ يعني: الآياتِ.

***

﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ من خرابها، والنحتُ: النَّقْرُ بالمعاولِ ونحوِها في الحجارةِ.

* * *

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ صيحةُ العذابِ ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ وقتَ الصبحِ.

* * *

﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ من عَدَدِهم وعُدَدِهم وبناءِ حصونِهم.

* * *

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ أي: بين جنسَي السمواتِ والأرضِ.

﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ لم نوجدْ شيئاً عَبَثاً ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ﴾ فيجازَى المحسنُ بإحسانِه، والمسيءُ بإساءتِه.

﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ أي: أعرضْ عن المشركينَ إعراضاً جميلاً، وأَكَّدَ الصفحَ بنعتِ الجمالِ؛ إذِ المرادُ منه أن يكونَ لا عَتْبَ فيه ولا حِقْدَ، ونُسِخَتْ بآيةِ القتالِ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

[٨٦] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بخلقِهِ .

* * *

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

[٨٧] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ هي الفاتحةُ ؛ لأنها سبعُ آياتٍ بإجماعٍ ، ولأنها تُثَنَّى في الصلاةِ ، وتقدَّمَ الكلام على ذلكَ في أولِ التفسيرِ .

﴿ وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ عطفٌ على السبعِ ؛ لأنَّ ما عدا الفاتحةَ قرآنٌ .

* * *

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

[٨٨] ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ أي : لا تنظرَنَّ يا محمدُ .

﴿ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ أصنافاً من الكفارِ ، نهى اللهُ رسولَه ﷺ عن الرغبةِ في الدنيا ، ومزاحمةِ أهلِها عليها .

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ إنْ لم يؤمنوا .

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ أي : تواضَعْ ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وارْفُقْ بهم .

* * *

﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

[٨٩] ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ بُرْهانُهُ . قرأ نافعٌ ، وأبو جعفرٍ ، وابنُ كثيرٍ ، وأبو عمرٍو : (إِنِّيَ) بفتحِ الياءِ ، والباقون : بإسكانِها[١] .

---

(١) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٣٦٨) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٣٦) ، =

﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا ﴾ أي: وأنذرْ قريشاً إنذاراً مِثْلَ ما أَنْزَلْنا من العذابِ.

﴿ عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴾ المتحالِفين.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ المنزلَ على النبيِّ ﷺ.

﴿ عِضِينَ ﴾ عَضَوْهُ؛ أي: فَرَّقُوه إلى سحرٍ وكهانةٍ وشعرٍ وغيرِ ذلك.

* * *

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

[٩٢] ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ يومَ القيامةِ سؤالَ توبيخٍ.

* * *

﴿ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ أي: فَرِّقْ بينَ الحقِّ والباطلِ بتبليغِ الرسالةِ.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٣).

قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ورويسٌ عن يعقوبَ بخلافٍ عنه: (فَاصْدَعْ) بإشمام الصادِ الزايَ[1].

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ولا تلتفتْ إليهم، ونُسِخَتْ بآيةِ السيفِ.

* * *

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بكَ، وبالقرآنِ، وهم قومٌ من كفارِ مكةَ أهلَكَهم الله.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يعني: الأصنامَ.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ أمرِهم.

* * *

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من الشركِ والاستهزاءِ.

* * *

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قُلْ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٠-٢٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٣).

﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ المصلِّين.

رُوِيَ أنه ﷺ كانَ إذا أحزنه أَمْرٌ، فَزِعَ إِلى الصَّلاةِ[1].

***

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾.

[٩٩] ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ الموتُ؛ لأنه مُتيَقَّنٌ لا شَكَّ فيه، واللهُ أعلم.

* * *

(١) رواه أبو داود (١٣١٩)، كتاب: الصلاة، باب: وقت قيام النبي ﷺ من الليل، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٨)، وغيرهما عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ.

مُحتَوَى المُجَلَّد الثَّالِث

* * *